

معيار النعم ومبدا النعم

للشيخ الإمام قاضي القضاة

ناج الدين عبد الوهاب السبكي الموفى ٧٧١ هـ

مقدمه و ضبط و تدقيق عليه

أبو زيد شبلبي

محمد علي النجار

محمد أبو العينون



الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة



9556

297.56

سجل

٣

معيار النعم ومبيل النعم

لِلشَيْخِ الْإِمَامِ قَاضِي الْقَضَاءِ نَاجِ الدِّينِ عَبْدِ لَوْهَابِ السَّبْكِ الْمَنُوفِيِّ ٧٧١ هـ

الهيئة العامة لمكتبة الاسكندرية
رقم التصنف: 297.56
س ب
رقم التسجيل: ١٩١٤٣٧

محققه وضبطه وعلى عليه

أبوزيد شلبي

محمد علي التجار

محمد أبو العينون



١ - ٢٨٥٨٨٨ - ١٩١٤

Department of the Alexandria Library (1914)
مكتبة الإسكندرية

الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة

الطبعة الثانية

١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك اللهم ، ونصلّي ونسلم على نبيّك محمد المبعوث رحمة للعالمين ،
وهادياً للمسترشدين ، وعلى آله وصحبه الهداة المهديين .

وبعد ؛ فإننا نقدّم للناس كتاب « معيد النعم ، ومبيد النقم » لأبي نصر
تاج الدين السبكيّ ، في معرض جديد ، وثوب قشيد ، بعد أن بذلنا في تصحيحه
وضبطه ، وتحقيق متنه ، ما يحسنه القارى ، ونرجو المشوبة من الله عليه .
وقد كانت طبعاته السالفة مشحونة بشتّى أنواع التحريف والتصحيف ،
وضروب الإحالة والتغيير !

ولقد عنّت فكرة العمل في هذا الكتاب منذ قرابة أربع سنوات
للأستاذ الجليل الشيخ محمد يوسف موسى رئيس « جماعة الأزهر للنشر
والنأليف » على أثر قرأته الكتاب وتبين خطره وجلالته . فأخذ في
الإعداد له وابتدأ العمل فيه مع أحدنا ، ولكن عرض أن سافر في رحلة
علمية إلى فرنسا — رده الله منها إلى الوطن العزيز سالماً — فقمنا بهذا العمل ،
ويعلم الله ما كلفنا من جهد ونصب .

وإننا نرجو أن يلاقى هذا الكتاب من التفاق والإقبال عليه والانتفاع به
ما هو أهله ؛ فإنه من خير الأسفار ، وأجل الآثار التي أخرجت للناس .

مقدمة

التعريف بالمؤلف - آثاره - معيد النعم

(١) المؤلف : التاج السبكي

ولد التاج السبكي عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي بالقاهرة ، في سنة ٧٢٧ هـ . ويرى بعض من ترجم له أن ولادته كانت سنة ٧٢٨ ، ويرى آخرون أنه ولد سنة ٧٢٩ .

ونشأ عبد الوهاب في بيت عريق في العلم والتقى والرياسة ؛ فأبوه قاضي القضاة تقي الدين السبكي ، وبحسبك هذا تنبيهاً على نباهة بيته وشرف منصبه ؛ وإنّا في هذا المقام ننوّه بكتاب « البيت السبكي » الذي وضعه الأستاذ الجليل والباحث الكبير محمد الصادق حسين بك ، فلقد وثق البحث حقّه ، وأظهر من اللوذعية والنقد ما هو به قمين .

وجهه أبوه توجيهاً علمياً صادقاً ، ونشأه على الجِدِّ والدرس . فتلقّى العلم عن أبيه وعن غيره من علماء مصر كابن حيّان النحويّ الكبير . حتى إذا أسند إلى أبيه قضاء الشام في سنة ٧٣٩ رحل عبد الوهاب معه ، واستقرّ بدمشق ، واتخذها وطنه ، وأخذ عن شيوخها ومحدثيها ؛ كالذهبيّ والمزيّ ، وتفقه شافعيّاً بابن النقيب^(١) ، وقد أجازته هذا بالفتيا وهو لم يبلغ العشرين من سنيه . وقد ولي توقيع الدسّت عن نائب الشام أمير على الماردينيّ ، وهي وظيفة جليّة ، كان صاحبها يكتب على القصص في دار العدل بجوار كاتب السرّ

(١) هو محمد بن أبي بكر ، مدرس الشامية البرانية بدمشق ، وصاحب النووى . توفي سنة ٧٤٥ هـ .

وتولى بعد هذا نيابة الحكم عن أبيه قاضى القضاة ، فجمع له بين الوظيفتين ؛
وفى ذلك يقول أبوه يعظه ويوصيه :

أموقع الدست الشريف ، ونائب الحكم العزيز ، ومفتى الإسلام
خف من إلهك أن يراك وقد نهاك ، وما انتهيت وملت للأثام
وولى مع هذا بعض وظائف التدريس فى مدارس دمشق . حتى إذا كانت
سنة ٧٥٦ هـ أحس والده ضعفا ، وعلته الكبرة وغشيته الشيخوخة ؛ فنزل
لعبد الوهاب عن قضاء الشام ، وانتقل هو إلى مصر حيث وافته منيته فى
عامه هذا .

وظلّ التاج فى منصب قضاء قضاء الشام ووظائف أخرى جلييلة ؛ حتى
أصيب بالطاعون فى سنة ٧٧١ هـ وهو فى منزله بالدھشة بظاهر دمشق . ودفن
فى سفيح قاسيون^(١) فى مقبرة السبكىة .

وقد جرت عليه فى أثناء توليه القضاء فى دمشق مِحَنٌ عزل فيها ، ولكنه
خرج منها سليما لم تنل منه ، ولم تغض من شأنه ؛ وأغلب الظن أن ذلك كله
من حوك الدسائس ونسج أيدى الحساد والشائئين . وكان للبيت السبكى نظراء
ينفسون عليه ما بلغه من مجد وسناء ورفعة شأن ، وكان من هؤلاء ابن
فضل الله العمرى صاحب مسالك الأبصار ، وغيره من أصحاب الراى فى دولة
المماليك . وكان من الناس من يطمح إلى منصب قضاء القضاة ، ويحسد التاج
عليه ، ويبغى له الغوائل لعل أن يخلفه ، وينعم بخيره . وقد كانت المناصب
تُنال بالسعى وبذل المال ؛ يذكر ابن الوردي فى تاريخه^(٢) فى حوادث سنة ٧٤٠ هـ
أن برهان الدين الرّسّعنى بذل لطرغاي نائب حلب مالا ، حتى جعله قاضى
قضاة الشافعية فيها ، ولذلك لم يصادف راحة فى ولايته . قال ابن الوردي :
ويعجبني قول القائل :

(١) بالدين المهمة والياء تحتمها نعتان مضمومة . . الجبل المشرف على مدينة دمشق
وفى سفيحه مقبرة أهل الصلاح . . معجم البلدان لياقوت ج ٧ ص ١٢ .
(٢) ج ٢ ص ٣٢٨ .

فلان لا تحزن إذا نُكبت ، واعرف ما السبب
فما تولى حاكم بفضة إلا ذهب
ونرى أن من أسباب محنة التاج السبكي عداوة البيت السبكي لابن تيمية ،
ولابن تيمية أنصار وأتباع كثيرون في الشام . فلا بدّ أنهم أزمعوا على
الكيد له ، وأجمعوا أمرهم على التدبير عليه . وسيرى القارىء أن الذى قضى
بسجنه فى قلعة دة شق ابن قاضى الجبل قاضى قضاة الحنابلة ، وكان من تلامذة
ابن تيمية والمتعصبين له .

ويقول صاحب الدرر الكامنة^(١) : « وحصل له بسبب القضاء محنة شديدة
مرة بعد مرة ، وهو مع ذلك فى غاية الثبات . ولما عاد إلى منصبه صفح عن كل
من أساء إليه . » ويتبين من هذا أن الاتهام كان مبعثه العداوة من أناس بينه
وبينهم شحنةا وشتان ، وأنه كان حليما واسع الصدر ، عزوفا عن الانتقام .
وكانت إحدى محنه سنة ٧٦٣ هـ وفى هذه المرة ولى أخوه البهاء السبكي
قضاء القضاة مكانه ، وولى هو وظائف أخيه فى مصر ، ومكث البهاء فى هذا
المنصب ثمانية أشهر .

وكانت محنته الأخيرة سنة ٧٦٩ هـ ويقول صاحب الدرر الكامنة : « وكان
من أقوى الأسباب فى عزله المرة الأخيرة أن السلطان لما رسم بأخذ زكوات
التجار فى جمادى الأولى سنة ٧٦٩ هـ وجد عند الأوصياء جملة مستكثرة ، لكنهم
صرفت بوصولات ليس فيها تعيين اسم القابض . فأريد من ناظر الإيتام أن
يعترف أنها وصلت للقاضى ، فامتنع : قال الأمر إلى عزل القاضى ، وترى من
هذا أنه وجد أوراق فيها أخذ أموال من التجار برسم الزكاة ، ولم يبين
مصارفها ، فاتهم بها القاضى ، ولم يكن هناك حجة على وصول المال إلى القاضى ،
فتحيلوا على عزله بهذا . وليس هذا هو السبب الحقيقى لهذه المحنة ، إنما هو أن

أمير على المارديني الذي كان نائب الشام ، وعمل معه التاج موقعا للدست ،
ونائبا للحكم ، وقاضى القضاة كان منحرفا عنه ، ولا بد أن يكون ذلك لوشايات
بلغت عنه ، أو لأن التاج خالفه فى بعض هواه ، ونقم عليه بعض مالا يرضاه .
وترى فى تاريخ المارديني أنه كان رجلا محبا للعلماء ، سالكا الجادة ، محالفا
لسنن الشرع ، ولكنه — على كل حال — حاكم يسوءه أن يخالف فى بعض
أمره ، وكان التاج فى قضائه صارما لا يدين فى الحق ولا يرهبه سلطان .

وهذا الأمير ولى فى سنة ٧٦٩ نيابة مصر بعد نيابة الشام ، فاتسع سلطانه ،
وقويت كلمته ، وكان أول شىء تكلم فيه واهتم له عزل تاج الدين من قضاء
الشام ؛ وولى مكانه الشيخ سراج الدين البلقينى . ووجهت الخصومة إلى تاج الدين
وعقد له مجلس حكم ، حكم عليه فيه ابن قاضى الجبل^(١) بأن يحبس سنة .
وقد أعيد تاج الدين إلى منصبه بعد أن مكث فى السجن فى قلعة دمشق
ثمانين يوما .

ويذكر الشعرانى المتوفى سنة ٩٧٣ فى محنة التاج : أن ذلك لاتهمه بالزندقة
وما يتبعها . قال فى « الأجوبة المرضية »^(٢) ، عن أئمة الفقهاء والصوفية : « إن
أهل زمانه رموه بالكفر واستحلال شرب الخمر والزنى ، وأنه كان يلبس
الغيار^(٣) ويشد الزنار^(٣) بالليل ، ويخلعهما بالهار ، وتحزّبوا عليه ، وأتوا
به مقيدا مغاولا إلى مصر ، وجاء معه خلائق من الشام يشهدون عليه . ثم
تداركه اللطف على يد الشيخ جمال الدين الإسنى . ومن عجيب الأمر أن مثل
هذه التهمة جرت على قاضى القضاة ابن بلبت الأعز ، وقد حكاهما التاج

(١) هو أبو العباس أحمد بن الحسن الحنبلى ، يقول فيه صاحب الدرر : « ولى القضاء سنة ٧٦٧
فلم يحمى فى ولايته » توفى سنة ٧٧١ .

(٢) انظر كتاب جلاء العينين فى محاكمة الأحمدين ص ١٦ .

(٣) الغيار ما يلبسه الذمى مخالفا لونه لون ثوبه ؛ كأن يضع على ثوبه الأسود منديلا أحمر ، ومن
ذلك ما يفعله بعض المسيحيين فى مصر من لبس عمامة سوداء . والزنار — على زنة رمان — خيط
غليظ يشد فى الوسط فوق الثياب .

في طبقاته . فيذكره أن ابن السكعوس وزير السلطان الأشرف كان يكره ابن بنت الأعزّ ، فكاد له ، وجهاز من شهد عليه زوراً بأمور عظام ، حتى وصل من بعضهم أن أحضر شاباً جميلاً اعترف على نفسه بين يدي السلطان بأن القاضي لا ط به ؛ وأحضر من شهد عليه بأنه يحمل الزنار في وسطه . فقال القاضي : أيها السلطان ؛ كل ما قالوه بما يمكن ؛ لكن حمل الزنار لا يعتمد عليه النصارى تعظيماً ، ولو أمكنهم تركه لتركوه ، فكيف أحمله أقال التاج : « وكان القاضي بريئاً من ذلك بعيداً عنه من كل وجه ، رجلاً صالحاً لا يشك فيه . وآخر الأمر أنه نزل ماشياً من القلعة إلى الحبس ، وعزل وخيف عليه أن يجهز الوزير من يقتله ^(١) ، وقد كان خطر بالبال أن رواية الشيخ الشعرائي هذه سرت إليه من قراءته في الطبقات ، فاستقرت في ذهنه التهمة ، واطول العهد بها توهمها للتاج السبكيّ ، وقد يعين على هذا الخاطر أنا لم نقف على هذا في روايات المعاصرين للتاج ، وقد علمت أن الشعرائي تأخرت وفاته عن وفاة التاج بأكثر من قرن . على أن هذا حدس وظنّ قد يكون الواقع خلافه ، وقد تكرر مثل هذا الاتهام والامتحان للفضلاء ، وهو يدل على سير المتأمرين بهم على خطة متقاربة ، وسنة متشابهة ، والله حسيبهم .

ويعجبنا أن نسوق في هذا الموطن ما قاله ابن حبيب في كتابه « درة الأسلاك في تاريخ الأملاك » ، إذ يقدم التاج السبكيّ فيقول : « إمام كبير ، وحاكم خبير ، ورئيس فلّك ما أثره أثير ، وما جدد نخر علومه في الآفاق مستطير . أغصان مكارمه باسقة ، وأنهار فضائله دافقة ، ولسان عبارته فصيح تبجحت بمرافقة أرباب السياسة ، وافتخرت بمقارنة تاجه رموس الرياسة ، وانشرت بأحكامه صدور المجالس ، وتأرجت بأنفاسه أرجاء المنابر والمدارس . سمع وقرأ وكتب ، وأخذ عهد والده قدوة أهل العلم والأدب .

وأفاد المشتغلين والطلّاب ، وانتفع به كثير من الأولياء والأصحاب . درّس بالعادلية والغزالية ، والأمينية والناصرية ، ودار الحديث الأشرفية ، والشامية البرانية . وباشر القضاء بدمشق أربع مرّات ، ونال بخطابة الجامع الأموى أنواعاً من المسرّات ، وله مصنّفات جمّة الفوائد ، منتظمة العقود والقلائد .

ملحظة التاج وبعض مزاياه :

بلغ التاج من المنزلة العلمية المسكّنة العلية ، وقد وسم بالاجتهاد في الفقه ، وينقل السيوطي أن التاج كتب إلى نائب الشام أنه بلغ مرتبة الاجتهاد المطلق وهو مقبول فيما قال عن نفسه ، ولم يجرؤ أحد أن يردّ عليه هذه الدعوى . ويرى القارىء لكتاب « معيد النعم » في التاج مزية جليلة : ذلك أنه شافعي ضليع من أركان هذا المذهب ، والذابين عنه ، والمتشددين في تأييده ، ومع هذا ينعى على الفقهاء تعصّبهم لمذاهبهم الفرعية ، ويدعوهم إلى ترك الشقاق فيها وأن يكونوا يداً واحدة في إنكار المجمع عليه من المنكرات ، وهو يدعو إلى الأخذ من المذاهب لما فيه المصلحة ، وذلك من سعة أفقه وسداد رأيه وصحة نظره : ففي صفحة ٧٤ ينكر على من تأخذه الحمية من الفقهاء والعصية لمذهبه ، بحيث يمنع من الصلاة وراء من خالف مذهبه ؛ وتراه في صفحة ٢٣ حين يتكلم على قطاع الطريق وذوى الفتن والثورات كالبدو الذين اعتادوا السلب والنهب يقول : « وإن رأى نائب السلطان تقليد بعض المذاهب في شدة تعزيرهم ، والمبالغة في عقوبتهم على جرائمهم ، وطول مكثهم في السجن فله ذلك بشرط أن يكون الحامل له على ذلك المصلحة لا التشهي » ، ويريد ببعض المذاهب مذهب الإمام مالك رضى الله عنه ، وانظر في حكم التعزير عنده ص ١٠٢ .

(ب) آثار التاج السبكي

ترك التاج السبكي آثاراً نافعة ، وقد رزق السعادة في تأليفه ، فانتشرت وانتفع بها الناس ، وسنتكلم على بعضها :

١ - فن آثاره جمع الجوامع في أصول الفقه ، وقد ختم ببذرة في أصول الدين . وهو كتاب حافل جمع فيه زهاء مائة كتاب في الأصول ، وخدمه العلماء بالشروح والحواشي ، وكان يدرس إلى عهد قريب في الأزهر . فرغ منه مؤلفه في سنة ٧٦٠ هـ وهو قاضي القضاة بدمشق . ونرى في ختام نسخة جمع الجوامع المخطوطة المحفوظة في دار الكتب المصرية تحت رقم ٦٠ (أصول الفقه) ما يأتي : « قال مصنفه - أسبغ الله ظلاله - : فرغت من تصنيفه أخريات ليلة حادى عشر ذى الحجة الحرام ، سنة ستين وسبعمائة ، بمنزلة بالدهشة من النيرب ، بظاهر دِمَشق ، حماها الله » ونقل صاحب البيت السبكي خاتمة لجمع الجوامع يقول فيها المؤلف : إنه فرغ منه بمنزلة بالدهشة من أرض المِزّة - وكتبت المرة - ويعتمد الأستاذ هذه الخاتمة ، ولا يرضى بما قاله بُرْكلبان : إن بيته كان في النيرب - وكتب نيراب - ويقول الأستاذ : « ولا أدري من أين جاء بركلبان بهذا ؟ » وقد علمت مآتى كلام بركلبان . وبعد فلا تنافي بين الخاتمتين ، فقد كان منزله بالدهشة ، وهى تارة تنسب إلى المِزّة ، وتارة إلى النيرب ، لمساسها بكلمتا الحِطَّتين ، وقد وقع للدُّوَلَف أن ذكر ختام كتابه في نسختين كتبهما أو كتبته ، والمنزل واحد ، فهو في الدهشة على كلمتا النسختين .

٢ - - تكملة شرح منهاج القاضى البيضاوى فى الأصول . وذلك أن والده التقي السبكي بدأ هذا الشرح وعمل منه قطعة صغيرة ، ثم أتمه التاج . ويبدو أن التاج عمل التكملة فى حياة والده ؛ فهو يقول فى ص ١٤٣ ج ١ :

« وقد وضع والدى — أطال الله بقاءه — في هذا الفصل أرجوزة حسنة ، وقد طبع هذا الكتاب في مصر .

- ٣ — شرح مختصر ابن الحاجب ، في الأصول . وسماه : رفع الحاجب .
عن مختصر ابن الحاجب . (لم يطبع)
- ٤ — الترشيح ، في اختيارات والده في الفقه . (» »)
- ٥ — التوشيح على التنبيه . (» »)
- ٦ — الأشباه والنظائر الفقهية . (» »)
- ٧ — طبقات الشافعية الصغرى . (» »)
- ٨ — طبقات الشافعية الوسطى . (» »)
- ٩ — طبقات الشافعية الكبرى . طبع في ستة مجلدات .

وسندكر هنا كلمة في طبقات الشافعية . فقد عني التاج السبكي أن يؤلف تأليفاً يجمع الشافعيين ، وتواريخ حياتهم ، وآثارهم . وقد ساعده على ذلك ما وهب له من سعة الاطلاع والزكاة ، والتحقيق والإحاطة بشتى الفنون . ويبدو أن المؤلف بنى عمله على البسط والتوسع ، وأن يذكر كل ما يعرف عن المترجم له ، وهذه خِطة الطبقات الكبرى . وعرض له في أثناء اشتغاله بالطبقات الكبرى أن يكتب بجانبها الطبقات الوسطى ، والطبقات الصغرى ، ولا مِرية أن لكل ضرب طلابه والمستفيدين منه ، فاشتغاله بالطبقات الكبرى سبق اشتغاله بالصغرى والوسطى . ونحن نعتمد في هذا الحكم على كلام المؤلف في الطبقات الوسطى ، والصغرى . يقول في الطبقات الوسطى^(١) : « وبعد فقد ألفنا كتاباً فيه ، مبسوطاً حافلاً حاوياً لما يراد منه . وذلك لأننا نستوعب ترجمة الرجل على الوجه الملائم وإذا كان غلب عليه الفقه ، وقلت الرواية عنه أعملنا جهدنا في تخريج حديثه . وربما ذكرنا في بعض التراجم حادثة عظيمة فشرحنها .

(١) انظر كشف الظنون في الكلام على طبقات الشافعية .

ولم يخل الكتاب مع ذلك عن حكايات وأشعار ومُلح ونوادر . وكان أعظم مقاصدنا فيه أن نذكر في ترجمة كل رجل ما بلغنا عنه : من مقالة غريبة ذهب إليها ، أو وجه ضعيف عرّى إليه ، أو مسألة مستغربة ذكرها في كتاب ، أو ذكرت عنه ، ولا مرأ أن هذا وصف للطبقات الكبرى . وتراه في خطبة الطبقات الصغرى يقول : « هذا مختصر لطيف في تاريخ الفقهاء الشافعيين ، أصحاب الإمام محمد بن إدريس الشافعي » ، رضى الله عنه ، جمعنا فيه ما أوردناه في كتابنا الكبير من الأسماء . واقتصرنا فيه على نبذ يسيرة . أعان الله على إكمالها ، بمنّته وكرمه وإفضاله . » .

وهذا الرأى الذى رأيناه فى تاريخ الطبقات للتاج لا يرضى صاحب « البيت السبكى » ، فيقول فى الحديث عن الطبقات الكبرى : « ذهب بعضهم ، كما ذهب واضعوه فهاردس دار الكتب المصرية إلى أن المؤلف اختصرها فى الطبقات الوسطى ، ثم اختصر هذه فى الطبقات الصغرى ، وهذا وهم ؛ فالثابت أن الطبقات الوسطى ألّفت قبل الكبرى ، لأننا نجد فى جزء من الوسطى مخطوط : قال المؤلف رحمة الله عليه : فرغت منه فى ليلة الثالث والعشرين من ذى القعدة سنة أربع وخمسين وسبعمائة ، بدمشق المحروسة ، عمرها الله تعالى اهـ والطبقات الكبرى إنما فرغ من تأليفها سنة ٧٦٦ هـ كما جاء فى ذيل كثير من الأجزاء ، وكما ترى فى إحدى القطع الثلاث فى صدر هذا البحث ، التى يقال : إنها بخطّ تاج الدين ؛ وثابت أن الطبقات الوسطى ألّفت وأبو المؤلف من الأخياء ؛ ففى الطبقات الكبرى أن على بن عبد الكافى كتب بخطّه على ترجمته فى الطبقات الوسطى عبارة اختتمها بقوله : كتبه على السبكى فى يوم السبت مستهل جمادى الآخرة سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة . لكن الطبقات الكبرى ألّفت بعد والد المؤلف ، ففى غير موضع منها يذكر المؤلف والده ويترحم عليه ، فلا نزاع إذن فى أن الوسطى ألّفت قبل الكبرى ، وقد علمت أن الذى

يؤخذ من كلام السبكي نفسه أنه ابتدأ بالطبقات الكبرى ، وكتب بجانبها الوسطى والصغرى ؛ ونقول هنا : إنه لم يتم الكبرى إلا بعد وفاة والده ، فمن ثم اختصها بترجمة والده ، وفي قراءة هذه الطبقات للمرة الأخيرة كان يترجم على والده حين يعرض له .

هذا ، وقد أسلفنا أن كتاب الطبقات الكبرى قد طبع ، ونقول الآن : إن في النسخة المطبوعة تحريفاً كثيراً ، والكتاب يحتاج إلى جهد لإخراجه في صورته الصحيحة . ونسوق من أمثلة سقم إخراج هذا الكتاب الكلام على برهان الدين السنجاري جد المؤلف من قبل الأتم ويقول صاحب البيت السبكي ، في هذه الترجمة الواردة في الطبقات في ص ٥٥ ج ٥ ، وعبارة الطبقات في ترجمة السنجاري — على قصرها — مصحفة على ما يظهر ، تصحيفاً لا يعين على معرفة شيء عن جده هذا ، سوى أن أتم ناج الدين من بيت علم ، وبما ورد في هذه الترجمة أن صاحبها كانت وفاته سنة ٦١٨ هـ على حين أن برهان الدين السنجاري خلف بهاء الدين بن حنّا في وزارة مصر سنة ٦٧٧ هـ فكيف تكون وفاته في السنة السالفة !

وقد ظهر أنه ألحق في الطبع بترجمة السنجاري ترجمة أخرى أدخلت في الأولى ، ولا بد أنه حذف من الأولى سنة وفاة السنجاري . والترجمة الملحقه هي — كما في الطبقات الصغرى — ترجمة داود بن بندار بن إبراهيم الجيلي أبي سليمان ، وهذه الترجمة ابتدئ بها حرف الدال ، وترجمة السنجاري ختام حرف الحاء ؛ إذ هو الخضر بن حسن بن علي ، وداود هذا هو الذي كانت وفاته سنة ٦١٨ ، فأما السنجاري فقد كانت وفاته — على ما في الطبقات الصغرى — سنة ٦٨٦ هـ .

(ج) معيد النعم ، ومبيد النقم

هذا الكتاب هو الذى استبدّ بإعجاب صاحب البيت السبكيّ ، وحفزه على أن يكتب عن التاج وعشيرته ، وهو يذكر أن هذا الكتاب التفت إليه المستشرقون ؛ فعرض له بركلمان ووستنفلد ، وتوفّر على الاهتمام به المستشرق السويديّ مِهْرْمَنْ . فلقد درس الكتاب ، ووضع له مقدّمة حافلة بحياة المؤلف والبيت السبكيّ ، وتعليقات على الكتاب ، وأخرج من ذلك مع الكتاب نسخة طبعت في ليدن .

وقد بنى المؤلف كتابه على ذكر ما يحفظ على الإنسان في هذه الحياة النعمة التي أسداها الله إليه ، ويدفع عنه سوء والبأساء . ومرّد ذلك إلى أن يقوم كل امرئ بما يجب عليه ، ويؤدّي حقّ العمل الذي خصّص نفسه به ، ويراعى مارسم الشرع في أمره . وقد استتبع ذلك أن يذكر الأعمال في عصره والوظائف الديوانيّة وغيرها ، ويفصّل ما يطلب في كل عمل ووظيفة ، ويذكر ما يقضى به القانون الشرعيّ حتّى يفضي العمل إلى غايته الصحيحة ، ويتكوّن مجتمع صالح في هذه الحياة .

وقد أيدّه وأعانه على هذا سعة فقهه ، وخبرته بأحوال عصره ، وشئون الدولة وطبقات الناس ؛ فقد ولى وظائف تجعله بسبب قوى من الحكّام ، وسواد الناس وعامة الشعب .

وقد ذكر طبقات الناس في عصره في أمثلة عددها اثنا عشر ومائة ، وهذا على ما في معظم النسخ . وفي نسخة ليدن زيادة مثال ، وهو السادس والخمسون في القرّاء الذين يقرءون القرآن بالألحان . فبلغت الأمثلة ثلاثة عشر ومائة . وقد جرينا على هذا .

ونحبّ أن نجلو هنا في إيجاز بعض مزايا الكتاب : —

١ — فقيه حثّ على التزام الأخلاق الحميدة العملية ، والواجب في كل

وظيفة ومهنة ، وتفصيل ذلك وتعداده ، دون الاقتصار على الأخلاق العامة ؛ كالنزام الأمانة فيما يتولى المرء من عمل ، والإخلاص ، وربط هذا بالواجب الدينى ؛ كى يكون على العامل رقيب لا يغفل ، وهو ما يشعر به من قبل الدين والإيمان ؛ وهذا أفعلى فى النفس وأدعى إلى الاستقامة على الطريقة من طنطنة بعض أهل العصر الذين يشيدون بالأخلاق العملية المحضة ، فيقولون : إن على المرء أن يرفعى حق عمله فى الدنيا ، ولا عليه بعد ذلك أن يأتى مانهى عنه ، أو يخل بالواجب عليه فى حق الله تعالى . وقد عرض المؤلف لهذا الزعم فى ص ١٤ ، وبين أن من قصر فى حق الله تعالى قصر فى حق الخلق ، وأورد قول الإمام الشافعى رضى الله عنه : من ضيع حق الله تعالى فهو لما سواه أضيع .

٢ - جعل سبيله فى حمل الموظف أو العامل على سلوك الجادة أن يذكره بتقلب الزمان ، وصرف الجِدَّان ، وتقلُّص النعمة ، ويسند ذلك إلى الخيد عن الصراط المستقيم ، ويضرب المثل بمن ساء عمله من الرؤساء وذوى النعمة ، فسلبهم الله ما هم فيه . وهذه طريق ناجعة ، فإن كل ذى نعمة يحرص على دوامها ، ويفزع من هول انصرامها .

٣ - يعيب بعض البدع والمساوىء فى عصره ؛ كتثقيب الأرض بين أيدي الملوك والأمراء ، وهو ما كان شائماً فى عهده - انظر ص ٢٠ وما بعدها .

ومن ذلك حملته على إلزام الفلاحين فى الإقطاعات بالفلاحة وحشه على تركهم أحراراً - ص ٢٤ .

ومن ذلك إنكاره على اتخاذ الأمير من يحمل نعله - وهو البشمقदार - وانظر ص ٣٦ .

٤ - فى الكتاب مسائل مهمّة ، من الخير التنبيه عليها .
فمن ذلك ما يذكره فى ص ١٨ من أن على ذوى السلطان ألا يكلموا العلماء

إلى أوقافهم ، بل يرزقونهم من بيت المال ما تتم به كفايتهم . وهذا الأصل قد أخذت به الدولة المصرية الرشيدة ، أعزها الله .

ومن ذلك أنه يوجب على كل ذى عمل أن يقوم بالواجب عليه فيه ، ويعتقد أنه مسئول عن عمله ، عليه تبعته ، وليس له أن يرعى طاعة أمير أو رئيس فيما يخالف الشرع والقانون . وهذا أصل عظيم إذا أخذ به الكافة صلح أمرهم ، وكان منهم المدنية الفاضلة حقاً . ففي ص ٢١ يقرر أن على نواب السلطنة أن يراجعوا السلطان إذا أمر بما يخالف المصلحة . وفي ص ٣٨ في الكلام عن السقاة يذكر أنه لا يحلّ لساق يؤمن بالله أن يحضر لمخدومه مسكراً يشربه ، وعليه إعمال الحيلة في سدّ هذا الباب .

ومن المبادئ السامية في هذا الكتاب قوله في ص ٤٥ : إنَّ ضرب برى أصعب عند الله من تخلية ذى جريمة .

وفي ص ٢٧ تكلم على خلط المال الحلال والحرام . وهذا يجري الآن في المصارف وفي خزائن الدولة . وهو يقول : إن هذا المخلوط يصير كله حراماً ، وما اجتمع الحلال والحرام إلّا غلب الحرام الحلال .

وكانت الولاية في زمنه يأمرؤن من يزنى بامرأة أن يتزوجها ، يظنون أن ذلك خير من ضياع الولد بلا نسب . ويذكر المؤلف أن هذا خلاف دين الله تعالى ؛ فإن ولد الزنى لا يلحق بالزاني ، ولا يكون ابناً له ، ولا يرثه . وإنما جزاء الزانى إذا لم تكن المرأة مطاوعة مقرر في الفقه . ومثل هذا قد يجري الآن ؛ يلزم الزانى أن يتزوج من زنى بها في بعض الحين فراراً من تبعة الزنى الجنائية . وانظر ص ٤٥ .

وفي ص ٦٦ يذكر أن في تسعير السلع المبيعة^(١) خلافاً بين الفقهاء . ولكن إذا سعر الحاكم انقادت له الرعية ، ومن خالفه استحقّ التعزير والتأديب .

وفي ص ١٠٢ يذكر أن عين الوقف إذا خربت وتعطلت منفعتهما

(١) المروضة للبيع .

ولم يكن ما تعمر به يجوز بيعها عند الإمام أحمد رضى الله عنه .
وفى ص ١٢٩ يذكر أن أوقات الصلوات لا تدخل تحت الإجارة .
٥ — وترى المؤلف لا يحقر العمل إذا كان غير محرم وإن احتقره الناس .
انظر قوله فى ص ١٤٥ فى الكلابزى : « لله عليه نعمة أن جعله خادماً للكلاب
ولم يجعله عاصراً نحر أو غير ذلك بما ابتلى به بعض عبده » .

* * *

يتجلى من هذا العرض الموجز للكتاب أنه مادة وافية للتورخ المحقق الذى
يهمه معرفة الحقائق من مصادرها والحوادث من عاصرها ؛ فقد استقصى المؤلف
الوظائف وطبقات الناس فى عهده ، وألم بالمساوى ، وسير العمال للإمام لخير العالمين .
وهو مرجع للمصلح الاجتماعى الذى يعنيه تقويم الشعوب وتثقيف
اعوجاجهم .

وهو مدد عظيم الشأن لسياسة الشعوب الذين يرغبون فى سياسة شعوبهم
سياسة رشيدة لا عنت فيها ولا حيف .
ثم هو بما اشتمل عليه عرضاً من فكاكة وأدب يعجب الأديب ويستمويه .
كل ذلك بأسلوب رائع واضح ، وبلغته العالم المتصوف الذى يصدر عن
عقيدة وإيمان ، فينفذ كلامه إلى الجنان ويلس مكان الوجدان من الإنسان .
فهو إذن كتاب سياسة وأدب ، وتاريخ واجتماع ، بلغة الكاشفين
ولسان العارفين .

تاريخ تأليف الكتاب :

لم نقف على ما يجعلنا نجزم بتاريخ تأليف هذا الكتاب ، ولكن من الثابت
أنه ألفه بعد وفاة والده سنة ٧٥٩ هـ ؛ فهو فى مواضع كثيرة من الكتاب يترحم
عليه . انظر ص ٢٤ فقيها : « وهو رأى الشيخ الإمام تغمد الله برحمته » .
وفى ص ٦١ فى الكلام على رأى والده فى كتابة الصداق على الحرير

يقول : « وهذا آخر الأمرين منه » وهذه العبارة تلي بوفاته . وفي ص ٥٠ يتحدث عن نائب الشام بما يُقرب أنه أمير على المارديني — كما ذكرنا في تعليقنا — وأنه كان حين ذلك في نيابته للمرة الثالثة ، وقد كان هذا سنة ٧٦٢ هـ فإن صح هذا أمكننا أن نجعل تأليف الكتاب في هذا السنة ، أى بعد تأليف كتابه « جمع الجوامع » بسلتين .

نسخ الكتاب :

طبع كتاب « معيد النعم » في مصر مرتين ، وطبع في « ليدن » وهذه الطبعات الثلاث لا تخلو من التغيير والتحريف — كما ذكرنا في مفتتح كلامنا — ولم نشأ أن تدون أمثلة لذلك ؛ فمن شاء فليرجع إلى هذه النسخ .

وقد عثرنا — بعد البحث — على ثلاث نسخ مخطوطة : إحداها في دار الكتب الأزهرية ، والاثنان الآخران في دار الكتب الملكية . وكان جل اعتمادنا على هذه النسخ الثلاث المخطوطة :

- ١ — فأما مخطوطة دار الكتب الأزهرية فرمزنا لها بالحرف (ز) .
- ٢ — وأما مخطوطة دار الكتب الملكية (رقم ١٨٢ مجاميع) فقد رمزنا لها بالحرف (د) وتمت كتابتها نهار الخميس الثامن والعشرين من صفر سنة ٩٥٣ هـ
- ٣ — والمخطوطة الثالثة مخطوطة فاضل باشا وهي في دار الكتب الملكية أيضاً (رقم ١٧٤ مجاميع م) وقد رمزنا لها بالحرف (ف) وتمت كتابتها في الثاني عشر من رجب سنة ١٨٩٠ هـ .

وأهم هذه النسخ جميعاً نسختا دار الكتب الملكية ؛ فهما أقدم النسخ التي بين أيدينا .

وقد جرينا على أن نرمز للنسخة ليدن بالحرف (ل) ، ولطبوعتي مصر — وهما لا تختلفان إلا في الندرة — بالحرف (ط) .

وقد أثبتنا اختلاف النسخ في ذيل الصفحات من الكتاب وعلقنا عليه بما تمس الحاجة إليه . والله يتولى جزاء المحسنين .

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الإمام العلامة قاضي القضاة شيخ الإسلام تاج الدين السبكي الشافعي تغمده الله تعالى برحمته :

أما بعد حمد الله معيد النعم ، ومبيد النقم ، بمزيد^(١) الشكر ومديد الكرم ، والصلاة والسلام على نبيه سيدنا محمد خير العرب والعجم ، والهادي إلى أرشد طريق وأقوم أمم^(٢) وعلى آله وأصحابه وصالحى أمته خير الامم ، فقد ورد على سؤال مضمونه : هل من طريق لمن سلب نعمة دنيوية أو دنيوية ، إذا سلكها عادت إليه ، وردت عليه ؟ فكان الجواب : طريقه أن يعرف : من أين أتى^(٣) فيتوب [منه^(٤)] ويعترف بما في المحنة بذلك من الفوائد فيرضى بها ، ثم يتضرع إلى الله تعالى بالطريق التي نذكرها .

هذه^(٥) ثلاثة أمور هي طريقه^(٦) التي يحصل بمجموعها دواء مرضه ويعقبها زوال علته ، بعضها مرتب على بعض لا يتقدم ثالثها على ثانيها ، ولا ثانيها على أولها .

فعاد إلى السائل قائلا : اشرح لنا هذه الأمور شرحاً مبيناً مختصراً ، وصِف لنا هذا الدواء وصفاً واضحاً : لتستعمله .

فقلت : هذا سرّ غريب ، جمهور الخلق لا يحيطون بعلمه ، ونبأ عظيم

(١) أي بالشكر من العبد والكرم من الرب سبحانه وتعالى .

(٢) الأمم : القصد والوسط . يريد الطريق السوى الذي لا اعوجاج فيه .

(٣) أي أصيب من قولهم : أتى فلان : أشرف عليه العدو .

(٤) هذه الزيادة في ل . وفي ط ، د (عنه) ولم تثبت في ز ، ف .

(٥) هكذا في ل ، ف ، د . وفي ط : (فهذه) .

(٦) هكذا في ف ، ط . وفي د : (الطريقة) .

أكثر الناس معرضون عن فهمه : لاستيلاء الغفلة على القلوب ، وغلبة الجهل بما يجب للربّ على المربوب .

وأنا^(١) أبحث عن هذه الأمور في هذا المجموع الذي سمّيته : (معيد النعم ، ومبيد النقم) بحثاً مختصراً ، لا أرحى فيه عنان الإطناب : فإنه بحر لا ساحل له ، لو ركبت فيه الصعب والذلول ، وثمرت فيه عن ساق البيان ، وخضت فيه لجج الدقائق ، لذكرت ما يعسرفهمه على أكثر الخلائق ، ولانتهينا إلى ما لم يؤذن^(٢) لنا في إظهاره من الأسرار العلية . وإنما أذكر من ذلك ما تشترك الخاصة والعامة في فهمه ؛ وأخصّ فيه النعم الدنيوية ؛ إذ كانت محطّ غرض السائل ؛ عسى الله أن يلهمها للنعم^(٣) الآخروية ؛ إذ هي غاية الوسائل وأنا أرجو أن من^(٤) كانت عنده نعمة الله تعالى في دينه أو دنياه وزالت ، فنظر^(٥) هذا الكتاب نظر معتقد ، وفهمه ، وعمل بما تضمنه بعد الاعتقاد ، عادت إليه تلك النعمة أو خير منها ؛ وزال همه بأجمعه ، وانقلب فرحاً مسروراً فمن شكّ فليستعمل هذا الدواء ، لا^(٦) على قصد التجربة والافتقاد^(٧) ونظر الاختبار والانتقاد ، بل بحسن الظن وجميل الاعتقاد ، فإنه عند ذلك يظفر بغاية المراد .

(١) هكذا في د ، ف ، ط . وفي ل ، ز : (وإنما) .

(٢) يريد دقائق المسائل التي وقع عليها العلماء بالجهد في التفكير ، ولم يكلف الناس معرفتها ، كالبحث في أن الصفات الواجبة لله عين الذات أو غير الذات ، والبحث في الصفة النفسية والمعنوية ، وما جرى هذا المجرى ، فأما ما كلف الناس معرفته من الدين فهو مذاع واجب على العالم ألا يكتمه . والباطنية ومن إليهم من أهل الضلال ، هم الذين ينحون هذا النحو ليتوسلوا إلى إضلال الناس .

(٣) هكذا في ف ، د ، ط . وفي ز (على النعم) .

(٤) هكذا في ل ، ف ، ز . وفي ط (لمن) وهو لا يناسب السياق .

(٥) هكذا في ف ، ل ، ز . وفي د ، ط (في هذا الكتاب) .

(٦) استعمل المؤلف في هذا الأسلوب لا دون تكرار . وعلماء العربية لا يميزون هذا ويوجبون التكرار . والمؤلف كثيراً ما يجري على الشائع من الأساليب التي لا توافق النحو ، كما سترى .

(٧) هكذا في ف ، ل ، د . وفي ط (وردى الاعتقاد) ، وكذا في نسخة على هامش ل . والافتقاد للشيء طلبه ، وذلك يقتضى عدم الجزم به وعدم اليقين بأمره .

أسأل^(١) الله أن يصرف إليه عزمة مستحقه^(٢) ويصرف عنه همة من لا يستحقه ولا يدره .

(الأمر الأول) أن تعلم من أين أتيت ، وما السبب الذي زالت به عنك النعمة ؟ فإن النعمة لا تزول عنك سدى^(٣) وإن^(٤) الله لا يغير ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

اعلم أنها لم تزل عنك إلا لإخلالك بالقيام بما يجب عليك من حقوقها ، وهو الشكر ؛ فإن كل نعمة لا تشكر جدرة^(٥) بالزوال . ومن كلامهم : النعمة^(٦) إذا شكرت قرت ، وإذا كفرت فرّت . وقيل : لازوال للنعمة إذا شكرت ، ولا بقاء لها إذا كفرت . وقيل النعمة^(٧) وحشية^(٨) فاشكلوها بالشكر . والأدلة على أن كفران النعم يوجب انزواها كثيرة ، فلا نطيل [بذكرها^(٩)] . والحاصل أن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم دالان على أن كفران النعمة^(١٠) يؤذن بزوالها ، وشكرها يقضى بمزيدها . وذكر العارفون أن الرب قطع بالمزيد مع الشكر ، ولم يستثن فيه ، واستثنى في خمسة أشياء : في الإغناء والإجابة والرزق والمغفرة والتوبة فقال تعالى : « فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء » ، وقال تعالى : « فيكشف ما تدعون إليه إن شاء » ، وقال تعالى : « يرزق^(١١) من يشاء » ، ويغفر لمن يشاء » ، وقال تعالى : « ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء » ،

(١) هكذا في ف . وفي ط (وأسأل) . وفي ل : وأنا أسأل .

(٢) هكذا في ف ، د ، ط . وفي ل (مستحقه) وهي لا تناسب السجع .

(٣) السدى : المهمل ، تقول : إبل سدى (لاراعي لها) . وهو يريد أن النعمة لا تزول عنك دون سبب منك يستوجب زوالها ، فالنعمة ليست متروكة لنفسها تزول من تلقاء نفسها ، بل عليها عاصم من أمر الله يشترط عليها ألا تفارق حتى يكفرها صاحبها .

(٤) هذا بعض الآية (١١) من سورة الرعد ، وليت واو العطف من الآية الكريمة .

(٥) هكذا في ف ، د ، ل . وفي ط (حرية) .

(٦) هكذا في ط ، د . وفي ف : النعم .

(٧) أى كالذابة الوحشية غير المتأنسة فلا تهر إلا إذا قيدت وقوله : فاشكلوها أى اربطوها ، يقال شكل الذابة (ربطها) ويسمى الجبل الشكال .

(٨) هكذا في ط . ولم تذكر هذه الزيادة في بقية الأصول .

(٩) في ل (والله يرزق) .

وقال في الشكر من غير استثناء: «لئن شكرتم لأزيدنكم» فإن قلت: فما الشكر؟ قلت: قد شرحه العارفون. وبينوا حقيقته. وأنا أختصر لك القول فيه، وآتى بما يقرب من فهمك؛ فأقول: الشكر يكون بالقلب واللسان والأفعال. هذه أركانه^(١) الثلاثة: أما القلب — وهو أعظمها — فالمراد منه أن تعلم وتعتقد أن الله هو الذي منحك النعمة لا أحد سواه شاركة؛ فإن كل من تقدره من كبير وأمير^(٢) ووزير وصاحب و خليل ووالد وغيرهم لا يقدر^(٣) على فعل شيء لنفسه فضلا عن غيره^(٤) وإن جرى على يديه خير فالله تعالى هو^(٥) الذي أجراه على يديه؛ وإلا فهو لا مدخل له فيه ولا صنع. فمن أنعم عليه ملك من الملوك بشيء فإن رأى لوزير الملك أو لحاشيته مدخلا في تيسير ذلك وإيصاله فهو إشراك بالملك في النعمة، إذ لم ير النعمة منه من كل وجه، بل رآها منه ومن غيره فيتوزع^(٦) فرحه عليهما، فلا يكون موحدًا في حق^(٧) الملك فمن حق الملك أن يعاقبه على هذا الاعتقاد.

فإن قلت ما علاج هذا الداء فيأني أرى^(٨) أناساً لي عليهم خدمة، ولي عندهم يد، وبينى وبينهم صداقة، يصدر على أيديهم نفعي في ديني ودنياي^(٩) فلا أستطيع أن^(١٠) أدفعهم عن قلبي؟ قلت: من الذي سخرهم لك، وألقى في قلوبهم الدّاعية، ويسرّ الأسباب عليهم حتى أوصلوا النفع إليك؟ هات قل لي. فإن قلت:

-
- (١) كذا في ف. ط. وفي د (هذه الثلاثة أركانه).
 (٢) في د (أو أمير) وكذا في ط.
 (٣) كذا في ف. د. ل. ز. وفي ط (يقدر).
 (٤) كذا في ط. وفي ف (فضلا عن فعل غيره). وفي د (فضلا لغيره).
 (٥) كذا في ط. وفي ف فالله تعالى الذي أجراه على يديه. وفي د فإن الله هو الذي.
 (٦) كأنه يستعمل هذا الفعل لازماً كما يستعمله الناس، وهو في اللغة متعد، يقال: توزعوا الشيء تقسوه.
 (٧) كذا في د. ط. وفي ف (موحداً وحق الملك أن يعاقبه).
 (٨) في ل (أن أناساً).
 (٩) كذا في ف. ط. وفي ل. د (وفي دنياي).
 (١٠) كذا في ل. وفي ف. د. ط (أدفعهم) دون أن.

الله الذي سخرهم وسخر الشمس والقمر كلّ يجري بأمره ، فاعلم أنهم مسخرون تحت قبضته .

فإن كنت تعتقدهم فاعلين شيئاً فهلاًّ اعتقدت القلم والخبر والسكاغد^(١) التي^(٢) كتب بها^(٣) منشورك فاعلاً ١ ولم لا اعتقدت الموقّع فاعلاً ؟ ولم لا اعتقدت الخازن الذي يُخرج لك الدراهم فاعلاً ؟ فإذا كنت تعتقد^(٤) أن كل واحد من هؤلاء مقهور من الملك مجبور ، ولو خلى ونفسه لما أعطاك ذرة ، فافهم أن كل من وصل لك^(٥) على يديه خير من المخلوقين فهو كذلك في قبضة ربّ العالمين . فاشكره وحده ولا تشرك به أحداً .

واعلم أن المخلوق مضطرّ سلّط الله عليه الإرادة ، وهتج عليه الدواعي ، وألقى في قلبه أن يعطيك ، فلم يجد بعد ذلك سبيلاً إلى دفعك ؛ ولا يعطيك والحالة هذه إلا لغرض نفسه لا لغرضك . ولو لم يكن له غرض في الإعطاء لما^(٦) أعطاك . ولو لم يعتقد أن له نفعاً في نفعك لما نفعك . فهو إذاً إنما يطلب نفع نفسه بنفعك . ويتخذك وسيلة إلى نعمة أخرى يرجوها لنفسه . وما أنعم عليك إلا الذي سخره لك وألقى في قلبه ما حمّله على الإحسان إليك . فإن قلت : فلم ورد الشرع بشكري إياه حيث قال أبو هريرة رضي الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يشكر الله من لا يشكر الناس » رواه أبو داود بهذا اللفظ والترمذي بلفظين : أحدهما : « من لا يشكر الناس لا يشكر الله » والآخر : « من لم يشكر الناس لم يشكر الله » . وفي حديث النعمان بن بشير

(١) هو القرطاس يكتب فيه .

(٢) كذا في د ، ط . وفي (الذي) وما في النص الثبت روعي فيه وصف الأشياء العدودة

و . في ف روعي فيه وصف الأخير .

(٣) كذا في ف ، د ، ط (فيها) .

(٤) كذا في ف ، د ، ط (فإن كنت تفهم أن) وفي ط (فإذا كنت تفهم وتعتقد أن)

(٥) كذا في ف . وفي د ، ط (إليك) .

(٦) كذا في د ، . وفي ف (ما أعطاك) .

أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله . والتحدث بنعمة الله شكر ، وتركه كفر ، الحديث في إسناده الجراح بن مليح والد وكيع تكلم فيه بعضهم ، والعمل على توثيقه وأخرج له مسلم . وفي حديث الأشعث بن قيس الكندي : « إن أشكر الناس لله أشكرهم للناس ، أخرجه أحمد »^(١) بن منيع في مسنده . قلت : ورد بذلك لكونه أجرى النعمة على يديه فيكون شكره إياه داعياً له إلى أن يزيد من فعل الخير ولك^(٢) أن تشكر الفاعل بالحقيقة الذي هو الرب تعالى ولغير ذلك من الأسباب التي لا غرض الآن في شرحها ، فعليك شكره لأجل أمر الله تعالى لا لاعتقاد أنه فاعل . بل لو شكرته بذلك الاعتقاد كنت مشركاً لا شاكراً . فاشكره واعلم أنه لا ينفع ولا يضر ، وأنه ربما تغير عليك بأيسر الأسباب ، وانقلب حبه بغضاً ، وزالت تلك الدواعي وتبدلت بضدها . وإنما المحسن الذي لا يتغير ولا يحول ولا يزول رب الأرباب . والواسطة [بين^(٣) الخلق والحق] الذي هو بنا رءوف رحيم لا تتغير حاله محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم . فلا فاعل إلا الله ولا سبب^(٤) لخير إلا نبيه المصطفى الأمين خير الخلق أجمعين . محمد سيد [المرسلين^(٥)] والنعيم ، عليه أفضل الصلاة والسلام من رب العالمين . فإذا استقرت هذه القاعدة عندك بحيث صرت تتلقى كل ما يأتيك من الله تعالى لا من أحد من خلقه فهذا شكر عظيم للنعمة وهو أعظم أركان الشكر ، ولذلك أطلق [عليه^(٦)] كثير من المحققين أنه نفس الشكر ، حيث قالوا :

- (١) كانت وفاته سنة ٢٤٤ كما في الخلاصة .
- (٢) مكنا في ف ، د ، ط . وفي ل (وذلك إلى أن تشكر) وفي ز (ولك إلى أن يشكر) .
- (٣) هذه الزيادة في د ، ل ، ز ، ط مع تفاوت يسير . وقد سقطت في ف .
- (٤) هكذا في د ، ز . وفي ف (ولا سبب الخير) وفي ل (ولا سبب بخير) وما أثبتناه أجود . وقد سقطت في ط جلنا (فلا فاعل إلا الله ولا سبب لخير إلا نبيه المصطفى) .
- (٥) هذه الزيادة في ط . ولم تثبت في ف ، د .
- (٦) هذه الزيادة في د ، ط . وفي ف لم تثبت .

الشكر الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع . وإنما أطلقوا عليه ذلك لكونه أعظم الأركان ، كما في قوله صلى الله عليه وسلم : الحج عرفة ، و الندم توبة ، ونحو ذلك . أخبرنا داود بن سليمان بن داود الآباري ^(١) إذا أخبرنا إسماعيل بن أبي الطاهر يوسف بن عمر بن يوسف سمعنا أنا ^(٢) بركات ^(٣) ابن إبراهيم الخشوعي أنا هبة ^(٤) الله بن الألفاني أنا أحمد بن عبد الواحد بن محمد ، ومحمد بن عقيل بن أحمد قالا : أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن عثمان بن أبي الحديد أنا أبو بكر محمد بن جعفر الخرائطي ^(٥) السامري ثنا ^(٦) يحيى بن أبي طالب ثنا علي بن عاصم ثنا اسماعيل بن أبي خالد عن أبي ^(٧) عمرو الشيباني قال : قال موسى عليه السلام يوم الطور : يارب إن أنا ^(٨) صليت فمن قبلك ، وإن أنا تصدقت فمن قبلك ، وإن أنا ^(٩) بلغت رسالتك فمن قبلك ، فكيف أشكرك ؟ قال : يا موسى الآن شكرتني . وفي لفظ إذا عرفت أن النعم مني فقد رضيت بذلك منك شكراً . وهذا حق لجميع ما تتعاطاه باختيارنا نعمة من الله تعالى علينا ؛ إذ جوارحنا وقدرتنا وإرادتنا ودواعينا وسائر الأمور

(١) هكنا في ل ، د . وفي ز (الآباري) وهكذا في نسخة في هامش ل . وفي ط (الآباري) ولم يثبت شيء من هذا في ف . والصواب ما أثبت . والآباري نسبة إلى بيت الآبار وهو قرية في غوطه دمشق . ولداود هذا ترجمة في الدرر الكامنة ج ٢ ص ٩٩ وكانت وفاته سنة ٥٧٥١ هـ .

(٢) هكنا في ف ، د . ولم يثبت في ط .

(٣) هكنا في ف . وفي د ، ل ، ز ، ط (أخبرنا) والرمز المثلث (أنا) يريد به المحدثون أخبرنا ، والصيغتان أخبرنا وأبناأنا سواء عند المتقدمين ، وعند التأخرين أن الإنباء قد يكون بالإجازة (٤) توفي الخشوعي سنة ٥٩٨ هـ كما في انشذات والنجوم الزاهرة .

(٥) هو أبو محمد بن أحمد توفي سنة ٥٢٤ هـ كما في الشذرات .

(٦) هكنا بتقديم (الخرائطي) على (السامري) في ف . وفي سائر الأصول العكس . والسامري نسبة إلى سامرا — ويقال فيها سر من رأى — وهي مدينة في شمال بغداد بناها المتصم . مات الخرائطي سنة ٣٢٧ هـ وله ترجمة في تاريخ بغداد ص ١٣٩ ج ٢ .

(٧) هو اختصار من حدثنا .

(٨) هو إسحق بن مزار ، راوية أهل بغداد ، لازمه الإمام أحمد بن حنبل وروى عنه . كانت وفاته سنة ٢٠٦ وافتقر بنية الوعاة .

(٩) هكنا في د ، ول ، ز ، ط . وفي ف : (أنا إن) .

(١٠) سقط لفظ « أنا » في ف ، ز ، ط ، وأثبت فيما عدا هذه الثلاثة .

التي هي أسباب حرماننا وسكناتنا من خلق الله ونعمته^(١) فنحن نشكر
بنعمته^(٢) نعمته . وإلى هذا المنزاع أشار خطيب العلماء الشافعي رضي الله عنه
حيث قال : الحمد لله الذي لا يؤدي شكر نعمة من نعمه إلا بنعمة منه
توجب^(٣) على مؤدى ماضى^(٤) شكر نعمه بأدائها نعمة حادثة يجب عليه
شكرها^(٥) ولا يبلغ الواصفون كنه عظمتها : الذي هو كما وصف نفسه وفوق
ما يصفه به خلقه . انتهى : و : أنشد محمود الوراق لنفسه :

إذا كان شكرى نعمة الله نعمة على له في مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر إلا بفضل ؟ وإن طالت الأيام واتصل العمر

ولم يزد العلماء في هذا الركن أكثر مما ذكرناه . وعندى أنه يتعين على ذى
النعمة أيضاً أن ينظر إليها -- وإن قلت -- بعين التعظيم ، لكونها من قبيل
الله تعالى : فإن قليله لا يقال له قليل ، وإلى نفسه بالتحقير بالإضافة إليها
معترفاً بأنه ليس أهلاً لها وأن أصله نطفة من منى^(٦) تسمى^(٧) وقد وصله^(٨) الله إليها
لا باستحقاق عليه بل بفضل منه ولا يخفى عليك أن من وصلت إليه هدية
من ملك فاستقلها ولم يعبأ بها فإن الملك ينقم عليه^(٩) ويشدد عقوبته ، يأخذ
في نفسه منه ، ويمنع عنه العطاء ؛ وإن استعظمها واستحققر نفسه بالنسبة إليها

(١) هكذا في النسخ ما عدا ط ، ففيها (ونعمته) .

(٢) هكذا بهذا الترتيب في ف ، د ، و في ط (نعمته بنعمته) .

(٣) هكذا في النسخ ما عدا د ، ل ففيهما يوجب .

(٤) هكذا (مؤدى ماضى شكر نعمته) في ف ، ط ، و في د (مؤدى ماضى نعمته) وكذا
في ز . وكلام الشافعي هذا في صدر كتابه الرسالة .

(٥) هكذا في ف ، ط ، و في ل (شكرها) وكذا في ز مع سقوط كلمة (عليه) .

(٦) هذا الحرف في ط ، د ، و لم يثبت في ف .

(٧) تسمى : تصب وتراق عند الجماع . وهذا اقتباس من قوله تعالى : « ألم يك نطفة من منى
بنى » الآية ٣٧ من سورة النبا . وثراً الجمهور (تسمى) على أنه وصف لنطفة ، وقرأ حفص
وآخرون (تسمى) على أن الجملة وصف (منى) .

(٨) هكذا في سائر النسخ ما عدا ط . ففيها (وأوصله) .

(٩) هكذا في ف ، د ، ل ، ز ، و في ط : (ينقم منه ذلك) .

فإن الملك يحب ذلك منه ، ويحمله هذا الأمر على إسداء نعمة أخرى . والرب تعالى لا تخفى عليه خافية . فهما وقع في نفسك فهو مطلع عليه : فإن وقع في قلبك ^(١) استقلها فإنه يخشى عليك زوالها وافتقارك إليها ، وإن وقع في نفسك ^(٢) استعظامها فأبشر بدوامها والازدياد . سمعت ^(٣) الشيخ الإمام رحمه الله يقول : أعطيتُ بعض الناس عطاء فاستقله فعملت أن الله يسلبه إياه ويحوجه إليه . فإن قلت : ما علاج هذا الداء ؟ فإن كثيراً من الناس يعطون ما يروونه قليلاً بالنسبة إليهم ؟ قلت : علاجه أن ينظر إلى نفسه ويرى هل يستحق على الله شيئاً ، وما أصله ؟ وكيف وصل إلى ما وصل ؟ فما من أحد يعتبر حاله من أول منشئه إلى إيصال النعمة التي هو فيها مفكر ولها مستقل إلا ويجدها نعمة [ليست في حسابه ^(٤)] وكثيرةً عليه . فهذا دواء من أدوية ^(٥) هذا المرض . ودواء آخر وهو أن تأخذ النعمة من الله تعالى وتعلم أن العظيم إذا أسدى إلى عبده الحقير معروفًا وإن قل فقد ذكره . وما حقرك من ذكرك ، وما ذكرك الكريم إلا وفي نيته أن يجبرك . فتلق ما يأتي منه بالبشرى ، واحذر الأخرى . وإن كان ما أسداه إليك قليلاً عليك فهو بالنسبة إلى أنه من عطائه كثير عليك ، وبالنسبة إلى أنه طريق إلى عطاء آخر أكثر منه إذا شكرته كثير أيضاً . وإنما يحيثك الاستقلال من نظرك إلى النعمة دون المنعم . ونحن نضرب لك مثلاً فنقول : الملك إذا عزم على السفر وأنعم على بعض حاشيته بفرس ، ففرحه بالفرس يُفرّض على وجوه : أعلاها

(١) هكذا في ف . وفي ط (بقلبك) .

(٢) هكذا في الفسخ ما عدا ط ، وفيها (قلبك) .

(٣) هكذا في ف ، د . وفي ط (وقد سمعت) .

(٤) هكذا في ف . وفي ط ، د (لم تكن في حسابه) .

(٥) هكذا في ل . وهو الصواب . وفي بقية الأصول (أدواء) وهو خطأ فإن أدواء جمع داء كما لا يخفى .

أن يفرح بها لأنها طريق إلى خروجه في خدمة الملك ونزوله بقربه ، وحلوه
 منه بالمنزلة الدانية ، وصيرورته من الخاصة بعد أن كان من العامة . فهذا
 فرحه بالفرس لأنها طريق^١ إلى مشاهدة الملك ومنادمته ، لا لأنها فرس .
 ودون هذا أن يفرح بالفرس لا لكونها فرساً ، ولكن لما يدل عليه من
 عناية الملك به ، وذكره له وشفقته عليه . فهذا يفرح بها لا لكونها فرساً
 بل لأمور آخر^٢ تترتب عليها . وأخسها وأحقرها أن يفرح بها لكونها
 فرساً يركبها . فهذا إنما فرح بالفرس ولم ينظر إلى المعطى ؛ ولا فرق عنده
 بين أن يكون الملك هو الذى أعطاه ، أو أن يجد الفرس فى الصحراء . وثم^٣
 وجه رابع : وهو أن يفرح بها لمجموع^٤ هذه الأمور : فيفرح بها لأنها توصل
 إلى منادمته الملك ، ولأنها تؤذن بغيرها ، ولأنها تنفعه . فهذا أيضاً لا بأس به ،
 ولكنه دون المقام الأول ؛ لأن الأول لا غرض له إلا الملك وحده ، ولكن
 ذاك مقام عال يترفع^٥ عن همم أكثر أهل الدنيا الذين وضعنا لهم هذا الكتاب .
 فلذلك لا نطنب في شرحه ، وإنما تقتصر على إلهام الأكثر ؛ حتى إذا حصلوا
 على ما نودعه في هذا الكتاب ترقوا منه^٦ إلى النظر فى المقام الأعلى فباب
 الرحمة مفتوح ، والرب منادٍ فأين المشتمرون !

وأما اللسان فالمراد منه حمد الله تعالى عليها^٧ والتحدث بها بقوله^٨ تعالى
 « وأما بنعمة ربك فحدث » فيتحدث^٩ بها لا لرياء وسمعة وخيلاء ، بل للشناء على

-
- (١) فى ل (أخرى) .
 (٢) كذا فى ل . وفى بقية الأصول (مجموع) .
 (٣) هكذا فى ف ، د ، ل ، ز . وفى ط (يرتفع) .
 (٤) هكذا فى د ، ف ، ز ، ط . وفى ل (عن همم أكثر الناس الذين) .
 (٥) هكذا فى د ، ط . وفى ف بحذف منه .
 (٦) هكذا فى ف ، ل ، ز . وسقطت لفظة (عليها) من د ، ط .
 (٧) كذا ، والباء للسبب ، أى بسبب قوله تعالى . وفى ل : (لقوله) .
 (٨) هكذا فى ل ، ز ، د . وفى ط (فتحدث) ولم تنقط فى ف .

الرب تبارك وتعالى . كان ^(١) جماعة من السلف ^(٢) يجلسون فيطارحون ^(٣) حديث فعملهم حتى ينتهي مجلسهم وهم على ذلك . وذكر الأستاذ أبو القاسم ^(٤) القشيري أن بعضهم قال : رأيت في بعض الأسفار شيخا كبيرا قد طعن في السن ، فسألته عن حاله فقال : إني كنت في ابتداء عمري ^(٥) أهوى ابنة عم لي ، وهي كذلك كانت تهواني فاتفق أنها زوّجت مني ؛ فليلة زفافها قلنا ^(٦) : تعالى حتى نحى هذه الليلة شكرا لله تعالى على ما جمعنا . فصلينا تلك الليلة ولم يتفرغ أحد منا إلى صاحبه . فلما كانت الليلة الثانية قلنا مثل ذلك . فنذ سبعين أو ثمانين سنة نحن على تلك الحالة . أليس كذلك يا فلاة ! فقالت العجوز : كما يقول الشيخ . فهذا الشيخ تحدث ^(٧) بنعمة الله تعالى عليه الذي ألهمه لهذا الشكر العظيم . وذلك أيضا من الشكر . وروى أن وفدا قدموا على عمر بن عبد العزيز رحمه الله فقام شاب ليتكلم . فقال عمر : الكبر ^(٨) الكبر . فقال : يا أمير المؤمنين : لو كان الأمر بالسن لكان في المسلمين من هو أسن منك . فقال : تكلم . فقال : لست وفد الرغبة ، ولا وفد الرهبة : أما الرغبة فقد أوصلها إلينا فضلك ، وأما الرهبة فقد آمنتنا منها عدلك . وإنما نحن وفد الشكر جئناك نشكرك باللسان . والأخبار في هذا كثيرة ، وليس استيعابها من غرض كتابنا .

(١) هكنا في كل النسخ ما عدا ط . ففيها (يقال كان جماعة) .

(٢) في ط فقط : زيادة (رحمه الله) .

(٣) أى يتحدث كل بما عنده من النعم ، من مطارحة الأشعار ، وهو أن يلقي كل ما يحفظه من الشعر .

(٤) هو الإمام الجليل عبد الكريم بن هوازن ، ممن جمع بين الفريضة والحقيقة . له الرسالة في رجال الطريقة ، وهي من أجود كتب التصوف . وكانت وفاته في نيسابور سنة ٤٦٥ . انظر ترجمته في ابن خلكان .

(٥) كذا في ف ، د ، ط . وفي ل (أمرى) .

(٦) كذا في ف ، و ، د . والناسب (قلت) إلا أن يكون جرى على أسلوب تعظيم النفس . أو أنها لا وافقته كأنها قالت ذلك أيضا فنسب القول إليهما .

(٧) كذا في ف ، ل ، ز . وفي ط (يحدث) وفي د من غير نقط .

(٨) الكبر الأكبر . والكبر منصوب أى قدموا الكبر .

واعلم أن هذين الأمرين أعني الشكر بالجنان وباللسان يشملمان كل نعمة . ونسبة النعم "إليهما على حد سواء . وأما الأفعال فالمراد منها امتثال أوامر المنعم واجتناب نواهيه . وهذا يخص كل نعمة بما يليق بها . فلكل نعمة شكر يخصها . والضابط أن تستعمل "نعم الله تعالى في طاعته وتوقى" من الاستعانة بها على معصيته . فليس من شكر النعمة أن تهملها^(٣) وتشكر^(٢) على وجه غير الوجه الذي عليه بُليت . فمن عدل عنها إلى نوع آخر من الشكر فقد قصر . وترك الأهم . وإنما الرشيد من جمع بين الأمرين . فإن كان لا بد من التفرقة فالأنسب استعمال كل نعمة فيما خلقت له ، وهذا يتضح بأمثلة :

المثال الأول

من شكر نعمة العينين أن تستر^(١) كل عيب تراه "لمسلم وتغضهما"^(٤) عن كل قبيح إلى غير ذلك من أحكام النظر . فإن أنت أخذت تصلي كل^(٦) ليلة ركعتين على شكر نعمة العينين : وأنت مع ذلك تستعملهما في النظر إلى المحرم ، فلست بشاكر هذه النعمة حق شكرها .

المثال الثاني

من شكر نعمة الأذنين ألا تسمع حراماً ، وأن تستر كل عيب تسمعه . فإن أنت تصدقت بدرهمين شكراً لله تعالى على نعمة الأذنين وهتكت كل قبيح سمعته^(٧) وأصغيت إلى كل حرام وعيته^(٨) فلست من الشاكرين .

(١) هكذا في د . ط . وفي ف (النعمة)

(٢) كذا في ف . د . ط . وفي ل ، ر بالياء فيها .

(٣) كذا في د . وفي ط بالياء فيهما وأما ف فقد تركت النقط فيهما .

(٤) كذا ، و الأوفق بالمعنى (أو) .

(٥) كذا في د . ل . ر . وفي ط بالياء في الثلاث . وفي ف من غير نقط .

(٦) كذا في ف . وفي د . ط (كل ليلة تصلي) .

(٧) كذا في د . ل . ز . وفي ف (تسمعه) .

(٨) كذا في د . وفي ف : (وغية) .

المشال الثالث

وهو يشمل الخليفة فمن دونه من السلطان ونوابه والقضاة وسائر أرباب الأمور . وسنخصص لكل فرد منهم مثالا .

إذا ولّاك الله تعالى أمراً على الخلق فعليك البحث عن الرعيّة ، والعدل بينهم في القضية ، والحكم فيهم بالسوية ، ومجانبة الهوى والميل ، وعدم سماع بعضهم في بعض ، إلا أن يأتي بحجة مبيّنة ^(١) وعدم الركون إلى الأسبق . فإن وجدت نفسك تصغى إلى الأسبق وتميل إلى صدقه ؛ فاعلم أنك ظالم للخلق ، وأن قلبك إلى الآن متقلب ^(٢) مع الأغراض يُميله الهوى كيف شاء . وإن وجدت الأسبق والآخر سواء إلا من جاء بحق فأنت أنت . وقد اعتبرت كثيراً من الأتراك [فوجدتهم ^(٣)] يميلون إلى أول شاك . وما ذاك إلا للغفلة المستولية على قلوبهم ، التي صيرت ^(٤) قلوبهم كالأرض الترايية التي لم تروّ بالماء فإذا أتاهاماء رويت : سواء أ كان ذلك الماء صافياً أم كدراً ^(٥) زُلالاً ^(٦) بارداً أم كدراً حارّاً . ثم إذا رويت ، وجاء ماء آخر صاف حسن لم تشربه ، وصار مائعاً ^(٧) عليها . فهذه هي القلوب الغافلة عن الحقّ نسأل ^(٨) الله السلامة . فعليك شكر ^(٩) نعمة الولاية بما ذكرناه ^(١٠) وأن تعرف أنك أنت والرعية سواء

(١) كذا في كل النسخ ماعدا ط ففيها (بينة) .

(٢) كذا في د . وفي ف ، ل ، ز (منقلب) . وفي ط (يتقلب) .

(٣) زيادة يقتضيها السياق .

(٤) كذا في د ، ط . وفي ز ، ل (إلى أن) ولم تثبت هذه الزيادة (التي صيرت قلوبهم) في ف .

(٥) كذا في ل ، ز ، د . وفي ف ، ط . أو .

(٦) أي سلساً سهل المرور في الملق .

(٧) وصف من قولهم : ماخ الفى : جرى على وجه الأرض .

(٨) كذا في ف ، د ، ط . وفي ل ، ز (فنسأل) .

(٩) كذا في كل النسخ ماعدا ز ففيها (بشكر) .

(١٠) كذا في كل النسخ ماعدا ط ففيها (ذكرنا) بدون هاء .

لم تتميز عنهم بنفسك ، بل بفعل الله تعالى الذى لو شاء لأعطاهم ومنعك . فإذا^(١) كان قد أعطاك الولاية عليهم ومنعهم فما يلغى أن تتمرد وتستعين بنعمته على معصيته وأذاهم ، بل لأقل من أن تتجنب أذاهم وتكف عنهم شرك ونجائب الهوى والميل والغرض . فنعمة الولاية لا تطلب منك غير ذلك . ولو أنك تركت الناس هملاً يأكل بعضهم بعضاً وجلست فى دارك تصلى وتبكي على ذنوبك لكنت مسيئاً على ربك . فليكنك^(٢) لم يطلب منك أن تهجد بالليل ولا أن تصوم الدهر وإنما يطلب منك ما ذكرناه . فإن ضمنت إليه أعمالاً أخر صالحة كان ذلك نوراً على نور ، وإلا^(٣) فهذا هو شكر نعمة الولاية التى بها تدوم . ولعلك تقول : فإن قتُ بحقوق الرعية مع التقصير فى حق الله تعالى هل^(٤) أنا محمود ؟ فأعلم أنك محمود من تلك الجهة ، مذموم من هذه الجهة ، وتيقظ لأمر عظيم نُبهِك^(٥) عليه . وهو^(٦) أن من هذا شأنه يخشى عليه إن هو زاد من التقصير فى جانب الله تعالى أن يُظلم قلبه ظلاماً يورث الطَّبَع^(٧) على قلبه ، ويلشأ عنه التقصير فى تلك الجهة الأخرى ، فيصير مذموماً فى الجهتين . فلا يخطر لك أنه يمكن اجتماع التقصير فى حق الله تعالى من كل وجه ، والقيام بحق العباد من كل وجه ، بل هذا مستحيل عادة ؛ فقد جرت عادة الله سبحانه وتعالى بأن من أهمل جانبه من كل وجه سَاطَ عليه الشيطان فاستولاه^(٨) واستزله وصيره

(١) كذا فى كل النسخ ما عدا ف فإنها لم تذكر (فإذا كان قد أعطاك الولاية عليهم ومنعهم)

(٢) فى نسخة فى هامش ل (فربك) .

(٣) أى ولا تظم أعمالاً أخر واقصرت على ما ذكرنا فهذا هو شكر النعمة الخ .

(٤) كذا ، والصواب فى العربية (فهل) .

(٥) كذا فى ف ، ل ، ز . وفى د ، ط (نبهك) .

(٦) كذا فى كل النسخ ما عدا ط ففيها (واعلم أن) .

(٧) الطبع على الشئ : الحتم عليه حتى لا يتغذى . إلى باطنه ، وطبع الله على القلب مجاز عن

ألا يصل إلى القلب شئ . من الهدى ونور الإيمان . ويصح أن يقرأ : الطبع بالتحريك وهو الصدا أو الدلس .

(٨) كذا ، وكان الأصل : فاستولى عليه . وقد يريد : فاستولاه أى اتخذته ولياً ، كما يقال :

نولاه ، وإن لم نر هذه الصيغة فى المعاجم .

يضع جانب العباد أيضاً . ومن رشيق عبارات " الشافعي رضي الله تعالى عنه : وقد ذكر أن الرشد صلاح الدين والمال معا : من ضيع حق الله تعالى فهو لما سواه أضيّع . فعليك أن تتعهد نفسك بالعبادة ومراقبة الحق . وليس مقصدنا الآن البحث عن هذا ؛ إنما الذي عقدنا له الفصل أن ذا النعمة يجب عليه اعتقاد أنها من الله تعالى ، وحمد الله عليها والوفاء بحقوقها . وقد جمع الشاعر هذه الأمور في قوله :

أفادتكم النعماء منى ثلاثة يدى ولسانى والضمير المحجبا
والشاعر وإن لم يقل : إن هذا شكر فقد جمع أصنافه . وقد بينا لك أن مجموعها الشكر . ومن كلامهم : الشكر ثلاث منازل : ضمير القلب ، وثناء اللسان ، والمكافأة بالفعل . والتعبير بالمكافأة عندى غير سديد ؛ فإن أحداً لا يقدر على مكافأة المنعم بالحقيقة . وإنما ^(١) المعنى به استعمال الجوارح بقدر الاستطاعة في التكليف حسبما شرعناه .

المثال الرابع

إذا كنت مقبول الكلمة عند ولي الأمر ^(٢) فالمطلوب منك أن تنصحه ، وتنتهى إليه ما يصح ^(٣) ويثبت عندك من حال الرعايا ، وتساعد عنده على الحق بما تصل إليه قدرتك . ولا يكن حظك منه الاقتصار على حطام تجمعه لنفسك . أو دنيا تضمها إليك ؛ فإن ذلك سبب زواله عنك بل المقتضى لدوام ما عندك منه ما ذكرناه من النصيحة والمساعدة في الحق ؛ لتدوم لك نعمته التي هي سبب نعمتك ، ومودته التي بها وصلت إلى ما وصلت ، ولتدوم لك منه ما أسداه

(١) كذا في كل النسخ ما عدل . ففيها (عبارة الإمام الشافعي) .

(٢) كذا في ف . وفي باقي النسخ (ولكن) .

(٣) كذا في ف . وفي د ، ط (أمر) .

(٤) كذا في د . وفي ط (يتضح) ونسخة ف (تحتل الصغتين) .

إليك . وما أحق من كانت له كلفة نافذة عند ولي أمر فوجد مظلوما يستغيث
فقام يصلي شكراً لله تعالى على أن جعله ذا كلفة نافذة عند ولي الأمر ، وترك
المظلوم يتخبطه^(١) الظلم ولا يجد منجداً ، وهو قادر على إنجاده . فذاك الذي
صلاته وبال عليه ؛ كما قال الفقهاء فيمن كان يصلي فمرّ به غريق تتلاطمه
أمواج البحر ، وهو قادر على إنقاذه ، فإنه يجب عليه قطع الصلاة وإنقاذه .
وذاك وهذا سيّان .

واعلم أن هذين المثالين أعنى الثالث والرابع يشملان كل ولي أمر ، وكل
مقبول الكلمة عند ولي أمر : صغير أو كبير . ونحن نرى أن تخصّ غالب
الناس بأمثلة تستوعب^(٢) معظم الوظائف التي استفرت عليها قواعد المسلمين
في هذا الزمان ، ونذكر مما^(٣) يطالب به صاحب تلك الوظائف يوم القيامة ،
ويخشى عليه في الدنيا والدين سوء العاقبة بسبب التفريط فيه ، ما يكون
موقظاً له من سنة الغفلة ومرشداً إن شاء الله تعالى ، لعل الله ينفع به أقواماً .

المثال الخامس

السلطان أعنى الإمام^(٤) الأعظم . وقد أكثر الفقهاء في باب الإمامة ،
وأفرد كثيرون منهم الأحكام السلطانية بالتصنيف . ونحن ننبه على مهمات
أهمها الملوك أو قصرها فيها . فمن وظائف السلطان تجنيد الجنود ، وإقامة
فرّض الجهاد لإعلاء كلمة الله تعالى ؛ فإن الله تعالى لم يولّه على المسلمين ؛ ليكون

(١) هو من قولهم : تخبط فلاناً : سه بأذى .

(٢) كذا في ف ، ل ، ز . وفي د (نستوعب معظم) وفي ط (نستوعب بها معظم) .

(٣) كذا في ف ، ط ، د . وفي ل (ما يطالب) وما أثبتنا أجود .

(٤) كأنه يريد بالإمام الأعظم من يستقل بالأمر والتدبير ولا رئيس فوقه يرجع إليه . وقد
كان في أيامه سلطان المالِك هو صاحب الأمر ، فكان هو الإمام الأعظم ، ولم يكن لمن يتسمّى
بالخليفة شأن معه . والإمام الأعظم هو في العادة الخليفة ، ولكن الأمر لم يستقر على هذا ،
وتبدل الحال .

رئيساً آكلاً شارباً مستريحاً . بل لينصر الدين ويُعَلِّي الكلمة . فمن حقه ألا يدع الكفار يكفرون أنعم الله ولا يؤمنون بالله ولا برسوله . فإذا رأينا ملكاً تقاعد عن هذا الأمر ، وأخذ يظلم المسلمين ، ويأكل أموالهم بغير حق ، ثم سلبه الله نعمته وجاء يعتب^(١) الزمان ، ويشكو الدهر ، أفليس هو الظالم ، وقد كان يمكنه بدل أخذ أموال المسلمين وظلمهم أن يقيم جماعة في البحر يتلصصون^(٢) أهل^(٣) الحرب : فإن كان هذا الملك شجاعاً ناهضاً فليرنا همته في أعداء الله الكفار ، ويجاهدهم ويتلصصهم ، ويُعمل الحيلة في أخذ أموالهم حلاً وبلاً^(٤) ويدع عنه أذية المسلمين .

ومن وظائفه أن يتظر في الإقطاعات ، ويضعها مواضعها ، ويستخدم من ينفع المسلمين ، ويحمي حوزة الدين ، ويكف أيدي المعتدين . فإن فرّق الإقطاعات على بمالك اصطفاها وزينها بأنواع الملابس ، والزرا كش الجرمة ، واقتخر بركوبها بين يديه ، وترك الذين ينفعون الإسلام جياعاً في بيوتهم ، ثم سلبه الله النعمة ، وأخذ يبكي ويقول^(٥) : ما بال نعمتي زالت ، وأيامي قصرت ! فيقال له : يا أحمق ، أما علمت السبب ! أو لست الجاني على نفسك ! ومن وظائفه الفكرة في العلماء والفقراء وسائر المستحقين ، وتنزيلهم منازلهم ، وكفائتهم من بيت المال الذي هو في يده أمانة عنده ، ليس هو فيه إلا كواحد منهم ، ولدلوه نسبة دلاء المسلمين ، فإن ترك العلماء والفقراء جياعاً في بيوتهم ، يبيتون ومنهم من يطوى الليلة والليلتين هو وعياله ، وأخذ

(١) كذا في ط . وفي ف . د (لعب الزمان) والمعروف أن يقال : يعتب على الزمان .
(٢) يريد : يسرقون . ولم تقف على هذه الصيغة . وفي تصحيح : لس السبي ، يلبسه لصاً .
— من باب قتل — سرقه .
(٣) كذا في ف . د . ل . وفي ط (يتلصصون على أهل) .
(٤) كذا في د ، ط ، ل . وفي ف (وبلاً) وكلا اللغتين صحيح ، يقال : حل وبل : أي حلال .
بإيج . وبلى يكون معناه الحلال ومعناه الحرام . وهو هنا معناه الحلال .
(٥) كذا في ل . ط . وفي غيرهما (يقول) .

يمن^(١) بعظيم ملكه ومحاسن سماطه^(٢) وزينته ولباسه ولباس حاشيته ، فذلك أحق جهول . وإن ضمّ إلى هذا أنه استكثر على الفقهاء ما بأيديهم ، وتعرض لأوقاف وقفها أهل الخير من تقدمه عليهم ، فهو بلاء على بلاء . فإن من حقه أن ينظر في مصالحهم وأوقافهم ، وألاّ يكلمهم إليها . بل يرزقهم من بيت المال ما تتم به الكفاية . فإذا تعرض لها فقد خرق حجاب الهيبة . فإن ضمّ إلى ذلك أنه يبيعها^(٣) بالبرّ طيل^(٤) ، ويضعها في غير مستحقها فما يكون جزاؤه !

ومن وظائفه بيت مال المسلمين . وقد قدر الشارع المصارف فيه ، وجعل لكلّ مال^(٥) أقواما وقدرا . فإن تعدّى هذا كله ، وصرفه في شهواته ولذاته ، وحسب أن الملك عبارة عن ذلك ، فلا يلوم^(٦) إلاّ نفسه . وإذا جاء سهم رباني لا يستوحش ؛ فإن^(٧) أخذ يصرف الأموال على خواصه ومن يريد استمالة قلوبهم إليه لبقاء ملكه^(٨) ، لا لإعزاز الدين ، وأعجبه مدائح الشعراء لكرمه ، فذلك خرق^(٩) وقد امتلأت التواريخ بمن^(١٠) كان يهب الألوف للشعراء ، والألوف للبهاليك ، والألوف للغانى^(١١) وكل ذلك وبال على صاحبه

(١) هكذا في ف ، د ، ط . وفي ل (يحب تعظيم) . وفي ز (بيت تعظيم)

(٢) هو ما يمد عليه الطعام .

(٣) كذا في ل ، ز . وفي ف ، د : (سمها) غير معجمة . وفي ط . (يسمها) .

(٤) هو الرشوة . والبرطيل في الأصل : حجر طويل . وقد قيل : إن رجلا وعد آخر أن يعطيه حجرا إذا هو قضى حاجة له ، فشاع البرطيل — وهو الحجر — لما يسهل به قضاء الحاجات من العروض والأموال . وانظر شفاء الغليل .

(٥) كذا في د ، وط . وفي ف (وجعل لكلّ أقوام مالا وقدرا) .

(٦) كذا في ف ، د ، ط . وفي ز ، ل (فلا يلوم) .

(٧) كذا في ف . وفي د ، ط (وإن) .

(٨) كذا في النسخ ما عدا ط ففيها (لبقاء ذكره وملكه) .

(٩) أي حق .

(١٠) كذا في النسخ ما عدا د فيبدو أن فيها (بمن) . وما في د أظهر ، وإن كان الاستعمال الآخر صحيحا .

(١١) هو جمع معنى الغناء ، ولم تقف على هذا في اللغة ، إنما الغنى : المنزل . وقد يريد

به جمع معنى على طرح زيادة التضعيف ، وإن كان بعيدا في القياس .

فقد كان بيت المال في زمن^(١) عمر بن الخطاب رضي الله عنه أضعاف ما هو اليوم بما لا يحصى كثرة ، وفتح الله عليه من الفتوحات ما أمره مشهور ، وجاءه مع ذلك أعرابي يستمنحه فقال :

يا عمرَ الخيرِ جُزيتَ الجنةَ اكسُ بُليّاتي وأمنه
وكن لنا من الزمانِ جُنّه^(٢) أقسم بالله لتفعلنه
فلم يرتح لترققه ، ولا راعه قسمه عليه ؛ بل قال : فإن^(٣) لم أفعل يكون
ماذا ؟ قال^(٤) :

✽ إذن أبا حفص لأذهبتّه ✽

فقال : وإذا ذهبت يكون ماذا ؟ فقال :

يكون^(٥) عن حالي لتسألنه يوم تكون الأعطيات هته^(٦)
وموقف المسئول بينهنه^(٧) إما إلى نار وإما جنة
فلما ذكر له الجنة والنار ، والموقف بين يدي المولى الجبار ، بكى حتى
أخضلت^(٨) لحيته بدموعه ، وقال : يا غلام ، أعطه قميصي هذا لذلك اليوم
لا لشعره . أما والله لا أملك غيره . فانظره^(٩) مع ما حصل عنده^(١٠) من

(١) كذا في كل النسخ ما عدا ط ففيها (على زمن عمر) .

(٢) كذا في النسخ كلها ما عدا ف ففيها (خير جنة) وهي زيادة مضية للوزن .

(٣) كذا في ف . وفي د ، ط ، ز (إن لم أفعل) وفي ل (وإن لم) .

(٤) كذا في ف . وفي د (فقال) وفي ط (فقال منهدا) .

(٥) كذا في ف ، ط . وفي ل ، ز (تكون) وفي د من غير قطع .

(٦) كذا في ف ، د ، ل . وفي ز ، ط (رهنه) . وهنه يريد هنا أبدلت الألف هاء
أو حذفت وجيء بهاء السكت ، وهنا يريد بها هناك ، وروى المؤلف هذه القصة في طبقات الشافعية
(ج ١ ص ١٣٩) وفيها ثمة في موضع هنه ، وذكر أن ثمة يريد بها ثمة وهي لغة فيها ومم من
إشارات المسكان كهنا ، فالعني واحد .

(٧) كذا في ف ، د ، ل . وفي ز (يهنه) وفي ط (يهنه) . ورواية (يهنه) جيدة
من جهة المعنى وإن كان فيها التأكيد من غير داع .

(٨) كذا في ف ، د ، ل ، ز . وفي ط (أخضبت) . وأخضلت : ابتلت .

(٩) كذا في د وقد سقطت الهاء في سائر الأصول .

(١٠) كذا في ف ، د . وفي ط (له) .

الركة الدينية لم ينعم^(١) إلا بما هو من خاصة ماله ، ولم يجد غير قيصره . وقد كانت خزائن الأموال مملوءة بين يديه .

قال العلماء : ولم يعطه من بيت مال المسلمين وإن كان الأعزاجي فقيراً مستحقاً ؛ لأنه لما استنزله^(٢) بشعره لم يكن العطاء لمصلحة المسلمين ، فلم يعطه^(٣) من مالهم . قالوا : أو أنه لم يثبت عنده أن الأعزاجي من جملة مصارف مال الصدقات . وقال علي بن أبي طالب كرم الله تعالى وجهه ، والخزائن مملوءة بين يديه : من يشتري مني سيفي هذا ؟ ولو وجدت رداءً أستتر به ما بعته . فهذه سيرة أهل الحق والدين . ولسنا نطالب أهل زماننا بها : فإنهم لا يصلون إلى هذا المقام . ولكن نذكرهم لعلمهم يرجعون أو يقصرون عما هم فيه . فلا^(٤) بد في الذكرى من نفع إن شاء الله تعالى .

ومن وظائفه النظر في الدين والصلوات . ولقد رأينا منهم من يعمر الجوامع ظاناً أن ذلك من أعظم القرب . فيلغى أن يفهم مثل هذا الملك أن إقامة جمعيتين في بلد لا تجوز^(٥) عند الشافعي وأكثر العلماء ؛ فإن قال : قد جوتها قوم ، قلنا له : إذا فعلت ما هو واجب عليك عند الكل فذاك الوقت أفعَل الجائز عند البعض . وأما أنك ترتكب^(٦) ما نهى الله عنه وتترك ما أمر به ، ثم تريد أن تعمر الجوامع بأموال الرعايا ؛ ليقال : هذا جامع فلان ، فلا ؛ والله لن يتقبله الله تعالى أبداً ، وإن الله سبحانه طيب لا يقبل إلا طيباً . ومن أقبح البدع المحرمة تقبيل الأرض بين أيدي الملوك . فإن كان سجوداً بأن لاقى بجمهته الأرض قال النووى : فسواء أكان إلى القبلة أو غيرها وسواء قصد السجود لله تعالى

(١) كذا في النسخ ما عدل فيها (لم ينعم عليه) .

(٢) كذا في ف ، ل ، ز ، د . وفي ط (استر) .

(٣) كذا في ف ، ط . وفي ل ، ز (فلم يعط من مالهم) وفي د (فلم يعط مالهم) .

(٤) هكذا في كل النسخ ما عدل فيها (ولا بد) .

(٥) كذا في د . وفي ط (يجوز) وفي ف (يجوز) من غير نقط للحرف الأول .

(٦) كذا في كل النسخ ما عدل فيها (تريد) .

أو غفل هو حرام. وفي بعض صورته ما يقتضى الكفر أو يقاربه ، عافانا الله
الكریم . انتهى . قال وربما اغتر بعضهم بقوله تعالى « ورفع أبويه على العرش
وخرّوا له سجدا » والآية منسوخة أو متأولة^(١) كما هو معروف فى كتب
العلماء . وسئل ابن الصلاح عن هذا السجود فقال : هو من عظام الذنوب ،
ونخشى^(٢) أن يكون كفراً . وفى بعض كتب الحنفية أن بعضهم قال : يكفر
مطلقاً ، وبعضهم قال : إن أراد التحية^(٣) فهو حرام ولكن لا يكفر ، وإن لم يكن
له نية كفر عند أكثرهم .

المثال السادس

نواب السلطنة

وعليهم مثل ما على السلطان . ويزدادون أن من حقهم مراجعته إذا أمر
بما يخالف المصلحة ، وازديادهم من تفقد حال الرعية صغرهم وكبيرهم ، جليلهم
وحقيرهم ، غنيهم وفقيرهم ، والنظر فى القرى والغلات ، ونحو ذلك ، وإيصال
الحقوق إلى مستحقها من ذوى النهضة والكفاية والحاجة ، وتولية المناصب
لأهلها^(٤) . فإن اعتذر نائب السلطان بأن الزمان لا يمكنه ، قلنا له ولغيره :
أنتم مطالبون من كل ما نأمركم^(٥) به بما تصل إليه قدرتكم ؛ فعليكم الجد والاجتهاد
والله يعين .

(١) من وجوه التأويل أن السجود كان لله ، وكان يوسف قبله ، أو أن السجود كان لإيماء
بالرأس ، وكان هذا تحيته .

(٢) كذا فى ف ، ط ؛ وفى ل ، ز (يخشى) وفى د من غير نقط .

(٣) كذا فى النسخ ما عدا ط فقها (أراد به التحية) .

(٤) مفرد النواب نائب . ويريد به من يقوم عن السلطان فى الحكم وفى تنفيذ أمره . وكان
سلطان المماليك نواب فى الجهات النائية ؛ فله نائب فى الإسكندرية ، ونائب فى الوجه البحرى ،
ونائب فى الوجه القبلى ، ونائب فى الشام . وكان بعض سلاطينهم يتخذون أحياناً نائباً فى الحضرة
أى فى القاهرة يسمى النائب الكافل ، وكان يضطلع بشئون السلطنة حتى قيل : إنه سلطان مختصر .

(٥) كذا فى ف ، ط . وفى د ، ل ، ز (لأهلها) .

(٦) كذا فى ف ، ط . وفى ل ، ز . (يأمركم) وفى د من غير نقط .

ومن حقهم إقامة فقيه في كل قرية لا فقيه فيها ، يعلم أهلها أمر دينهم .
ومن العجيب^(١) أن أولياء الأمور يستخدمون في كل حصن طبيباً ويستصحون به
في أسفارهم بمعلوم من بيت المال ، ولا يتخذون فقيها يعلمهم الدين ؛ وما ذاك
إلا لأن أمر أبدانهم أهم عندهم^(٢) من أمر أديانهم . نعوذ بالله من الخذلان .
ومن حقهم إلقاء مقاليد الأحكام إلى الشرع لأنه لا حاكم إلا الله تعالى ،
ولن تفعل العقول شيئاً . فإذا رأيت من يعيب على نائب السلطنة^(٣) انقياده
للشرع ويلسبه بذلك إلى اللين والرخاوة فاعلم أنه يخشى عليه أن يكون ممن
طبع على قلبه وأن^(٤) عاقبته وخيمة ، بل حق على كل مسلم الرضا بحكم الله
تعالى والانقياد له ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون^(٥) .
الكافرون الظالمون . وسنبسط في فصل الحجاب القول في^(٦) هذا ؛ لكونه
أمرس بهم . ومن حقهم دفع أهل البدع والأهواء ، وكف شرهم عن المسلمين .
ولا يسعهم^(٧) في دين الله تعالى الصبر على من يسب الشيخين أبا بكر وعمر
رضي الله عنهما ، ويقذف عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ، ويفسد عقائد
أهل الدين . بل يجب عليهم الخلطة على هؤلاء بحسب ما تقتضيه المذاهب .
وهذه المذاهب الأربعة ولله الحمد في العقائد واحدة ، إلا من لحق منها بأهل
الاعتزال أو التجسيم . وإلا فجمهورها على الحق ؛ يقولون^(٨) عقيدة أبي جعفر^(٩) .

(١) كذا في ف ، ل ، ز . وفي د ، ط (العجب) .

(٢) كذا في النسخ ما عدا د فقيها (عليهم) .

(٣) كذا في ف ، ل ، ز . وفي د ، ط (السلطان) .

(٤) كذا في كل النسخ ما عدا ف فقد سقط منها : (وأن عاقبته وخيمة) .

(٥) كذا في كل النسخ ما عدا د فقيها الكافرون الفاسقون الظالمون ، وكلا التريدين غير موافق
لتنزيل الحكيم ؛ ففي التنزيل : الكافرون الظالمون الفاسقون .

(٦) كذا في كل النسخ ما عدا ف فقيها (بهذا) .

(٧) كذا في ف ، ط . وفي د ، ل ، ز (فلا يسعهم) .

(٨) كذا في كل النسخ . ما عدا د فقيها (يقولون) .

(٩) هو أحمد بن محمد بن سلامة الإمام الجليل صاحب « معاني الآثار » وهو ابن أخت الزرق
صاحب الشافعي . يقال : لأنه بلغ رتبة الاجتهاد . وتوفي بمصر سنة ٣٢١ . وانظر ترجمته في وفيات .

الطحاوى التى تلقاها العلماء سلفاً^(١) وخافاً بالقبول، ويدّينون الله برأى شيخ السنة أبى الحسن^(٢) الأشعرى الذى لم يعارضه إلا مبتدع. ومن مهماتهم النظر فى أمر المفسدين من قطاع الطريق وأهل الفتن كالعشران^(٣) وغيرهم، والغاظة والتشديد عليهم. وإن رأى نائب السلطان تقليد بعض المذاهب فى شدة تميزهم^(٤) والمبالغة فى عقوبتهم على جرائمهم، وطول مكثهم فى السجن فله ذلك بشرط أن يكون الحامل له على ذلك المصلحة لا التشهى وحظ النفس ومحبة شياع الاسم بالانتقام؛ فإن ذلك فنّ من الجنون. فقد كان ملك الصحابة رضى الله عنهم أوسع، وأمرهم أنفذ، ولم يحبوا أن يشيع اسمهم إلا بالعدل والرفق، لا بالعسف^(٥) والظلم. ومنها سفك دم من يلتقص^(٦) جناب سيدنا ومولانا وحبيبنا محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم أو يسبه^(٧)؛ فإن^(٨) ذلك مرتدّ كافر، ذهب كثير من العلماء إلى أن توبته لا تقبل. وهو

ابن خلكان. وعقيدته يقول فيها المؤلف فى الطبقات (٢٠ ص ٢٦١) : « سمعت الشيخ الإمام رحمه الله -- يريد والده -- يقول : ما تضمنته عقيدة الطحاوى هو ما يعتقد الأشعرى لا يخالفه إلا فى ثلاث مسائل » .

(١) كذا فى كل النسخ ماعدا ف فيها (خلفا وسلفا) .
(٢) هو على بن إسماعيل ينتهى نسبه إلى أنى موسى الأشعرى رضى الله عنه . وهو شيخ أهل السنة ، وصاحب الطريقة المثلّى فى أصول الدين . وكانت وفاته فى بغداد سنة ثيف وثلاثين وثلاثمائة هـ وانظر ترجمته فى ابن خلكان ، وطبقات الشافعية للمؤلف .
(٣) جمع عشير ، وكانت هذه الكلمة (العشران) تطلق فى الشام على البدو الذين من دأبهم الغارة والنهب .

(٤) التعزير عند الفقهاء التأديب على فعل معصية لا حد لها ولا كفارة ، كشهادة الزور ، والضرب بغير حق ، وقد يشرع التعزير لما ليس بمعصية مما ينبغى التحرز منه كالاشتغال باللهو الذى لا معصية فيه كالضرب بالدف ، وغناء الرجل فى الجامع من غير آلة لهو محرمة . والتعزير يرجع فيه إلى تقدير القاضى ، ويكون بنحو الحبس والضرب والتوبيخ بالكلام . وقد عقد له الفقهاء له باباً بينوا فيه أحكامه وحدوده . والتعزير فى أصل اللغة من العز وهو المنع . ويأتى التعزير فى اللغة أيضاً للتفخيم والتعظيم ومنه قوله تعالى : وتعزروه وتوقروه ، كأنك إذ تفخم الرجل تمنع عنه الازدراء والاحتقار .

(٥) كذا فى ف ، د ، ل . وفى ط (لا بالفساد والظلم) وفى ز (لا العسف) :

(٦) كذا فى ف ، د ، ل ، ز . وفى ط (يتقص) .

(٧) كذا فى ف ، د ، ل . وفى ز (أو نسبه) وفى ط (أو من يسبه) .

(٨) كذا فى كل النسخ ماعدا ل ف فيها (فإنه) .

اختيار طوائف من المتأخرين . فإن كان الذى وقع منه هذا من يتكرر هذا الحال منه ، أو عرف بسوء العقيدة وصحة^(١) المشهورين بذلك ، أو وقع منه ما وقع على وجه فظيع^(٢) تشهد القرائن فيه بالخيب الباطن ، فأرى أنه لا تقبل له توبة ، ويسفك دمه ، وهو رأى الشيخ الإمام الوالد تغمده الله تعالى برحمته ، والشيخ العلامة تقي الدين^(٣) بن تيمية . ومنها نظرهم فى أمر دواداريتهم^(٤) فأكثر ما يلبس فساد بابهم عنهم وهم غافلون . فإذا عرف نائب السلطنة أن ميزان بابه الدوادار ، فحق عليه الاحتياط فى أمره ، وعدم الإصغاء إليه فيما يقوله ؛ بل يستوضح الحال ويستكشفه من بطانة^(٥) الخير عنده ؛ فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ما^(٦) من ملك أو أمير إلا وله بطانتان : بطاقة تأمره بالخير وتحضه عليه ، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه ، وبما يختص بالإمام ، وليس لنوابه الاستبداد به من غير استئذانه ، الحى^(٧) . فلا يحى غير الإمام الأعظم على الصحيح عند الوالد وكثيرين إلا ياذنه .

(١) كذا فى ط . وفى ف ، د (وصحة) .

(٢) كذا فى ف ، وط . وفى ل ، ز (قطع) وفى د غير واضحة .

(٣) هو شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحنبلى المجتهد المحدث . وهو أشهر من أن يعرف . كانت وفاته فى قلعة دمشق ٧٢٨ هـ .

(٤) ساقى الكلام على الدوادار فى المثال السابع .

(٥) بطاقة الرجل صاحب سره ، الذى يشاوره الرجل فى أحواله .

(٦) هذا الحديث فى صحيح البخارى فى كتاب الأحكام ، ولفظه فيه : ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان : بطاقة تأمره بالمعروف وتحضه عليه ، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه ، والمعصوم من عصم الله تعالى . وورد أيضاً فى سنن النسائى فى كتاب البيعة بعدة روايات ، ومنها ما يوافق لفظ البخارى ، ومنها : ما من وال إلا وله بطانتان : بطاقة تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر ، وبطانة لا تأله خبالاً ، فمن وفى شرها فقد وفى . وكأن المؤلف اعتمد فى رواية الحديث على المعنى .

(٧) الحى : موضع فيه كلاً يمنع من الناس أن يرعى . وقد كان القوى فى الجاهلية يتخذ لماشيته حى لا يقربه غير ماشيته . روى أن الشريف منهم كان إذا نزل ببلداً استمعوى كلباً لحفى لحاصته مدى عواء السكاب لا يشركه فيه غيره ، فلم يرعه معه أحد ، وجاء الإسلام فأبطل هذا وفرض أن الحى لا يكون إلا لمصلحة عامة للمسلمين ، وقد حى عمر رضى الله عنه النقيع لإبل الصدقة ، واستعمل عليها رجلاً أوصاه ألا يمنع المحتاج أن يرعى ماشيته فيه . قال الفقهاء : ليس للإمام أن ==

المثال السابع

الدوادار^(١)

فن حقه الاستئذان على^(٢) ذى الحاجة ، وإنهاء ظلامته ، وألا يتركه^(٣) على الأبواب لا يجد ملجأ إلى الدخول على الملك . وليعلم أن لصاحب^(٤) الحاجة حقاً عند أستاذه ؛ لأن من وظيفة^(٥) أستاذه سماع كلامه ، وقضاء حاجته إذا أمر بها الشرع ؛ وليس لأستاذه حق عنده ، والمِنَّة لله تعالى على أستاذه أن^(٦) جعل حاجة الخلق إليه ، وعليه أن جعله في بابه بالمرصاد لهذا الأمر . فإن هو قصر فيما وصفناه كان هو الظالم لأستاذه ، المتسبب في خراب دياره ، الباغي على الرعية . وعليه المبادرة إلى تقديم الدواة عند ارتفاع القصص ، وتذكير^(٧) مخدومه بها . فربما اشتغل بال الملك عن ذلك ولم يجد من يذكره . وهذه وظيفة الدوادار وكان الدوادار يسمى^(٨) في الزمان القديم الحاجب .

== يدخل مواشيه فيما حاه للمسلمين لأنه قوى ، وإنما الحمى للضعيف ، وقد عرض الفقهاء لأحكام الحمى في باب إحياء الموات من الأرض .

(١) هذا اللفظ مركب من كلمتين : عربية وهي (دوا) وهي الدواة بحذف التاء ، وفارسية وهي (دار) ومعناه ممسك أو صاحب أو حافظ فعني دوادار ممسك الدواة أو صاحبها . وسترى أن الكلمة الثانية تدخل في كثير من ألقاب السلطنة في عهد المؤلف . ووظيفة الدوادار الدوادارية ، وموضوعها تبليغ الرسائل عن السلطان وإبلاغ عامة الأمور ، وتقديم القصص (والعرائض) إليه ، والمشاورة على من يحضر إلى الباب الشريف ، وأخذ خط السلطان على عامة المناشير والتوقيعات . انظر صبح الأعشى ص ١٩ ج ٤ .

- (٢) كذا في كل النسخ ما عدا ز فقها (على حاجته) .
- (٣) كذا في كل النسخ ما عدا ط فقها (وأن لا يترك على الأبواب من لا يجد) .
- (٤) كذا في ف ، د ، ز ، ل ، وفي ط (لصاحبه حقاً) .
- (٥) كذا في ف ، ل ، ز ، وفي ط (لأن وظيفة أستاذه) وفي (د) غير واضحة .
- (٦) كذا في كل النسخ ما عدا ط فقها (إذ جعل) .
- (٧) كذا في د وفي ف ، ط (ويذكر) ، وقوله بها : أي بالقصص .
- (٨) كذا في د ، ط . وفي ف (وكان الدوادار في الزمان القديم يسمى الحاجب) .

المثال الثامن

الخازندار^(١)

وَحَقَّ عَلَيْهِ أَلَّا يَمْتَلَّ مِنْ أَحِيلَ إِلَيْهِ ، بَلْ يَدْفَعْ إِلَيْهِ مَا أَمَرَ لَهُ بِهِ مُهَيَّئاً^(٢) مُبَيَّسراً^(٣) . وَالْخَازَنْدَارُ أَمِينٌ ؛ فَلَوْ ادَّعَى أَنَّهُ دَفَعَ الْمَالَ إِلَى مَخْدُومِهِ كَانَ الْقَوْلُ قَوْلَهُ يَمِينِهِ ، وَإِنْ كَانَ لَهُ عَلَى الْخَازَنْدَارِيَّةِ مَعْلُومٌ أَوْ إِقْطَاعٌ ؛ لِأَنَّهُ كَالْوَكِيلِ بِجُعْلٍ .

المثال التاسع

أستاذ الدار^(٤)

وَهُوَ مَنْ يَتَكَلَّمُ فِي إِقْطَاعِ^(٥) الْأَمِيرِ مَعَ الدَّوَاوِينِ^(٦) وَالْفَلَاحِينَ وَغَيْرِهِمْ . عَلَيْهِ^(٧) أَلَّا يُطْعِمَهُ حَرَاماً ، وَلَا يَبِيعَ أَسْتَاذَهُ رَخِيصاً ، وَأَنْ يَرْفُقَ بِأَهْلِ الْقَرْيَةِ وَيُودِيَ أَمَانَةَ اللَّهِ تَعَالَى الَّتِي عَلَّقَهَا فِي رَقَبَتِهِ حَيْثُ دَخَلَ فِي هَذِهِ الْوُضُفَةِ

(١) هذه الكتابة خطأ سببه توهم أن دارهى الدار العربية . والصواب : « الخازندار » من « خزانة » العربية و « دار » الفارسية أى متولى الخزنة . وقد حذفت ألف الخزنة طلباً للخفة . وقد ذكر هذا الرسم على الصواب فى قوله بعيد هذا : « وإن كان له على الخزندارية » وانظر صبح الأعشى ص ٤٦٣ ج ٥ .

(٢) هكذا فى النسخ ماعداً د ففها مهياً مبسراً .

(٣) هذا الضبط عن ف ، ل . وفى ز : مبسراً .

(٤) كذا بإهمال الدال فى ف فى هذا الموطن ، وتراه فى غير هذا الموطن بالإعجام كما فى غيرها من النسخ . والكلبة فى الأصل فارسية فقد تعرب بالإعجام وقد تعرب بالإهمال ، وكتابتها هكذا خطأ وقع فيه بعض الكتاب ؛ توهموا أن « دار » هى الدار فى العربية وصواب كتابتها : « لاستدار » أو « استدار » من « استند » أى أخذ فى الفارسية و « دار » أى ممسك ، ومعنى هذا المركب : متولى الأخذ وقبض المال . وانظر صبح الأعشى ص ٤٥٧ ج ٥ .

(٥) الإقطاع : ما يعطيه السلطان الأمراء وغيرهم من الأرض الزراعية لاستغلالها ودفع الخراج عنها .

(٦) هكذا فى النسخ ماعداً ف ، ففها « من الدواوين » ولامعنى لهذا ويريد بالدواوين الكتاب الذين يدونون متعلقات الأمير .

(٧) كذا فى ف ، د ، ط . وفى ل ، ز وعليه .

للفلاحين وغيرهم من رعية الأمير ، كما عليه أن يؤدي حق الأمير . بل هؤلاء
أحوج من الأمير إلى الرفق بهم ، واعتماد الحق معهم . فأين يكون الأمير يوم
يعض الظالم على يديه ولا أمر إلا الله تعالى !

المثال العاشر

الوزير

وهو اليوم ^(١) اسم لمن ينظر في المكوس ^(٢) وغيرها من الأموال التي
ترفع إلى السلطان ويبيت المال . ومن حقه بذل النصيحة للملك ، وكفّ أذاد
عن أموال الرعية ، وتخفيف الوطأة عنهم ما أمكنه . وقد علم أن المكوس
حرام . فإن ضمّ الوزير إلى أخذها الإجحاف في ذلك وتشديد الأمر فيه ،
والعقوبة عليه ، فقد ضمّ حراماً إلى حرام . بل إذا لم يقدر على إبطال حرام ،
فلا يزيد الطين بلة ، بل لا أقل من الرفق والتخفيف . وبما يجب عليه التيقظ
له الأموال التي تجتمع ^(٣) عنده ، ومنها حلال ومنها حرام . فعليه ألا يخلطها
بل يدع الحلال بمفرده ، والحرام بمفرده ، وإلا فتي خلطهما ^(٤) ولم تتميز صار
الكل حراماً . وفي ذهن كثير من العامة أن الأموال إذا خلطت ودخلت بيت
المال صارت حلالاً . وهذا جهل ؛ ما اجتمع الحلال ^(٥) والحرام إلا غلب
الحرام ^(٦) الحلال . وبيت المال لا يُحِل ما حرم الله تعالى . ثم إذا تميز الحلال

(١) وكانت الوزارة قبل من أرفع المراتب . كان الوزير يلي صاحب الأمر خليفة أو نائباً .
وقد قال منصور النيرى يمدح يحيى بن خالد البرمكي :

ولو علمت فوق الوزارة رتبة تنال بمجد في الحياة لئلا

(٢) واحده مكس . وهو ما يؤخذ من التجار . وكان السلطان يأخذ العشر في الأسواق .
ومثله كل ما يؤخذ من المال بغير حق شرعي من الضرائب التي تستحدث سوى الزكاة .

(٣) كذا في ف . ط . وفي د ، ل ، ز (تجمع) .

(٤) كذا في ف ، د . وفي ط (خلطها) .

(٥) كذا في كل النسخ ما عدا د ففيها (حلال وحرام) .

(٦) كذا في كل النسخ ما عدا ل ففيها (إلا غلب الحرام على الحلال) .

عن الحرام صرف الحلال على أهل العلم والدين ومن يتحرى أكله . ويتعين عليه التخفيف في العقوبات على من تتوجه عليه بغير حق إذا لم يمكنه دفعها . فليت شعري إذا جلس وزير يعاقب الرعايا ليستخرج منهم الخباثات التي لا يجوز له أخذها ، ودفعها إلى من يأخذها ظلماً ، ويصرفها فيما لا يحل فكيف يكون وجهه عند الله تعالى وكيف لا يتبادر إليه الوخم وسوء العاقبة في الدنيا ! وكذلك ترى عواقب الوزراء وقبط^(١) الدواوين شر^(٢) العواقب في الدنيا والآخرة .

المثال الحادى عشر

مشد^(٣) الدواوين

ووظيفته استخلاص ما يتقرر في الديوان على من يعسر استخلاصه منه . والكلام فيه كالكلام في الوزير . وهو أشد حالاً ؛ لأن الوزير يدعى أنه يعرف الحساب ولا يؤخذ إلا بما تقرر في الديوان ، وهذا يقلد الوزير : فيضرب ويعاقب على جهل بالشرع والعادة . بل حق عليه لو رفع إليه من توجه عليه حق معين أن يرفقه به . حكى أن^(٤) المنصور رحمه الله بلغه عن جماعة من كتاب الدواوين خيانة^(٥) فأمر بعقوبتهم فقال صبي^(٦) منهم وهو يضرب :
أطال الله عُمرَكَ^(٧) في صلاح وعِزِّ يا أمير المؤمنين
بعفوك أستجير فإن تجازى فإنك عصمة للعالمين
ونحن الكاتبون وقد أسأنا فهبنا للكرام الكاتبين

(١) كذا في ل . وفي ز (والقبط الدواوين) وفي ف (والقبط والدواوين) وفي ط (والقبط أهل الدواوين) وسقطت هذه الجملة من د .

(٢) كذا في ف ، ز . وفي د ، ل ، ط (سوء العواقب) .

(٣) ويقال فيه أيضاً : شاد الدواوين .

(٤) أورد هذه الحكاية الجهشيارى في كتاب « الوزراء والكتاب » ص ١٣٦ .

(٥) في كتاب الجهشيارى أن المنصور بلغه أنهم يزورون في دواوين داره .

(٦) عند الجهشيارى « واحد منهم » .

(٧) كذا في ط . وفي ف ، د ، ز (عزك) .

المشال الثاني عشر

الدواوين^(١) في سائر الجهات

وإلى الوزير إن كانوا دواوين السلطان مرجعهم . وإن كانوا دواوين
الأمراء فأمر كل ديوان إلى مخدومه . وعلى الكل الأمانة ، وتجنب الحياة .
ويختص ديوان الأمير بالرفق بالفلاحين . ويعم الكل تجنب حُرَمَاتِ الله تعالى
على ما وصفناه ؛ فلقد كثر منهم اتخاذ دُوى الذهب أو المحلاة بالذهب والفضة
والسكاكين المفضضة . والأصح تحريم ذلك كله ، إلا أن يكون نوه^(٢) بقدر
لا يحصل منه شيء بالعرض على النار . سمعت بعضهم يقول وقد قرأ منقوشا
على دُوى بعض الكتاب :

دواتنا سعيده ليس لها من مَترَبه^(٣)

عروس حسن جليت منقوشة مَكْتَبه^(٤)

قد انطلت جليتها على الكرام الكتبه

لم^(٥) تنطل إلا على اللصوص ، الكتبة في المكوس . فإذا رأيت ديوانا
من وزير أو غيره يخرج من بيته بعد أن امتلا باطنه^(٦) بالحرام ، وهو لابس

(١) الديوان موضع الكتاب ودارهم . وتراه يطلق الدواوين على الكتاب أنفسهم وهو يريد
الكتاب الذين يختصون بكتابة الالتزامات وحساب ما يعطى من الأرض لاستغلالها واستخلاص
ما هو مرتب عليها .

(٢) كذا في ف و هاشم ل . وفي ط ، ز (قدموه) وفي د (قدروه) والتنويه : الرفع .
والتنويه الطلاء بذهب أو فضة للنحاس أو الحديد ، ونرى أن « موه » أجود وألصق بالمعنى ،
و « نوه » إذا لم تكن محرفة فالمراد أن ترفع وتمن بالطلاء .

(٣) إن قرئ متربة بكسر الميم فهي ظرف كان يوضع فيه تراب لترتيب الكتاب وتجهيفه .
وقد يوضع فيه رمل فيسمى سمرلة . وإن قرئ متربة بفتح الميم فهي الفقر والحاجة .

(٤) جليت . يقال : جلا العروس : نظر إليها في بهائها وزينتها . وقد تكون : حليت . وقوله :
مكتبة كأنه يريد أنها كتب عليها ونقش .

(٥) يريد الشاعر أن الرأى لها وقد حليت بالذهب مثلا يخال أنها كلها من ذهب . وهي ليست
كلها من ذهب ، فبذلك تخدع الكرام الكتبة من الناس . وخفى هذا الذي ينقد هذه الآيات أن
يذهب القارىء إلى الكرام الكاتبين من الملائكة . فقال ما وصف .

(٦) كذا في كل النسخ . وقد يكون أصلها : بطنه .

الحرام ، وجلس على الحرام ، وفتح الدواة الحرام ، وأخذ يُمَدُّ^(١) الأقلام
للحرام ، ثم عاقب للحرام ، أفليس حقاً إذا رأيت به بعد زمن يسير مضروباً
بالمقارع ، يطاف به في الأسواق ويحجى^(٢) عليه !

المشال الثالث عشر

كاتب السرّ

ووظيفته التوقيع عن^(٣) الملك والاطلاع على أسرارها التي يكتب بها ،
وعنه تصدر التواقيع بالولايات والعزل . ومن حقه إنهاء القصص إلى الملك
وتفهيّمه إياها ؛ فإن أكثر الملوك يعسر عليهم الفهم ، ويُوتون من قبل ذلك ،
لا سيما إذا اشتبكت الأمور . وازدحمت الأشغال . فعلى كاتب السرّ التلطف
في ذلك بحيث تصل إلى ذهن الملك . وإلا فتى ظلم الملك واحداً في واقعة لعدم
فهمه ، وكان كاتب السرّ هو الذي قرأ عليه القصة فيها كان شريكاً له أو مستتبداً
عنه بالظلم . ومن حقه أن يكتب ما أسرّ إليه كما قال الشاعر :

ويُكاتب الأسرار حتى إنه ليصونها عن أن تمر بخاطره

وأن يحترز من الكتابة في قطع الأرزاق ؛ فقلبا أفلح كاتبه . وما أحسن
ما نقشه بعض كتاب السرّ على دواته فقال^(٤) .

حلّفت من يكتب بي بالواحد الفرد الصمد

ألا يمدّ مدّة في قطع رزقٍ لأحد

(١) يغسها في المداد .

(٢) كذا في ل . وفي د ، ز ، ط (ويحجى) وفي ف غير معجمة .

(٣) كذا في ف ، ز ، ط . وفي ل (على الملك) . وفي د (عند الملك) .

(٤) كذا في ز وفي ط (حيث قال) وفي باقي النسخ سقطت هذه الجملة . والنسخ بحمّة على

أن المقول : هو حلّفت البيتين فقط . وقد انفردت نسخة ط بإثبات بيت قبليهما ، وهو :
إذا فتحت دواة العز والنعم فاجعل مدادك من جود ومن كرم

المشال الرابع عشر

الموقعون^(١)

وعليهم الرفق بالرقية فيما يكتبونه ، والتخفيف من التشديدات التي يؤمرون بكتابتها ، ولا يسوغ الأمر بها . فإن كان لا يقدر على التخفيف فلا أقل من ألا يزيد الطين بلة ويسدد^(٢) فلقد بلغنى أن بعض الملوك قال لموقع : اكتب إلى فلان بالحضور . فأبرق في الكتابة وأرعد ، وقعقع في العبارة . فلما وصل إليه^(٣) الكتاب أرعده^(٤) ذلك بحيث وضعت امرأته وكانت حاملا ، وأرعى^(٥) هو مصارينه من الخوف . ولذلك قال فيهم بعض الشعراء :

قوم إذا أخذوا الأقلام من غضب ثم استمدوا بها ماء المنيات
نالوا بها من أعاديهم وإن بعدوا مالا يُنال بحدّ المشرفيات^(٦)
ومن حقه ألا يستعمل وحشى^(٧) اللغة ولا مالا يفهمه إلا كثر من الناس
لا سيما إذا كتب إلى من يبعد فهمه لذلك .

المشال الخامس عشر

المهمّندار^(٨)

اسم لمن يقوم بأمور قُصّاد الملوك ورسالهم . فمن حقه أن يعتمد مصلحة الإسلام^(٩) ، ويُرهب القصاد ، ويوهمهم قوة المسلمين وشدة بأسهم وعظيم

(١) يريد الذين يكتبون الرسائل والمكاتبات بأمر السلطان أو نائبه .

(٢) كذا في ف . وفي د ، ط ويشدد . والأول عطف على ألا يزيد والثاني على يزيد .

(٣) كذا في ف . وفي ط (وصله) .

(٤) كذا في ف . وفي د ، ل (أرعبه ذلك) وفي ز (ارتعد لذلك) . وفي ط (أرعبه)

بحذف ذلك .

(٥) أرى لفة في رى .

(٦) هي السيوف ، كانت تجلب من مشارف الشام فنسبت إليها .

(٧) كذا في ف ، ل وط . وفي د ، ز (حوشى) والمراد الغريب من الكلام .

(٨) هذا اللفظ مركب من لفظين فارسيين : مهمن ومعناه الضيف ، والثاني دار ومعناه ممسك

وحافظ كما سلف .

(٩) كذا في ف ، ل ، ز . وفي د ، ط (المسلمين) .

سطوتهم ، واتفق كلمتهم ، وقيامهم فى حوزة الدين وذبتهم عن حريم الملة الإسلامية ، وحفظ النظام ، وأن يُنهى أمور القصاد إلى الملك بمقدار^(١) ما يكون فيه المصلحة ، ورُبَّ من يتعين^(٢) عليه المبادرة إلى إكرامه ، ومن يتعين عليه الكف عن إعظامه ، بحسب ما تقتضيه الحال . ومن الحق على الملك ونوابه الاحتفال عند حضور قُصاد الملوك ، وإظهار القوة وحسن الملبس وكثرة الجيش واستعدادهم على الوجه الشرعى .

المشال السادس عشر

البريدية

وهم الذين يحملون رسائل الملك وكتبه . وكانت أئمة العدل لا يُبرِد^(٣) البرِد^(٤) إلاّ لهم من مهمات الإسلام ، لمثله تساق الخيول ، وتزعج النفوس ، والآن أكثر ما تهلك خيول البريد وتساق للأغراض الدنيوية ، من شراء الممالك وجلب الجوارى والأمتعة . وإذا ركب الفقيه^(٥) فرسا أنكر [عليه^(٦)] ذلك ، وقيل : قد أخطأ السلطان أو نائبه فى إركابه ؛ فإن البريد لا يساق^(٧) إلا لمهمات السلطنة . كأهم يعنون بمهمات السلطنة ما اعتادوا به^(٨) من شراء ملوك ملبح ، أو استدعاء مغنّ حسن الصوت ؛ أو خراب بيت شخص أنهى عنه مالا صحة له ، إلى أمثال^(٩) ذلك . وخفى عنهم أن أئمة العدل كانوا يستدعون

(١) كذا فى ف ، د . وفى ط (بقدر) .

(٢) كذا فى ط . وفى د (تتعين) .

(٣) كذا فى كل النسخ ما عدا د ففيها (يبردون) .

(٤) كذا فى كل النسخ ما عدا ل ففيها (البريد) .

(٥) كذا فى كل النسخ ، عدا ل ففيها (فقيه) .

(٦) هذه الزيادة فى ط وقد خلت منها سائر النسخ .

(٧) كذا فى النسخ ما عدا ف ففيها (تساق) .

(٨) كذا والعروف أن اعتاد يتعدى بنفسه ، فإن صح هذا الأصل فقد ضمن اعتاد معنى عسك .

(٩) كذا فى النسخ ، عدا ل ففيها (مثال) .

العلماء من البلاد لأجل نفع المسلمين واشتهار^(١) الدين، وأن ركوب البريد لهذا الغرض خير من ركوبه في أغراضهم الفاسدة . وقد كان عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه يُبرِدُ البريد للسلام على قبر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فهل رأيت في زماننا ملكاً يفعل ذلك ! ومن حق البريدى كتمان الأسرار ، وستر العورات ، وكفّ لسانه عن الفضول فضلاً عن الكذب . فلقد كثرت منهم الكذب ونقل البهتان لأجل حطام من الدنيا . ومن حقّه حمل رسائل الإخوان إليهم : ففي ذلك أجر عظيم وشكر لهذه النعمة . وحق على كل بريدى ألا يجهد^(٢) الفرس بل يسوقها بقدر طاقتها . وقد كثرت منهم سوق الخيول السوّق المزعج بحيث تهلك تحتهم . أفأعلموا أنها من خلق الله تعالى . فإذا رأيت بريدياً يسوق الخيل في أمر لا يجوز حتى يهلكها ، ثم يقدّم على أهل بلد فيزعجهم ، ثم يعود للسلطان^(٣) فيدلّ على عورات المسلمين ويُغري الظلمة بالمساكين ، الغافلين والغافلات ، ثم يزيل الله سبحانه عنه النعمة ، ويذيقه أنواع الذل والإهانة فلا تعجب ، واعلم أن ذلك من الله عدل .

المشال السابع عشر

ناظر الجيش

فمن حقه النظر في حالهم ، وتجريد من يرى فيه^(٤) المصلحة والكفاية والقدرة . وحرام عليه أن يجهد عاجز الفقراء^(٥) وغيره ، أو أن يُغري به الملك . بل عليه الدفع عنه بما يمكنه : فإنه ناظر عليه كناظر اليتيم . وعليه توزيع التجريدات على حسب مصلحة المسلمين ؛ فإنه مطالب بذلك كله ، فليثق الله ربه .

(١) كذا في ف . د . و . ي ط (وإشتهار) ولم يرد أشهر القى ، في معنى أعلنه .

(٢) يقال : جهدت الدابة وأجهدتها : جئت عليها في السير فوق طاقتها .

(٣) ق ل . إلى السلطان .

(٤) كذا في ف . و . ي ط و د (فيه) .

(٥) قد يكون : عاجزاً لفقراً أو غيره .

ومن قبائح ديوان الجيش إلزامهم الفلاحين في الإقطاعات بالفلاحة ، والفلاح حر لا يد لادعى عليه وهو أمير نفسه . وقد جرت عادة الشام بأن من نزح^(١) من دون ثلاث سنين يلزم ويُعاد إلى القرية قهراً ، ويلزم بشد^(٢) الفلاحة . والحال في غير الشام أشد منه فيها . وكل ذلك لا يحل اعتماده ، والبلاد تعمر بدون ذلك . بل إنما تخرب^(٣) بذلك ؛ لأنهم يضيقون على الناس فيضيق الله عليهم . ومن قبائحهم أنهم إذا اعتمدوا شيئاً مما جرت^(٤) به عوائدهم^(٥) القبيحة يقولون : هذا شرع الديوان ؛ والديوان لا شرع له ، بل الشرع لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم . فهذا الكلام يذهب إلى الكفر ؛ وإن لم تشرح النفس لتكفير قائله ؛ فلا أقل من ضربه بالسياط ؛ ليكف لسانه عن هذا التعظيم^(٦) الذي هو في غنية عنه بأن^(٧) يقول : عادة الديوان أو طريقه أو نحو ذلك من الألفاظ التي لا تنكر .

المشال الثامن عشر

السيّاحدار : الذي^(٨) يحمل السلاح

ومن حقه الاحتفاظ حسبها شرحناه ونشرحه في أبواب الوظائف .

المشال التاسع عشر

الجُمُقدار

حامل الدبوس^(٩) .

- (١) كذا في ل . وفي هامشها (خرج) ، وفي باقي الأصول (يروح) .
- (٢) كذا في د ، ط ، ز ، ل . وفي ف (بسد) .
- (٣) كذا في ف . وفي د ، ط (تخرب البلاد بذلك) .
- (٤) كذا في ف ، د . وفي ط لم تذكر جملة (مما جرت) .
- (٥) كذا في ف . وفي ل ، د ، ز (عادتهم الحبيثة) .
- (٦) كذا في ط . وفي ف ، د (العظيم) .
- (٧) كذا في كل النسخ ما عدل ففيها (بل يقول) .
- (٨) في ط : وهو الذي يحمل السلاح . والسيّاحدار أصله السلاحدار ، وقد يكتب هكذا بالألف ، وكثيراً ما تحذف الألف في مثل هذا ، ومنها سمك السلاح .
- (٩) كذا في د ، ف . وفي ط (وهو الذي يكون دائماً حامل الدبوس) والدبوس من أدوات السلاح : قضيب من حديد في نهايته كتلة من حديد .

المثال العشرون

الطَبَر دَار^(١)

وهو الذى يحمل السلاح بين يدى السلطان لأجل حفظ نفسه .

المثال الحادى والعشرون

الجُوكَانْدَار^(٢)

وهو الذى يحمل الجوكان^(٣) .

المثال الثانى والعشرون

الجَمَسْدَارِيَّة^(٤)

وأكثر ما يكونون صبياناً ملاحاً مردداً ، يتعاناهم^(٥) الملوك ، وكذا
الأمراء ، يكونون بالنوبة مع المخدم ، يلزمونه حتى وقت نومه ، وقد
تناهت الرغبة فيهم لاستيلاء شهوة المرد الملاح على قلوب أكثر أهل الدنيا ،
وصارت الجمدارية تنوع فى الملابس المهيجة للشهوات البشرية ، ويتزينون
فيُربون فى ذلك على الدماء ، ويفتنون الناس بجمالهم . وحرام على

(١) هذا اللفظ مركب من « طبر » وهو الفأس ، ودار أى ممسك . وكلاماً لفظ فارسى .

(٢) هذا الرسم عن ف . وفى ل ، ط (الجوكندار) . وفى ز (الجوقدار) .

(٣) كذا فى ط . وفى ف (الجوكندار) وهو غلط والجوكان هو المحجن الذى تضرب الكرة به .

(٤) كذا فى ز . وفى غيرها : (الجمدار) والجمدار هو الذى يتولى لباس السلطان أو الأمير

نبايه ، وأصله جامادار وهو مركب من « جاما » أى الثوب فى الفارسية ومن دار أى ممسك .

(٥) كذا فى ف . وفى ل ، ز (تعاناهم) وفى هامش ل (تعايهم) وفى د (تعاناهم الملوك) وقوله :

يتعاناهم الملوك أى يتخلد بهم وهو من غنيت الشئ : قصده ، وقد شاعت هذه اللفظة ولم تنف عليها
فى اللغة ، يقال : فلان يتعانى الأدب . ونسخة د : تعاناهم كأنه من الغنية أى تقنيهم ، وكان ما فى

ز ، وهامش ل محرف عن هذا .

جَمَدَارُ يَؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَلْبَسَ نَفْسَهُ لِهَذَا الْغَرَضِ ، أَوْ ^(١) أَنْ يَتَشَبَّهَ بِالنِّسَاءِ فِيمَا خُلِقْنَ لَهُ . وَلَيْسَ لَهُ أَنْ يُمْكِنَ مَخْدُومُهُ أَنْ يَلُوطَ ^(٢) بِهِ ، وَلَا أَنْ يُقْبَلَ . فَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ ، وَلْيَرْحَمْ شَبَابَهُ ؛ فَإِنْ ^(٣) الدُّنْيَا أَهْوَنُ ^(٤) عِنْدَ اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ . وَمَنْ آدَابُهُ إِذَا أَلْبَسَ الْمَخْدُومَ ثِيَابَهُ أَنْ يَقْدَمَ الْإِيْمَنُ مِنَ الْخَلْفِ قَبْلَ الْإِيْسَرِ ، وَإِذَا نَزَعَهُ أَنْ يَعْكَسَ .

المثال الثالث والعشرون

البَشْمَقْدَارُ ^(٥)

وهو من أقبح البدع لأنه موضوع لحمل نعل الأمير . وذلك من الرعونة والحق . ومن آدابه ألا يضع النعل على البساط وغيره مما يطؤه الناس بأرجلهم حفاة ، وربما لاقاه وجه مصلٍّ ، وربما كانت بخاسة في النعل . وبتهقدير ألا يكون شئ من ذلك فلا يخفى ما في وضعه على هذا الوجه من الكبر ^(٦) والخيلاء . فإذا كان لابد من بشمقدار ^(٧) فلا أقل من أن يضع نعل الأمير موضع نعال الخلق .

(١) كذا في ف . وفي د ، ط (وأن) .

(٢) كذا في ف . وفي د ، ط (يتلوط) .

(٣) كذا في ف وفي ط ، د (فالدنيا) .

(٤) كذا في ف . وفي د ، ط (أقل) .

(٥) هو الذي يحمل نعل السلطان أو الأمير . وهذا اللفظ مركب من " بَشْمَق " وهو المعنى

بالتركية ، ومن دار الفارسية ، ومعناها ممسك .

(٦) كذا في كل النسخ ما عدا ط ففيها (الكبرياء) .

(٧) كذا في ف ، ط ، د ، ز . وفي (البشمقدار) .

المثال الرابع والعشرون

أمير علم

وإليه أمر طبول الطبلخانات^(١) . ومن حقه الاحتياط وقت الحرب في الضرب^(٢) ، وتهيجُ العسكر على الإقدام والمبارزة ، والكفُّ حسبما يقتضيه دين الله تعالى ، وتدعو إليه الغيرة على بيضة الإسلام .

المثال الخامس والعشرون

أمير شكار^(٣)

وإليه أمر الطيور والكلاب المعدة للصيد .

المثال السادس والعشرون

أمير آخور^(٤)

وإليه أمر الخيول والإصطبل .

المثال السابع والعشرون

السقاة

وإليهم أمر المشروب . وهم^(٥) من أقبح البدع والتنطع في الدنيا . قد كانت الصحابة رضي الله عنهم وملئهم أوسع وأعظم من ملك الأتراك ، والأملاك

(١) أي بيت الطبل . ويشتمل على الضبول والأبواق وتوابعها من الآلات .

(٢) كذا في د . ل . ز . وفي ف (في الضروب) وفي ط (في الضرب وقت الحرب) .

(٣) شكار بكسر الشين : الصيد في الفارسية . فإممي : أمير الصيد ومتوليه .

(٤) كذا في كل النسخ . معداً : ففيها (أمير باخور) وكذا في هامش ل . والصواب ما أثبت

وآخور عند الفهرسة : المعلق . وهو لفظ فارسي معناه أمير المعلق لأنه المتولى لأمر الدواب . وأمم أمواها المعلق .

(٥) كذا في . . د . وفي هـ (وهو) .

التي كانت في أيديهم أضعاف هذه الأموال بما لا يحصىه إلا الله تعالى ،
يكرعون^(١) في الماء . وعلى كل أرباب هذه الوظائف النصح حسب^(٢) تقتضيه
وظائفهم . ونذكر الساقى بشيئين : أحدهما أنه لا يحل لساق يؤمن بالله
واليوم الآخر أن يُحضّر لمخدومه منكرأ^(٣) يشربه . وعليه إعمال الفكرة
والحيلة في سد هذا الباب ، وإبعاده عن الأمير بقدر طاقته وقدرته . وله أن
يكذب ويقول : لم أجد : أو ذهب ، وما شاء في هذا الباب بما لا يخفى على
صاحب التقوى .

وإن رأى الأمير جباراً لا يرجعه عن ذيل^(٤) فعليه التوسط ودفع المنكر
ما أمكنه وإبعاده عنه : لا سيما في الأوقات التي يجلس فيها الأمير للحكم بين
الرعية . فياويح أمير يجلس للحكم بين الرعية وهو سكران ! وثانيهما حفظ
حقوق مخدومه ، والخشية عليه من عدو يضع له في المشروب ما يهلكه من
سم ونحوه . ولقد بلغنا عن جماعة من المماليك السُّقاة قتل مخاديمهم لأغراض
الدنيا . فقبجهم الله من طائفة ! وجربنا فلم نجد مملوكاً ساعد على أستاذ
إلا وأهلكه الله قريباً ، ولم يحصل على شيء مما أمّله ، بل تنعكس آماله
وتتغير أحواله .

(١) أي يقرعون من غير الاستعانة بكوز أو قدح . بل يتناولون الماء بأفواههم .

(٢) كذا في النسخ . أعداء فقيها (فيما) .

(٣) في نسخة على هامش ل : مسكراً .

(٤) يريد العذل ، ولم أوقف على هذه الصيغة في مصدر عدل .

المثال الثامن والعشرون

الطواشية^(١)

اعلم أن الممسوح : الذى ذهب^(٢) أنثياه وذكره بالسكية ، ذهب أكثر أصحابنا إلى جواز نظره إلى الأجنبية . وفيه وجه [آخر^(٣)] : أنه حرام ، وهو مذهب أبى حنيفة وأحمد رحمهما الله . وكان الشيخ الإمام رحمه الله يختاره . وأما الحصى : الذى ذهب أنثياه دون ذكره ، والمحبوب : الذى ذهب ذكره دون أنثياه فلا يحل لواحد منهما أن ينظر إلى الأجنبية على الصحيح . وهذا كله فى نظر الطواشى إلى الأجنبية . أما نظره إلى سيده فأكثر أصحابنا أن نظره العبد إلى سيده حلال ، وإن كان سليم الذكر والأنثيين . هذا ما رجحه الرافعى والنووى . وعلى هذا نظر الطواشى أولى بالحل ؛ ولكن الصحيح عند الشيخ الإمام وجماعة أن نظر سليم الذكر والأنثيين إلى سيده حرام ؛ وهو الحق : فكيف يباح نظر الممالك الحسان الذين يفتنون بجمالهم إلى سيداتهم ، والنساء ناقصات عقل ودين . أما إذا اجتمع كونه طواشياً وكونه^(٤) مملوكاً لسيده فهو أقرب إلى الجواز من لم يجتمع فيه الأمران . ولذلك^(٥) جوز مالك نظر المرأة إلى الطواشى إذا كان مملوكاً لها أو لزوجها ، ومنعه إذا لم يكن كذلك . ومن الطواشية الزمام^(٦) وهو الذى يخص النساء . ومن حقه غرض

(١) واحد الطواشية طواشى ، وهو الحصى . وهذا اللفظ مولى لم يوجد فى كلام العرب ، كما فى شرح القاموس .

(٢) كذا فى د ، ل ، ز ، ط . وفى ف (ذهب) .

(٣) كذا فى ف . ولم تثبت هذه الكلمة فى سائر النسخ .

(٤) كذا فى ل . ز . وفى ف ، د (طواشياً ومملوكاً) وفى ط (طواشياً ومملوكاً) .

(٥) كذا فى ف ، د . وفى ط (وكذلك) .

(٦) وقد يقال له الزمام دار . ويذكر صاحب صبح الأعشى (ج ٥ ص ٤٦٠) أن الأصل فيه زنان دار ، وزنان فى الفارسية : النساء ، ودار : الممسك أى مولى أمور النساء ، فخرت إلى زمام دار .

بصره عما يخضهن ، والنصح لصاحب البيت ، وإعلامه بما يعجز عن إزالته من
الريب ، ومنع أرباب الفجور من العجائز وغيرهن من الدخول عليهن . ومنهم
مقدم الممالك وهو الذى إليه أمر المردان . ولا يحل له المواطأة على الفجور
بهم ، ولا يمكن^(١) بعضهم من مضاجعة البعض فى فراش واحد . وقد كثر فى
هذه الطائفة نوع القيادة لمخدومهم ، وكذلك لغيرهم . وكذلك فى الزمام كثر
منهم القيادة . وذلك لما جبلت عليه الطواشية من نقصان العقول وشبههم^(٢)
بالنساء : حتى قيل : ما اختلى طواشى بالنساء إلا وحدث نفسه بأنه رجل ،
ولا بالرجال إلا وحدث نفسه بأنه امرأة . وقيل : الطواشية أشد الناس
غيرة^(٣) وأكثرهم استحساناً^(٤) وقيادة على من تحت أيديهم : من امرأة أو مملوك .
وفى كتب الحنفية أنه يكره استخدام الخصيان مطلقاً : لأنه تحريض على
الخصاء المنهى عنه .

المشال التاسع والعشرون

الحاجب

والحجوبية^(٥) وظيفة قديمة كانت تُسمى القيادة . وكان الحاجب يسمى
قائد الجيش . ولم يكن فى الزمان الماضى يحكم بل يعرض الجيش ، ويعتبر حاله ،
ويُنهيهِ إلى الأمير . والآن اصطُلحت الترك على أنه يفصل [فى] القضايا . فنقول :
عليه رفع الأمور إلى الشرع ، وأن يعتقد أن السياسة لا تنفع شيئاً ؛ بل تضر
البلاد والرعايا ، وتوجب الهرج والمرج . ومصلحة الخلق فيما شرعه الخالق

(١) كذا فى ف . وفى باقى النسخ (يمكن) .

(٢) كذا فى ف . د . وفى ط (وشبههم) .

(٣) كذا فى الأصول . وقد يكون : (عدم غيرة) حتى يناسب ما سيحكم عليه به .

(٤) الاستحسان هنا الديانة والقيادة على الحرم . وانظر شفاء الغليل .

(٥) الذى فى التماموس أن خطة الحاجب أى حرفته ووظيفة الحجابة . وكان المولدين صاغوا

الحجوبية على مثال الفروسية والرجولية .

الذى هو أعلم بمصالحهم ، ومفاسدهم ؛ وشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم متكفلة بجميع مصالح الخلق فى معاشهم ومعادهم . ولا يأتى الفساد إلا من الخروج عنها ، ومن لزمها صلحت أيامه ، واطمأنت ؛ ولم يقض رسول الله صلى الله عليه وسلم نحبه حتى أكمل الله لنا ديننا . وقد اعتبرت — ولا يثبتك مثل خير — فما وجدت ، ولا رأيت ، ولا سمعت بسultan ، ولا نائب سلطان ، ولا أمير ، ولا حاجب ، ولا صاحب شرطة يُلقى الأمور إلى الشرع إلا وينجو بنفسه من مصائب هذه الدنيا ، وتكون مصيبته أبداً^(١) أخف من مصيبة غيره ، وأيامه أصلح ، وأكثر أمنا وطمأنينة ، وأقل مفاسد . وأنت إذا شئت فانظر تواريخ الملوك والأمراء العادلين ، والظالمين ، وانظر أى الدولتين أكثر طمأنينة وأطول أياما ؟ وكذلك اعتبرت فلم أر ولم أجد من يظن أنه يصلح الدنيا بعقله ، ويدبر البلاد برأيه وسياسته ، ويتعدى حدود الله تعالى وزواجره إلا وكانت عاقبته وخيمة ، وأيامه منغصة منكدة^(٢) وعيشه قلقا ، وتفتح عليه أبواب الشرور ، ويتسع الخرق على الراقع ، فلا يسد ثلثة إلا وتفتح ثلثات ، ولا يرفع^(٣) فتنة إلا ويلشأ بعدها فتن كثيرة . وعلى مثله يصدق قول الشاعر :

نرفع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا مانرقع

فن خطر له أنه إن لم يسفك الدماء بغير حق ، ويضرب المسلمين بلا ذنب لم تصلح أيامه فعرّفه أنه جهول باغٍ أحرق حمار ، دولته قريبة الزوال ، ومصيبته سريعة الوقوع ، وهو شقى فى الدنيا والآخرة . وإذا أخذه الله لم يُفلته ؛ قال الله تعالى : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » أخبر عز وعلا أنا إن^(٤) لم نحكم

(١) كذا فى ف ، ل ، ز . وفى د و ط من غير ذكر لفظ (أبداً) .

(٢) كذا فى د وهامش ل . وفى ز ، ف (منكدة أو متكدة) . وفى ط (متكدة) .

(٣) فى نسخة فى هامش ل : يدفع .

(٤) كذا فى ف . وفى ل ، ز (أنا لم نحكم) . وفى د (أن لم نحكم) . وفى ط (أنا لم نؤمن

حتى نحكم) .

هذا النبي العظيم ثم إذا حكمتم لم نجد في أنفسنا حرجاً وضيقاً وقلقاً من حكمه بل نطمئن له ونسلم ، وننقاد ونذعن . وإلا^(١) فنحن غير مؤمنين ، فكفى بهذه الآية واعظاً وزاجراً لمن وفقه الله تعالى . فإن قال حمار من هؤلاء : أنا من أين أعرف هذا وأنا عاى تركى لا أعرف كتاباً ولا سنة ؛ قلنا له : هذا لا ينفعك عند الله تعالى شيئاً ؛ ألم يجعل الله لك عينين ، ولساناً وشفهتين ، وهداك النجدين . إذا كنت لا تعرف فاسأل أهل الذكر ؛ فإن هذا شأن من لا يعلم ؛ وإلا فأنت تأتى يوم القيامة وغرماؤك الذين ضربتهم وعاقبتهم يجرؤونك فى الحبال وأنت تسحب على وجهك ، ولا^(٢) ينفعك هناك شيء من هذه الأقاويل . وإن عجرت عن الفهم فالك وللدخول فى هذه الوظيفة ١٤ دعها^(٣) .

إذا لم تستطع أمراً^(٤) فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع

المشال الثلاثون

النقباء^(٥) فى أبواب الحجاب والولاية وغيرهم

على الواحد منهم إذا جهّز فى طلب أحد السكون فى الحركة ، والرفق بمن يطلبه . وحرام عليه أن يزججه ويُرعبه . فإن هو فعل فهلك أحد فى الدار — وكثيراً ما أجهضت حامل جنينها — أو ارتجف واحد من الصبيان فهلك فقد أوجب عليه بعض العلماء القصاص . وإن^(٦) كان إنما فعل ذلك لحطام

(١) قوله : (وإلا) لا داعى إليه ، وقوله : فنحن غير مؤمنين جواب (إن لم نحكم) .

(٢) كذا فى ف . وفى باقى النسخ بدون واو .

(٣) فى ل بعد قوله دعها : (وما أحسن ما قيل)

(٤) كذا فى ف . وفى باقى النسخ (شيئاً)

(٥) واحد النقباء نقيب . ونقيب القوم عريفهم وضميمهم . ونقيب الجيش : الذى يتكفل بإحضار من يطلبه السلطان من الأمراء والأجناد ، وكأنه المراد هنا .

(٦) كذا فى ف . وفى باقى النسخ (وإذا)

الدنيا ، وأن يقال : النقيب الفلاني شاطر ناهض ، ماراح في شغل إلا وقضاه ،
فذاك أقبح وأبشع . بل عليه الرفق ذاهبا وآتيا . وإذا عاد وعلم الحال ترفق
في إنهائه ؛ بحيث لا يزداد الأمر شدة ، ولا الأمير حدة .

المثال الحادى والثلاثون

الوالى

وكان هذا الاسم قديما لا يسمى به إلا نائب السلطان . وهو الآن اسم
لمن إليه أمر أهل الجرائم من اللصوص والخارين وغيرهم . ومن حقه الفحص
عن المنكرات : من الخمر والحشيش ونحو ذلك ، وسد الذريعة فيه ، والستر
على من ستره الله تعالى من أرباب المعاصى ، وإقالة ذوى الهيئات عثراتهم .
وليس له أن يتجسس على الناس ويبحث عما هم فيه من منكر ، ولا كبس^(١)
بيوتهم بمجرد القال والقال والقييل ؛ قال الله تعالى : « ولا تجسسوا » . وثبت في صحيح
مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال : « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث
ولا تجسسوا ولا تحسسوا » . قال العلماء : أراد بالظن سوء الظن . وقيل لابن
مسعود : هذا فلان تقطر لحيته خمرا . فقال : إنا نهينا عن التجسس ، ولكن
إن يظهر لنا شيء نأخذ به . أخرجه أبو داود^(٢) وعن معاوية قال : سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنك إن اتبعت عورات المسلمين
أفسدتهم أو كدت تفسدهم » ؛ أخرجه أبو داود أيضا . فقل^(٣) لجاهل يحظر له
أنه يصلح الناس بتبع عوراتهم : رسول الله صلى الله عليه وسلم أصدق البشر
قال : إن اتبعتها أفسدتهم أو كدت . بل حق على الوالى — إذا تيقن — أن

(١) يقال : كبس بيت فلان : هجم عليه والمراد أن يفحصه ، ويدخله على غيرة .

(٢) كذا في ف ، د ، هـ ، وفى ط (أبو داود وغيره) والحديث في سنن أبي داود في أبواب الأدب
وانظر من ٢١٣ ج ٤ من سنن أبي داود المصنوع على هامش شرح الزرقاني الموطأ .

(٣) كذا في ف ، د ، هـ ، وفى ل (قبل خاغل) وفى ز (قبل لجاهل) .

يبعث سرّاً رجلاً مأموناً ينهى عن المنكر بقدر ما نهى الله ولا يزيد على ذلك . وما تفعله الولاة من إخراج القوم من بيوتهم ، وإزعاجهم وهتكهم ، كل ذلك من تعدى حدود الله تعالى ، والظلم القبيح . وليس للوالى غير أن يجلدهم فقط بسوط معتدل بين القضيب^(١) والعصا ، لا رطب ولا يابس ، ويفرق السياط على الأعضاء ، ويتقى الوجه والمقاتل ، ولا يتقى الرأس على الصحيح ، وهو مذهب أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وفيه وجه أنه يتقيه ، وهو مذهب على رضى الله عنه ؛ وبه قال أبو حنيفة . ولا يلقي على وجهه ولا يمد ، ولا يجرد عن ثيابه ، بل عن مقدار ما يدفع وصول الألم ؛ ويترك عليه قيص أو قيصان . ولا يقام حد الخمر في السكر بل يؤخر حتى يفيق . فإن أقامه في السكر أخطأ ولم يعده إذا أفاق ، نقله أبو حيان^(٢) التوحيدى عن القاضى أبى حامد . فإن سمعت بوال بلغه عن جماعة أنهم على منكر فأنى بخيله ورجله ، وهتك ستر أناس سترهم الله تعالى ، ثم ضم إلى ذلك أخذ مال منهم تسميه الولاة التأديب والجنایات ، فاعلم أن صفقته خاسرة ؛ ليت شعري آله أمره بهذا حتى يعتمد معه خلقه ، والذي يجب عليه التأديب هذا الوالى الذى يأخذ مال الناس من غير حله . فإن ضم إلى ذلك أن حد الحامل الفقير ولم يحد المتجوه^(٣) الغنى فقد ضم ظلماً^(٤) إلى ظلم . فإن زاد وأخرج القوم من بيوتهم وهتك حريمهم فقد باء بأقبح إثم ؛ فإن الله تعالى لم يأمر

(١) أى الغصن .

(٢) هو على بن محمد بن العباس صاحب الإمتاع والمؤانسة ، والمقابسات . وهو من أعلام القرن الخامس ، وله ترجمة في طبقات الشافعية في أول الجزء الرابع . وشيخه الأستاذ أبو حامد الإسفرايينى شيخ طريقة العراقيين في فقه الدافعية ، كانت وفاة أبى حيان في سنة ٤٠٦ هـ وانظر طبقات الشافعية ص ٢٦ ج ٣ .

(٣) يريد ذا الجاه . ولم تقف في اللغة على توجه في هذا المعنى ، وقد ورد وجهته : جملة وجهياً ، ولا بأس أن يقال في مطالعته : توجه ، فيكون الصواب في عبارة المؤلف (التوجه) وقد وجدنا في نسخة هامش ل : المتوجه .

(٤) كذا في ف ، ط . وفي د (فقد ضم ظلمات بعضها فوق بعض وظلماً إلى ظلم) .

بذلك . « ومن يتعدّ حدود الله فقد ظلم نفسه » ومن الولاية من يتجاوز في الضرب المقادير ، ويتنوع في إيصال الآلام لمن يعاقبه بمجرد التهمة والظن ؛ أمّا علم هذا الفاجر أن ضرب برىء أصعبُ عند الله تعالى من تخليّة ذي^(١) جريمة . وبعض من طبع الله على قلبه من الولاية ، يأمر بالرجل أن يجرد^(٢) ، فإذا شرع الجلاّد في ضربه قام الوالى للصلاة ، وأطال — سمعت ذلك عن بعض ولاية القاهرة — فيستمر المضروب تحت العصيّ والمقارع ما دام الوالى في الصلاة . فقبحه الله ، آله أمره بهذا ! وأى صلاة هذه !

ومن أحكام الولاية الفاسدة ، أنه إذا رفع إليهم من أزال بكاره امرأة أمره بزواجها ، وكذلك إذا أحبلها : ظناً منهم أن ذلك خير من ضياع الولد بلا نسب ، وهتيكه الزنا . وهذا خلاف دين الله تعالى ؛ فإن ولد الزنى لا يلحق بالزانى ، ولا يكون ابناً له ، ولا يرثه ، فيفعلون حراماً يستمر أبداً الآباد ، وهو جعل ولد الزنى ابناً يرث الزانى ويصلى عليه إلى غير ذلك من أحكام الأبناء . وحكم الله تعالى فيمن أزال بكاره امرأة بغير^(٣) حق إن كانت مكرهه أنه يجب عليه مهر بكر وأرش^(٤) البكاره هذا هو الصحيح ، وقيل : مهر ثيب وأرش البكاره . وقيل : مهر بكر فقط . وكل منها وقع للرافعي ترجيحُه ، وتبعه النووي ، ولكن^(٥) الأول هو التحقيق . وأما المطاوعة فلا يجب لها شيء .

(١) كذا في كل النسخ ما عدا ط فيها (من تخليّة غير برىء) .

(٢) كذا في كل النسخ ما عدا ط فيها (أن يجلد) .

(٣) كذا في د ، وفي باقي النسخ (إن كانت مكرهه أنه يجب) .

(٤) يريد أرش البكاره ما يعرف عند الفقهاء بالمكومة . وهو الفرق بين قيمة المحي عليه سائماً وفيمنه معيياً بفرضه رقيقاً . فهذا قدر قيمة الزنى بها على فرض أنها أمة وهي بكر ، وقبيلتها وهي ثيب . والأرش ما بين القيمتين .

(٥) كذا في كل النسخ ما عدا ط فيها (لكن) .

المثال الثاني والثلاثون

البواب

وأهل الشام يسمونه المعروف ، وربما قيل المقدم وهو^(١) [رجل بباب
الوالي يكون بالمرصاد للصوص ؛ عليه الفحص عن أمرهم^(٢) ؛ ليكشف عن
الخلق شرهم . وعليه مجانبية الهوى والميل . ولا بأس عندى إذا وقع له
متردد^(٣) ، وغلب على ظنه أنه السارق لما اتهم به أن يُعَمِّل الحيلة فى تقريره
بأخذ المال من غير عقوبة ، ولا داعية إلى الإقرار على وجه يوجب القطع ؛
فإن القطع حق الله تعالى ، والفحص عنه لا ضرورة إليه ؛ لبنائه على المسامحة ،
بخلاف المال .

فهذه غالب وظائف الدولة .

المثال الثالث والثلاثون

أمراء^(٤) الدولة

عليهم تفقد حال الأجناد ، وتعليمهم رعى الشباب ، والمسابقة على الخيل ؛
بحيث يعرفون الطعان والضرب والحرب . وللأمر أن يحثهم فى المسابقة
والمناضلة على الرهن إذا كان يبعث عزائمهم . والرهن فى ذلك جائز . ومن
شرط العقد عليه لزمه^(٥) إلا أن يكون على صورة القمار ؛ فهو حرام
لا يلزم فيه العوض . وصورة القمار أن يكون كل واحد منهما^(٦) لا يخلو عن
غنم أو غرم ؛ وذلك أن يُخرج كل واحد من الفارسين ديناراً مثلاً على أن
من سبق منهما أخذ الدينارين جميعاً . فهذا حرام ، إلا أن يكون هناك محلل ؛

(٥) كذا فى ل ولم تثبت فى باقى النسخ .

(٦) كذا فى ف ، د ، ط ، ز . وفى ل (عن أمورهم) .

(٣) كذا فى النسخ ماعدا ط فقيها (تردد) .

(٤) هم المعروفون الآن بضباط الجيش .

(٥) كذا فى د ، ط ، ل . وفى ف (لزومه) .

(٦) كذا فى النسخ ماعدا ل فقيها (منهم) .

وهو ثالث يسابقهما بفرس كفى^(١) لفرسيهما على أنه إن سبقهما أخذ الدينارين ، وإن سبقاه لم يغرم شيئاً . وتصح المسابقة على الفيلة والبغال والخيول في الأصح . ولا تجوز^(٢) على الحمام ، ولا على غيره من الطيور . ولا يجوز الصراع على الأصح . وما يعتاده الأمراء في هذا الزمان من لعب الكرة^(٣) في الميدان حلال . ويلبغى أن يقصدوا به تعليم الخيل الإقبال والإدبار ، والسكر والفر .

وأما المراهنة في ذلك إن كانت من جانب واحد فهي جائزة ولكن لا يلزم العوض فيها بل هي^(٤) تبرع إن شاء وقي به ، وإن شاء لم يف . وإن كان الرهن من الجانبين^(٥) كان قماراً حراماً . وأما العلاج^(٦) الذي يتعاطاه^(٧) الشباب^(٨) فإن كان لا يضر أبدانهم ولا يشغلهم عن ذكر الله وعن الصلاة فهو جائز ، ولا يجوز فيه الرهن . وعلى الأمير إذا سار بالجيش الرفق بهم ، والسير على سير أضعفهم ، وتفقد خيولهم ، وتقوية قلوبهم . ومن قبائح كثير من الأمراء أنهم لا يوقرون أهل العلم ، ولا يعرفون لهم حقوقهم ، وينكرون عليهم ما هم يرتكبون^(٩) أضعافه . وما أحق^(١٠) الأمير إذا كان يرتكب^(١١)

(١) كذا في ف ، د . وفي ط (كفؤ) والكنى والكفؤ بمعنى واحد .

(٢) كذا في ف ، د . وفي ط (تصح)

(٣) كذا في ط . وفي د (من الكرة) وفي ف (من لعب الكرة) .

(٤) كذا في كل النسخ ماعدا ط ففيها (بل هو) .

(٥) كذا في كل النسخ ماعدا ط ففيها (من جانبين) .

(٦) العلاج هو إشالة الأحجار ورفعها . وكانوا يتسابقون في ذلك . وفي هذه الأيام قد يجري

التسابق في إشالة كتل الحديد .

(٧) كذا في ف . وفي د . ط (يتعاطاه) .

(٨) كذا في ط . وفي ف . د (الشباب) .

(٩) كذا في ف . وفي د (ما يرتكبون) . وفي ط (ما هم يرتكبون) . وكذا في هامش ل .

(١٠) كذا في ف وفي د . ط (أقبح) .

(١١) كذا في كل النسخ ماعدا ط ففيها (يرتكباً) .

معصية ووجد فقيها يقال عنه ^(١) مثلها أن يلتقمه ^(٢) ويعيبه ^(٣) . وما له لا ينظر إلى نفسه مع ما خوله الله تعالى من النعم ! أما علم أن القبيح عند الله تعالى حرام بالنسبة إلى كل أحد ؟ وربما كان عند الفقيه ما يسترقبيحه ^(٤) وليس عند الأمير وراء ذلك القبيح إلا أمثاله من القبائح . فمما ^(٥) يتعين على الأمير إذا أنهى إليه عن أحد من أهل العلم سوء ألا يصدقه ، ويحسن الظن بهذه الطائفة ؛ فإن لحومهم مسمومة . وما رأيت أميراً يغض ^(٦) من جانب الفقهاء إلا وكانت عاقبته عاقبة سوء . فإن تيقن على أحد منهم سوءاً واتضح عنده كالشمس — ولن يصير ذلك إن شاء الله تعالى — فعلى الأمير بعد ذلك أن يتفقد ^(٧) نفسه فإن كان هو أيضاً يفعل ذلك ^(٨) الفعل فليعُد على نفسه باللائمة ويقول : أنا أذنبت ذنبتين : لأني جاهل مرتكب هذا القبيح ، فكيف أؤاخذ هذا الذي لم يذنب إلا ذنباً واحداً وهو ^(٩) هذا القبيح ، فقد شاركني في ارتكاب ^(١٠) الذنب وفارقني في أنه عالم وأنا جاهل ، فأنا أحسن منه ، لأني صاحب ذنبتين ، وهو صاحب ذنب واحد . وبلغنا أن فقيها رُفِعَ إلى بعض الأمراء وهو سكران فأخذ الأمير يحلده ، والأمير ^(١١) أيضاً سكران ، فلما قام الفقيه قال : رب اغفر لي ^(١٢) ، وجاء إلى القاضي وقال : أقم على الحد ، فإن

(١) كذا في النسخ كلها ما عدا ط فنيها (يقال له عنه) .

(٢) كذا في ط ، ز . وفي ف ، د (يلقمه) . وفي ل (يفضه) .

(٣) كذا في كل النسخ ما عدا ف فنيها (يفضه) .

(٤) كذا في النسخ ما عدا د فنيها (قبحه) .

(٥) كذا في كل النسخ ما عدا ف فنيها (فإ) .

(٦) كذا في ف ، ل . وفي د (يضع) وفي ط (يندقس) .

(٧) كذا في د ، ط . وفي ف (يفتقد) .

(٨) كذا في ف ، د ، ل ، ز . وفي ط (يفعل مثل ذلك) .

(٩) كذا في ل ، ز ، د . وفي ف ، ط (وهذا هو القبيح) .

(١٠) كذا في ف ، د . وفي ط (هذا الذنب) .

(١١) كذا في كل النسخ ما عدا ط فنيها (والأمير هذا سكران) .

(١٢) كذا في النسخ ما عدا ف فلم تثبت فيها .

الأمير فاسق لا تصح^(١) إقامته الحد . فأهلك الله ذلك الأمير بعد أيام يسيرة .
ومن قبائحهم استكثارهم الأرزاق — وإن قلت — على العلماء ، واستقلالهم
الأرزاق — وإن كثرت — على أنفسهم . ورأيت كثيرا منهم يعيبون على بعض
الفقهاء ركوب الخيل ، ولبس الثياب الفاخرة . وهذه الطائفة من الأمراء يخشى
عليها^(٢) زوال النعمة عن قريب ؛ فإنها تتبختر في أنعم^(٣) الله مع الجهل والمعصية .
وتنقم على خاصة خلّقه يسيرا مما هم فيه . أفأ^(٤) يخشون ربهم من فوقهم !
ولو اعتبر واحد منهم رزق أكبر فقيه لو جده دون رزق أقلّ مملوك عنده . أفأ
يستحي هذا الأمير المسكين^(٥) من الله تعالى ! وإذا سلبه الله تعالى نعمته فلم
يتعجب ويبكي ؟ أو ما يدرى أن واحدة من هذه المصائب تهلكه وتدمره ؟
وما أحسن ما رأيته منقوشا على دواة بعض الأمراء ، وهو من نظمي ، وأنا
أمرت بأن^(٦) يكتب :

حلّفت من يكتب بي بالله رب العالم
ألا يمد ممدّة — تؤلم قلب عالم

ومن قبائحهم ما يذهبونه من الذهب في الأطرزة^(٧) العريضة والمناطق
وغيرها من أنواع الزراكش^(٨) التي حرّمها الله عز^(٩) وجل وزخرفة البيوت
سقفوها وحيطانها بالذهب ، وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من

(١) كذا في النسخ ما عدا ف فففيها (لم تصح) .

(٢) كذا في ف ، د ، ط . وفي ل ، ز (عليهم) .

(٣) كذا في النسخ ما عدا د فففيها (نعم) .

(٤) كذا في كل النسخ ما عدا ف ، فففيها (أما) .

(٥) كذا في كل النسخ ما عدا ف فففيها (للمستكثر) .

(٦) كذا في النسخ ما عدا ف فففيها (أن) .

(٧) جمع الطراز ، وهو علم يوضع على الثوب ، يحتوي شعار السلطان أو الأمير . وقد كان

لكتابة الطراز في اليهود السابقة دار خاصة تسمى دار الطراز .

(٨) كذا في ف ، ط . وفي ل (الزركش) . وفي ز (الزكاش) . وفي د (الزاوكش) .

(٩) كذا في ف . وفي ل (تعالى وعز وجل) . وفي ط (تعالى عز وجل) . وفي د ، ز

(حرم الله وزخرفة) .

ضيّق سكة^(١) المسلمين . وأنت إذا اعتبرت ما يذهب من الذهب^(٢) في هذه الأغراض الفاسدة تجده قناطر مقنطرة لا يحصيها إلا الله تعالى ؛ فإنه لا بدّ في كل^(٣) منطقة أو طراز ونحوه من ذهاب شيء — وإن قلّ جداً — تأكله النار ، وهو في الأبدية أكثر . فإذا ضمنت ذلك القليل إلى قليل آخر على اختلاف^(٤) في البقاع والأزمان لم يحص ما ضاع من القناطر المقنطرة من الذهب إلا الله تعالى . ثم القدر الذي يسلم ولا يضيع يصير محبوساً عندهم أطرزة ومناطق وسلاسل وكنائش^(٥) وسروجا وغير ذلك من المحرمات المختلفة الأنواع . ولو كان مضروباً سكة يتداوله المسلمون لانتفعوا به ، ورخصت البضائع ، وكثرت الأموال . ولكنهم احتجروا^(٦) وفعلوا هذه القبائح وطلبوا من الله تعالى أن ينصرهم ، ومّا أن ندعوطهم . ولو أنهم اتقوا الله حق تقاته لما افتقروا إلى دعائنا . وهذا نائب^(٧) السلطنة في الشام الذي هو عندنا اليوم لا يلبس طرازاً من ذهب ، ولا يفعل شيئاً من هذه المحرمات ، والله تعالى ينصره ويؤيده . وقد ناب في دمشق ثلاث مرات ولم يخرج منها قط^(٨) إلا معززاً

(١) السكة في الأصل الطابع الذي يطبع به النقد من دراهم ودينار ، وهو يكون من حديد . والمراد بسكة المسلمين هنا النقد نفسه .

(٢) كذا في ف ، د ، ل ، ز . وفي ط (ما يذهب بالذهب) .

(٣) كذا في ف ، ل ، ز ، د . وفي ط (فإنه لا بدّ في تحلية منطقة) .

(٤) كذا في د ، ل . وفي ف (على اختلاف البقاع) وفي ط (على الاختلاف في البقاع)

(٥) كذا في النسخ كلها ما عدا ط ففيها (كنائش) والكنائش واحدها كنوش —

يفتح الكاف — وهو البرذعة تكون تحت السرج ، وكان يكتب عليها ألقاب السلطان أو الأمير بالزركش والحريز في عهد المماليك . انظر محيط المحيط ، وهامش السلوك ص ٥٢ ج ١ ق ٢ .

(٦) كذا في النسخ ما عدا ل ففيها (احتجروا) وفي هامشها (احتجروه) ، وقوله : احتجروا أي استأثروا بالمال يقال : احتجّر الأرض أي ضرب عليها مناراً واختص بها .

(٧) يرى ناشر النسخة الأوروبية أن هذا النائب هو علي المارديني . وهذا ناب حقيقة في دمشق ثلاث مرات ، وقد ناب في المرة الثالثة سنة ٦٢٠ ويقول ابن حجر في الدرر إنه مكث هذه المرة دون السنة ، ووصفه بأنه كان منقاداً للشرع ، وكان يحب العلماء ويقرّبهم ، ولسكنه يذكر أنه كان منحرفاً عن المؤلف ، وترى ثناء المؤلف عليه ، على أن هذا لا غرابة فيه ، وهو مما يدل على إنصاف المؤلف وتحمّيه الحق . وانظر ترجمة هذا النائب في الدرر الكامنة .

(٨) كذا في ل ، د ، د . وفي ف لم تذكر لفظة (قط) .

مكرما . أقرى ذلك سدى ١ والله ^(١) لولا تقواه ^(٢) لما كان ذلك أبداً . وقد طلب الملك المظفر سيف الدين قطز ^(٣) شيخ الإسلام وسلطان العلماء عز الدين ابن عبد السلام بحضرة الملك الظاهر بيبرس والملك المنصور قلاوون وغيرهما من الأمراء ، وحادثه في الخروج إلى لقاء العدو من التتار ، لما دهموا البلاد ووصلوا إلى عين ^(٤) جالوت فقال له : اخرج وأنا أضمن لك على الله النصر . فقال [الملك ^(٥)] : إن المال في خزائني قليل ، وأريد الاقتراض من التجار . فقال : إذا أحضرت أنت وجميع العسكر كل ما في بيوتكم وعلى نسائكم من الحلى الحرام ، وضربته على السكة ، وأنفقته ^(٦) في الجيش ، وقصر عن القيام بكلفتهم ^(٧) أنا ^(٨) أسأل الله تعالى لكم في إظهار كنز من كنوز الأرض يكفيكم ويفضل عنكم . وأما أنكم تأخذون أموال المسلمين وتخرجون إلى لقاء العدو عليكم الحرمات من الأطرزة المزركشة ، والمناطق المحرمة ، وتطلبون من الله النصر ^(٩) فهذا لا سبيل إليه . فوافقوه وأخرجوا ما عندهم . ففرقه ، وكفى ، وخرجوا وانتصروا . وأنت ففكر واحسب تقديرا : كم على وجه الأرض من طراز ومنطقة وحل حرام ؟ كم يكون مبلغه إذا اجتمع وضرب نقدا

(١) كذا في ل ، د . وقد سقط القسم من ف .

(٢) في ل : (تقواه لله) .

(٣) في النجوم الزاهرة ج ٧/٧٢ أن حادثة العزيز بن عبد السلام كانت بحضرة الملك المنصور على الذي خلقه قطز وتولى مكانه . وقد تولى الملك قطز الملك في مصر في دولة مماليك الترك سنة ٦٥٧ و قتل سنة ٦٥٨ وقد كان له شرف النصر وإلحاق الهزيمة بالتتار . وكانت وفاة العزيز بن عبد السلام سنة ٦٦٠ هـ .

(٤) بليدة لطيفة من أعمال فلسطين ، كما في معجم البلدان .

(٥) كذا في ل . ولم يذكر هذا اللفظ في باقي النسخ .

(٦) كذا في ف . وفي كل الأصول (نفقة) .

(٧) كذا في ف ، ل ، د . وفي ز (بكلفتهم) . وفي ط (بكلفتكم) .

(٨) كذا ، والمرية تقضى أن يقال : فأنا أسأل .

(٩) كذا في ف ، د . وفي ط (النصر) .

يتعامل به المسلمون ؟ قال لي ^(١) مرة بعض الأمراء وقد حكيت له ^(٢) كثره ما كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقطعه للأجناد ^(٣) وكذلك من بعده من خلفاء الصحابة رضى الله عنهم ، وخلفاء بنى أمية ، وما كان عدد عساكرهم التى تضيق الأرض دونها . فقال : إذا كان عسكرهم هذا القدر العظيم ، وإقطاعاتهم هذه الإقطاعات ، فمن أين كانوا يجدون المال الذى يكفيهم ؟ والبلاد البلاد ما تغيرت . فقلت : من هذه الأطرزة والحلى المحرم والخيول المسومة . قال : كيف ؟ ^(٤) قلت : ما كانوا يعملون هذا الحلى ولا يشترون الفرس بمائة ألف درهم ^(٥) [والمملوك بخمسين ألفاً ، ولا ينتهون فى الخيل إلى معشار ما انتهيت إليه . فقال : صدقت . ولقد سمعت أن واحداً منهم خرج مرة إلى الصيد فافتض هو وبماليكه من بنات البر ما يزيد على سبعين بنتاً حراماً . فإذا فعل واحد منهم هذا الفعل ، وتنوع فى الفسق بالغلبان والخمر والبرطيل ونحو ذلك ، ثم سلبه الله النعمة ، وسلط عليه أقلّ الأعداء فى أيسر وقت لا يتعجب ؛ بل يذوق بأس الله إذا نزل بساحته . ومن منكراتهم ركوبهم والجنائب ^(٦) تقاد بين أيديهم مُسَرَّجة غير مركوبة ^(٧) ، وهم مع ذلك يجدون المحتاج ماشياً ولا يُركبونه ، وإنما يمشون بالجنائب للترئُّ لا الحاجة . روى أبو داود ^(٨) من حديث سعيد ^(٩) ابن أبي هند عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تكون إبل للشياطين ، وبيوت للشياطين ، . فأما إبل الشياطين

(١) كذا فى ف ، د ، ل . وفى ز ، ط سقطت هذه اللفظة .

(٢) كذا فى ف ، د ، ط . وفى ز (كثيراً مما كان) .

(٣) كذا فى ف ، د ، ط . وفى ز ، ل (يقطعه الأجناد) .

(٤) كذا فى كل النسخ ما عدا ط ففيها (وكيف) .

(٥) كذا فى ط . وفى باقى النسخ لم تثبت كلمة (درهم) .

(٦) جمع جنيبة ، وهى الدابة تقاد إلى جنب الراكب .

(٧) كذا فى كل النسخ ما عدا ل ففيها (غير مركوبهم) .

(٨) ورد هذا فى سنن أبي داود فى أبواب الجهاد .

(٩) كذا فى كل النسخ ما عدا ف فقد سقط منها لفظ (سعيد) .

فقد^(١) رأيها : يخرج أحدكم بنجيات^(٢) معه قد أسمنها ، فلا^(٣) يعلو بعيراً منها ، ويعر بأخيه قد^(٤) انقطع فلا يحمله . وأما بيوت الشياطين فلم أرها . قال سعيد : لا أراها إلا هذه الأقفاص التي تُستر بالديباج . قلت : الأقفاص المستورة بالديباج كالحقّة والمخائر^(٥) وغيرها مما يتعاناها أهل الثروة . وهذا فيمن قاد الجنائب بالحسيلاء . أما من يقودها ليحمل ضعيفاً يراه^(٦) في الطريق فهو حسن . وكذلك إذا قادها في الجهاد خشية أن فرسه تعجز . ومنها أن الجندى يقاتل ويخاطر بنفسه فيقتل في الحرب كافراً ، فلا يُعطونه سلبه ؛ والنبي صلى الله عليه وسلم قد أعطاه إياه حيث قال : « من قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ سَلْبُهُ » . فيمنعونه ما أعطاه سيد الأولين والآخرين صلى الله تعالى عليه وسلم ويفترون^(٧) بذلك عزائم الجند ؛ فإن الجندى إذا عرف أنه يخاطر بنفسه فلا ينصف^(٨) قُتِرَ عزيمته . وحقّ عليهم أن يعطوه سلب المقتول . وهو ثياب القتيل ودرعه وسلاحه ومركوبه وسرجه ولجامه . وكذا سواره ومنطقته وخاتمه وما معه من النفقة ، ومن جنيب يقاد معه على الصحيح . وإنما يَسْتَحِقُّ السلب مَنْ ركب الخطر لكفاية شر كافر في حال الحرب . فلو رَمَى من حصن ، أو من الصف ، أو قتل نائماً ، أو أسيراً ، أو قتله بعد انهزام الكفار ، فلا سلب له . ولو لم يقتله ولكن أسره أو قطع يديه أو رجله استحق سلبه على الجديد ؛ وخالف فيه الشيخ الإمام .

-
- (١) كذا في ط . وفي ف (رأيها) وفي د (قد رأيها) .
 (٢) كذا في النسخ ما عدا ط ففيها (ينجيات) وهي جمع نجية ، وهي ضرب من الإبل .
 (٣) كذا في النسخ ما عدا ف ففيها (ولا يعلو) .
 (٤) في السنن : انقطع به .
 (٥) واحداً محارة ، وقد استعملها المولدون في هودج صغير . وهي في الأصل ضرب من الصدف . وانظر شفاء الغليل .
 (٦) كذا في د ، ط . وفي ف (رآه) .
 (٧) كذا في ف ، د ، ط . وفي ل ، ز (يفترون) .
 (٨) كذا في ف ، د ، ط . وفي ل (ينصف) .

المشال الرابع والثلاثون

الأجناد

فمن ^(١) حق الله سبحانه وتعالى عليهم وشكر نعمته اللطيف بالفلاحين .
فلو شاء الله تعالى لقلب الفلاح جندياً والجندى فلاّحاً . فإذا كان لا يشكر
نعمة الله تعالى على ^(٢) أن رفعه على درجة الفلاح فلا أقلّ من أن يكفى الفلاح
شره وظلمه . وعليهم ^(٣) مصابرة العدو إذا التقى الجمعان . ولا ينهزم ^(٤) الجمع
إلا عن أكثر من مثليه بماله وقّع ؛ كأنهزام مائة عن مائتين وخمسين .
وأما انهزامه عن مثليه كعشرة عن عشرين فلا يجوز ، إلا أن ينصرف
متحرّفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة يستنجد بها . وإذا طلب الكافر المبارزة
استحب لمن جرب نفسه الخروج إليه بإذن أمير الجيش . وعليهم تأدية الأمانة
فيما حازوه من الغنائم ، وامتنال أمر الأمير فيما لم ^(٥) يخالف الشرع ، والتعاون
والتناصر واجتماع الكلمة .

المشال الخامس والثلاثون

أمراء العرب في هذا الزمان

وهم ^(٦) الذين يظعنون ويزلون . وقد أنعم الله تعالى عليهم بالأرزاق
الوافرة ، والإقطاعات الهائلة ، ليرفعوا أذاهم عن المسلمين . ومن قبائحهم أنه
إذا قطع السلطان إقطاع واحد منهم تسلط ^(٧) على قطع الطرقات وأذية من لم

(١) كذا في النسخ ما عدا ف فيها (ومن) حق الله .

(٢) كذا في النسخ ما عدا ف فقد سقطت منها لفظة (على) .

(٣) كذا في النسخ ما عدا ف فيها (وعليه) .

(٤) كذا في ف ، د . وفي ز وهامش ل (ولا يهزم) وفي ل (فلا ينهزم) .

(٥) كذا في ف ، د ، ط . وفي ل (فيما لا يخالف) .

(٦) هذا تفسير لعرب لا للأمراء كما لا يخفى .

(٧) كذا في النسخ ما عدا ف فيها (تسلطوا) .

يؤذه ، وأخذ مال من لم يظلمه ، ولا يتوقفون في سفك الدماء لأجل هذا الغرض . وبذلك يقابلهم الله عز وجل . فلو أنهم صبروا واتقوا الله لكان خيراً لهم . ومن أعظمهم جرماً عرب الحجاز وعبيد عربها ، ربما^(١) اعتقد بعضهم حِلَّ أموال الحجاج ، وسفك دم امرئ مسلم حاج على درهم . ولا يخفى ما في ذلك من الجرأة على الله تعالى . وكثير من العرب لا يتزوجون المرأة بعقد شرعى ؛ وإنما يأخذونها باليد ، وربما كانت في عصمة واحد فنزل^(٢) عليها أمير غيره ، واستأذن أباه وأخذها من زوجها . فهات قل لى : أى ولد حلال يلتج من هذه ؟ لا جرم أنهم لا يلدون إلا فاجراً . ومن قبائحهم أنهم لا يورثون البنات ، ولا يمنعون الزنى فى الجوارى ، بل جوارهم يتظاهرون بالزنى مع عبيدهم . وكل ذلك من الموبقات العظام .

المشال السادس والثلاثون

القاضى

وقد استوعبت كتب الفقه ما يتعين له وعليه . وخص جماعة من الأئمة كتاب القضاء بالتصنيف . ونرى أن نخص هذا المكان بالتنبيه على الهدية فنقول : قبول الهدايا من أقبح ما يرتكبه القضاة ، فليسند^(٣) بابها بالكلية . وقد علم أن مذهب الشافعى رضى الله تعالى عنه أنه لا يجوز له أن يقبل الهدية ممن لم تكن له عادة أن يهاديه قبل ولايته القضاء ، ولا ممن كانت له عادة مادامت له حكومة . والمذاهب فى المسألة معروفة . وأنا أعتقد أنه يحرم على القاضى قبول هدية من يهدى للقاضى فى العرف ليستميل خاطره لقضاء أربه . وذلك

(١) كذا فى د ، ط ، ز . وفى ل (وربما) . وقد سقطت هذه اللفظة من ف .

(٢) كذا فى ز وهامش ل . وفى باقى النسخ (فيزل) .

(٣) كذا فى ف ، ط ، ل . وفى ز ، د وهامش ل (فليسند) .

يشمل كل من هو دون القاضى . ومن هو مثله من قد^(١) يحتاج إلى القاضى ، وكثيراً من هو فوقه . ويخرج بعض من هو فوق القاضى ، كالمالوك الذين يصل إلى القاضى إنعامهم ، ولا يقصدون بذلك استمالة خاطره لقضاء حوائجهم عنده . فإن حوائجهم عنده إن كان من يراعيهم لا تحتاج إلى الهدايا^(٢) ؛ لما لهم من الجاه . وإلا فلا تفيد الهدية ؛ فأقول : يحرم قبول هدية القسم الأول : كانت له عادة قبل القضاء أم لم تكن ، كانت له حكومة أم لم تكن . ويجوز قبول هدية القسم الثانى بشرطين : أحدهما أن يجد القاضى من نفسه أن حاله لم يتغير فى التصميم على الحق ، وأنه قبل الهدية كهو بعدها . وهذا يتأتى فى هدايا المالوك ، ولا يتأتى فى غيرهم . والثانى أن تجرى عادة ذلك الملك بفعل هذا مع من هو فى منصب هذا القاضى ، وإنما خصصت فصل الهدية بباب القضاء ، وإن كانت تشمل كل ولى أمر ؛ لأنها من القاضى أقبح .

ومن محاسن الشيخ الإمام رحمه الله تعالى كتاب « فصل المقال ، فى هدايا العمال » اشتمل على فوائد نفيسة ؛ فلينظره من شاء . ومما يتعين على القاضى تفهيم الملك الحكم الشرعى فيما يُبنى إليه من الوقائع ، ومناضلته عنده عنها ، وإفهامه أن ذلك هو الدين الذى إن حاد عنه هلك ، وإن اعتمده نجا ، وأن ينظر فى أمر الأوقاف والمستحقين ، من المشتغلين والمحتاجين وغيرهم . وهذا يخص قاضى الشافعية فى بلادنا والبلاد^(٣) الشامية ؛ لأنه^(٤) كبير القضاة ، وله النظر العام فى الأوقاف وغيرها ؛ فهو بذلك أَمَس . وما هونت بعض القضاة فيه الأمر الحكم بالصحة ؛ فتراهم يقدمون عليه بمجرد ثبوت العقد والملك والحيازة . وكان الشيخ الإمام رحمه الله يشدد التنكير فى ذلك ، ويذكر للصحة

(١) كذا فى النسخ ما عدا ف فقد سقطت هذه اللفظة .

(٢) كذا فى النسخ ما عدا ف ففيها (الهدية) .

(٣) كذا فى ز وهاء ش ل . وفى باقى النسخ (فى بلادنا البلاد الإسلامية) .

(٤) كذا فى النسخ ما عدا ف ففيها (فإنه) .

المطلقة عنده اثنتين وعشرين شرطاً : كون المبيع — مثلاً — طاهراً ، منتفعاً به ، مقدوراً على تسليمه ، مملوكاً للعاقد أو لمن يقع العقد له ، مرئياً رؤية لا تتقدم على العقد بزمان يمكن التغير فيه ، معلوماً . وكل واحد من البائع والمشتري كونه ^(١) بالغاً ، عاقلاً ، رشيداً ، مختاراً ، غير محجور عليه في تلك السلعة المبيعة ، وكون الثمن المعين مستجمعا شروط ^(٢) المبيع . وأما الذي في الذمة فالعلم بقدره ، ووصفه ، وكون العقد بإيجاب وقبول لا يطول الفصل بينهما ، ولا يقترب به شرط مفسد ، وأن ينتقضى الخيار والحال على ذلك . والدعوى ، والإنكار ، وقيام البينة بما ليس بظاهر وجوده من هذه الأشياء ، وسؤال الحكم ^(٣) وحضور المحكوم عليه أو وكيله أو المنصوب عنه . قال فهذه عشرون شرطاً . قال : والإعذار ^(٤) يختلف فيه . ووصيتي لكل قاض ألا يحكم إلا به ، ولا يحكم بعلمه ، بل بالبينة . وفي اشتراط العلم ^(٥) بالملك الخلاف المعروف فيما لو باع مال ^(٦) أبيه عن ظن حياته فبان ميتاً ؛ فإن شرطناه فهى اثنان وعشرون شرطاً للصحة المطلقة . قال : وأما الصحة بالنسبة إلى المتداعيين في شيء يتداعيانه ؛ كما إذا ادعى أحدهما أنه غير مرئى ، وكان الحاكم لا يرى اشتراط الرؤية ، فيحكم عليه بالصحة مع عدم الرؤية ؛ لأنه مذهبه ولم يحصل النزاع إلا فيه فهذا حكم بصحة مقيدة لا بصحة مطلقة . فلا يمنع حاكماً آخر من الحكم بفساده من جهة أخرى . وأطال الشيخ الإمام الكلام في الصحة

(١) بدل من (كل واحد من البائع والمشتري) .

(٢) كذا في ف ، د ، وفي ط (لصروط) .

(٣) كذا في ف ، د ، ل . وفي ز (وسؤال الحاكم) وكذا في هامش ل ، ط .

(٤) الإصدار أن يعث القاضي إلى المدعى عليه الذي لم يحضر مجلس القاضي رسولاً ينادى على بابه ثلاث مرات في اليوم : يا فلان ، احضر مجلس الحكم وإلا نصب عنك وكيلاً وقبلت البينة عليك . ويكرر هذا ثلاثة أيام . وقد استغنى عن الإعذار في هذه الأيام بإعلان المدعى عليه بالحضور ثلاث مرات في ثلاثة أيام بالطريقة العادية على يد أحد المحضرين .

(٥) كذا في النسخ ماعدا ط ففيها . (وفي اشتراط الحكم بالعلم) .

(٦) كذا في النسخ ماعدا ط ففيها (ملك أبيه) .

المطلقة فيما عدده من الشروط في كتابه المسمى « وقت الصبحة »^(١) في الحكم بالصحة، وهو كتاب لم يتممه. ومن كلام الشيخ الإمام رحمه الله في وصية أخرى للقضاة قال فيها بعد أن ساق حديث: (القضاة ثلاثة: واحد في الجنة؛ واثان في النار؛ قاض قضى بالحق وهو يعلم فهو في الجنة، وقاض قضى بالحق وهو لا يعلم فهو في النار، وقاض قضى بغير الحق فهو في النار.) مانصه — ونقلته من خطه —: تنبه أيها القاضي لما أنت فيه من الأخطار، وطب نفسك إذا حكمت بحق تعلم الله تعالى، وإلا فلا، واعلم أن الحلال بين، وهو الذي تجده منصوصاً عليه في كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، أو مجمعا عليه، أو عليه دليل جيد غير ذلك من سائر الأدلة الراجعة إلى الكتاب والسنة، بحيث يشرح صدرك لأنه حكم الله تعالى. فهذا حكمك به عبادة تثاب عليه؛ ويلبغى لك أن تقصده به وجه الله تعالى، فلا يكون حكمك به لمخلوق، ولا لغرض من أغراض الدنيا. فبذلك تكمل العبادة فيه، وتنال الأجر من خالقك. وإن حكمت به لغرض من أغراض الدنيا صح الحكم، ولكن لا يكون لك فيه أجر. وما سوى هذا فهو على درجات: إحداها أن تحكم بذلك من غير قصد القربة، ولا غرض من الأغراض الدنيوية، فهذا خير من القسم [الثاني]^(٢) الذي قبله، الذي قصد به غرض دنيوي، ولكنه يظهر أيضا أنه لا أجر فيه؛ لعدم قصد القربة. واعلم أننا لا فشرط وجود قصد القربة عند الحكم؛ بل نكتفي^(٣) به في أصل ولاية القضاء، لأنه قد يشق استحضاره في كل حكم، فنيكتفي^(٤) به عند الدخول في أوله، كما اكتفي بنية المجاهد في أول خروجه. الرتبة^(٥) الثالثة أن يكون الحكم مختلفا فيه، وحصل ما يجوز

(١) كذا في ف، وفي ل، ز (وقت المسحاة) وفي د (وقت الصبحة) وفي ط (بوقت المسحاة)

(٢) هذا اللفظ في ل، وسقط في بقية الأصول.

(٣) كذا في د، ل، وفي ط، ز (يكتفي) وفي ف من غير نقط.

(٤) كذا في كل النسخ ما عدل ففيها (فيكتفي).

(٥) كذا في ف، د، ط، ل، وفي ز وهما شل (الرتبة).

الإقدام على الحكم به من الأدلة الشرعية مع احتمال يمنع من انشراح الصدر له الانشراح الكلى ، فهذا جائز ، والأجر فيه دون القسم المجمع عليه ؛ لأن المصلحة في المجمع عليه أتم ، فالعبادة فيه أكمل ، وإن كان لا تقصير في هذا .

الرتبة الرابعة : أن تحصل شبهة تمنع من غلبة الظن بأن ذلك حكم الله تعالى ، فلا يحل الحكم . الرتبة الخامسة : أن يعتقد أنه خلاف حكم الله تعالى ، فلا يحل له الحكم ، وإن كان بعض العلماء قال به . الرتبة السادسة : أن يكون مجتمعا على أنه ليس بحكم لله تعالى ، فلا يحل الحكم . وهذه المراتب الثلاث عدم الحل فيها مرتب ترتيبا لا يخفى . واعلم أن المرتبة الخامسة والسادسة ما أظن أحدا يقدم عليهما إن شاء الله تعالى ، والمرتبة الرابعة قد تكون عند قيام الشك ومخالفة^(١) الاحتمال . قد^(٢) تسول لك نفسك أو الشيطان أو أحد من الناس الإقدام على الحكم لغرض من الأغراض ، ويسهل عليك لأنك لم تجزم بالتحريم ، فإياك أن تقدم على الحكم ، فتدخل في قوله : وقاض^(٣) قضى بالحق وهو لا يعلم ، فإذا كان الذى قضى بالحق وهو لا يعلم فى النار فالذى قضى وهو لا يعلم والمقضى به متردد بين الحق والباطل كيف يكون حاله ؟ وفى هذه المرتبة تجد كثيرا من إخوان السوء يسوّلون لك الحكم ، فإياك ثم إياك ، واستحضر بقلبك غدا يوم القيامة إذا انتصب الجبار لفصل القضاء ، وجىء بالثنيين والشهداء ، وجىء بك يامسكين ، وأنت كالتقمحة ، بل كالذرة بين أرجل الناس بل أقل من ذلك ، وفى ذلك الموقف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذى أنت نائبه ، وقد بلغك شريعته ، وجبريل الذى نزل بها عليه ، ورسول الله تعالى وأنبيأوه وملأئكته والصدّيقون والشهداء كالسرج المضيئة فى ذلك المشهد بين يدى الله تعالى ، وسألك الله تعالى بغير واسطة بينك وبينه :

(١) كذا فى كل النسخ ما عدا د ، ل ففيهما (مخالفة) .

(٢) كذا فى كل النسخ ما عدا د ففيهما (وقد) .

(٣) كذا فى ل ، ز . وفى باقى النسخ (قاض قضى) .

لم حكمت في هذا الأمر ؟ ومن بلغك عنى هذا ؟ ونظرت يمينا وشمالا فلم تجد هنالك سلطانا ولا أميراً ولا كبيراً تمن سؤل لك ذلك الحكم ، ورأيت نفسك غريباً حقيراً وحيداً ، ونظرت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو المقدم في ذلك المشهد العظيم الذى ترجو شفاعته ، وقد حكمت بغير شريعته ، كيف يبقى وجهك معه ١٩ أو كيف يبقى حالك عنده ١٩ وسائر الأنبياء والرسل والملائكة وأهل ذلك الموقف من الصالحين ينظرون إليك والله تعالى ينظرك هل ينفعك ذلك الوقت أحد من أهل الدنيا أو مال أو جاه أو غير ذلك ؟ كلا والله لا ينفع^(١) فانظريا مسكين هذا الموقف ، فما علمت أنه ينجيك لا تستحي بسببه فيه ، فافعله ؛ وما سوى ذلك كن منه على حذره ، ولو طلبه منك أكبر ملوك الأرض بمائها ذهباً . وإن قيل لك : قد يكون توقفك تركا للحكم الواجب ، فقل : إنما يكون واجباً إذا ظهر ، وعند الشك لا ، وإذا دار الأمر بين الترك مع الشك والإقدام مع الشك ، كان الترك أسهل ، لأنه أخف وأقل جرأة^(٢) فهذا الذى تيسر ذكره بما أوصيتك^(٣) به أيها القاضى .

المشال السابع والثلاثون

كاتب القاضى

ومن حقه أن يعرف مدلولات الألفاظ العرفية واللغوية . وأن يكون حسن الفهم عن اللفظين من عوام الواقفين والمقرئين وغيرهم ، وأن يلبه كل لافظ على ما لعله يشك في إرادته له . ولقد ضاع كثير من أوقاتنا^(٤) في مدلولات ألفاظ الواقفين ضياعاً مدهشاً الشرطيون . وقد كثر من الشرطيين

(١) هكذا في ف ، د ، د وهامش ل ، ز . وفى ل (لا يفعله) .

(٢) كذا في ف ، د ، د وهامش ل . وفى ل (جزاء) .

(٣) كذا في ف ، د ، د ، ر . وفى ط (أوصيك) .

(٤) فى ل : أوقاتنا .

أن يكتبوا في بيع القرية مثلاً : خلا ما فيها من مسجد لله تعالى ومقبرة وملك لأربابه ، ووقف ؛ يذكرون ذلك بعد تحديد القرية ، ولا يحددون هذا المستثنى ، فيورث ذلك الجهل بالمبيع . قال الشيخ الإمام : إن كانت تلك المواضع معروفة للمتعاقدين صح البيع ؛ وإلا فيحتمل أن يفسد ؛ لأن جهالتها تقتضى جهالة الباقي المعقود عليه . ويحتمل أن يقال : الجملة معلومة ولا^(١) يضر جهالة القدر المستثنى : قال : ولم أر فيه نقلاً . وأما كتابة الشرطين الصداق في الحرير فمختلف في جوازه . وأفتى النووى رحمه الله تعالى بتحريمه وعزاه إلى جماعات من أصحابنا ؛ ولكن الأظهر حله ؛ لأنه لمصلحة النساء . وقد كان الشيخ الإمام أولاً امتنع من كتابة الصداق^(٢) على الحرير ، ثم رأيت يكتب عليه . وهذا آخر الأمرين منه . والتردد في المسألة شديده باختلاف الأصحاب^(٣) في ألواح الصبيان .

المشال الثامن والثلاثون

حاجب القاضى

ومن حقه الاستئذان على ذوى الحاجات^(١) ، ورفع الأمور إلى القاضى حسبما ذكره الفقهاء .

(١) كذا في ف . وفي د ، ط (فلا تضر) وفي ل (ولا تضر) وفي ز (فلا يضر) .

(٢) كذا في ط . وفي ف ، د ، ل (امتنع من الكتابة على صداق الحرير) .

(٣) للشافعية في مس ألواح الصبيان التي كتب فيها قرآن قولان : قول بالجواز ، وقول بالحرمة حملا على المصنف . وهذا الخلاف هو الذى يعنيه المؤلف .

ووجه الشبه بين المواطنين أن وثيقة الصداق لمصلحة النساء ، ويتولى كتابتها الرجال ، فمن الفقهاء من نظر إلى شأن النساء فيها فجوز أن تكتب على الحرير ، ومنهم من نظر إلى المباهلة فحرم ذلك . وكذلك ألواح الصبيان هي معدة للصبيان الذين يحمل لهم المس دون طهارة ، فجوز بعضهم نظرا لذلك مس الرجال لها مع الحدث ، ومنع بعضهم ذلك .

(٤) كذا في د ، ف ، ط . وفي ل ، ز (الخواص) .

المثال التاسع والثلاثون

نقيب القاضى

ومن حقّه تنبيه القاضى على الشهود ، وتنبيه الشهود على القاضى .

المثال الأربعون

أمناء القاضى

وعليهم التحفظ فى أموال الأيتام والغائبين . والصحيح عندنا تبعاً للشيخ الإمام أنّه لا يجوز للقاضى إقراض مال اليتيم . وعلى الأمناء إذا أمر القاضى بصرف زكاة اليتيم تأديتها لمن يعينها له مهنة ميسرة ، ولا يجوز إخراجها قبل الحول . ومن أحوج أم اليتيم أن تتردد إلى بابه ^(١) لأخذ نفقة اليتيم [من ماله ^(٢)] فقد ظلم ظلماً عظيماً .

المثال الحادى والأربعون

وكلاء ^(٣) دار القاضى

وقد مدحهم قوم فقالوا : هم أناس نصبوا أنفسهم لخلاص حقوق الخلق ، وذلّمهم آخرون فقالوا : هم أناس فضل عليهم الفضول فباعوه لغيرهم . والحقّ عندنا أن من أراد منهم وجه الله تعالى محمود ، وإن تناول أجرته ؛ ومن أراد الخصام وإبطال الحقوق مذموم . ومن حقهم التفهّم عن الموكل ، ومعرفة

(١) كذا فى النسخ ما عدا ما فيها (إلى إتيانه) .

(٢) كذا فى النسخ . . عندنا فى فقد سقطت منها هذه العبارة وهى (من ماله) .

(٣) هم المعروفون فى هذا العصر بالهامين ، وقد عظم شأنهم ، وعلت مكائهم فى أيامنا .

الواقعة ، والحق في أى الطرفين ، فلا يتوكل على الحق^(١) معتذراً بأنه وكيل ، ولا يبدى من الحجة إلا ما يعرفه حقاً ، أو يقوله له الموكل وهو يحهل الحال فيعتمد عليه ، فإن علمه باطلا وأدلى به فهو في جهنم .

المثال الثاني والأربعون

الشهود^(٢)

وهم^(٣) قوام غالب المعاش والمبادلات . وقد ذكر الفقهاء ما لهم ، وما عليهم ، فاستوعبوا ، وذمهم قوم وقالوا : إن سفيان الثوري قال : الناس عدول إلا العدول^(٤) ؛ وإن عبد الله بن المبارك قال : هم السفلة ؛ وأنشدوا :
قوم إذا غضبوا كانت رماحهم بثَّ الشهادة بين الناس بالزور
هم السلاطين إلا أن حكمهم على السجلات والأملأك والدور
وقال آخر :

إياك أحقاد الشهود فإنما أحكامهم تجري على الحكماء
قوم إذا خافوا عداوة قادر سفكوا الدماء بأسنة الأقلام

وقال آخر :

احذر حوائيت الشهود د الأخسرين الأرذالينا
قوم لئام يسرقون ويخلفون ويكذبون
وكل هذا عندنا غلو ، وإفراط ، وتجاوز . ومن سلك منهم ما أمر به

(١) كذا في النسخ ما عدل ففيها (على الحق) .

(٢) كان المشهود في العهد الماضي قوماً يتعرفون أحوال الناس ويشهدون في القضايا ، وقد نصبوا أنفسهم لذلك فصار ذلك حرقهم ، وكانت لهم حوائيت كما لطائفة الخاهين في هذه الأيام مكاتب وقد عدلت حرفة الشهادة في هذا العصر .

(٣) في ل : (بهم) .

(٤) هم المشهود لأنه يعذر فيهم العدالة ، واحده عدل .

واجتنب ما نهى عنه محمود مأجور ؛ غير أنه قد غلب على أكثرهم التسرع إلى التحمل ، وذلك مذموم . وأخذ الأجرة على الأداء وهو حرام . وقسمة ما يتحصل لهم في الحانوت ، وذلك منهم شركة أبدان ، وهى غير جائزة فعليهم النظر في ذلك كله ، ومراقبة الحق سبحانه وتعالى . وأما شهود القيمة^(١) فعلى خطر عظيم .

المشال الثالث والأربعون

ناظر الوقف ونحوه من المباشرين

من حقه العماره والتنمية ، وقول الأصحاب : إن ولى اليتيم لا يجب عليه المبالغة فى الاستئمان ، وإنما الواجب أن يستنمى قدر مالا تأكل النفقة والمؤن المال صحيح . ولكن الزيادة من شكر النعمة . وبما تعم به البلوى مدرسة غير محصور عدد فقهاء ، فزّل القاضى أو الناظر فيها أشخاصاً وقرّر لهم من المعلوم ما يستوعب قدر الارتفاع^(٢) ، فهل يجوز تنزيل زائد؟ قال ابن الرفعة : لا يجوز ، قال الشيخ الإمام : وهو الذى استقرّ عليه رأى ، بشرط أن يكون فى مدرسة قرّر للفقيه مثلاً قدر معين . أمّا لو قرّر عشرة فقهاء مثلاً ولم ينصّ فى معالمهم على قدر ولا جزء معين من أصل الوقف — وهو غالب ما يقع فى المدارس التى ليست بمحصورة — فلا يمتنع . ومنه ناظر وقف يؤجر حانوتاً أو نحوه خراباً بشرط أن يعمره المستأجر بماله ، ويكون ما أنفقته محسوباً من أجرته . وهذه الإجارة باطلة ؛ لأنه عند الإجارة غير منتفع به . أمّا إن كان الحانوت منتفعاً به فأجره بأجرة معلومة ، ثم أذن للمستأجر

(١) فى نسخة بهامش ل : اسمة . وشهادة القيمة تكون عند تقويم ما يتنازع فيه الشركاء بوسلا للتقسم ، ويتولى هذا فى اصطلاح العصر الخبراء .

(٢) يريد ريع الوقف وما يتحصل من غلته . ويقال له فى هذه الأيام : الإيراد .

في صرفها إلى العمارة جاز ، صرح به الرافعي في أوائل الإجارة . ولا يجوز إجارة الختم بشرط أن تكون مدة تعطّله بسبب عمارة أو نحوها محسوبة على المستأجر لا على المؤجر .

المثال الرابع والأربعون

وكيل بيت المال

فمن حقه ألا يبيع من أملاك بيت المال ما المصلحة في بقاءه ، ولا يبيع إلا بغبطة ظاهرة ، أو حاجة ؛ كما في البيع على اليتامى . وكثر في زماننا من وكلاء بيت المال من يبيع من الشارع ما يفضل عن حاجة المسلمين ؛ وقد أقر ابن الرفعة والشيخ الإمام الوالد رحمهما الله بأن ذلك حرام . وفقهاء العصر يترددون في انعزال وكيل بيت المال بانعزال الإمام الأعظم أو موته ، وكان الشيخ الإمام يرى أنه لا ينعزل بذلك .

المثال الخامس والأربعون

المحتسب

وعليه النظر في القوت ، وكشف غمة المسلمين فيما تدعو إليه حاجتهم من ذلك ، والاحتراز في المشروب ؛ فطالما^(١) أوهم الخمار أنه فقاع^(٢) أو أقسماوى^(٣) ، والطعام^(٤) ؛ فطالما أوهم الطباخ أن لحم الكلاب لحم ضأن .

(١) كذا في ف ، د ، ط . وفي ل (قربما) .

(٢) الفقاع أو الفقاع : شراب يتخذ من أصناف الخادوات ، يرتفع في رأسه زبد وفاقيع ، فمن هذا اسمه . وهو ما يعرف في هذه الأيام بالعصريات . وانظر مطالع البدور ص ٨٨ ج ٢ .

(٣) أقسماوى ، ويقال : أقسما : تقيع الزبيب . قال في شفاء الغليل : وأظنه معرب أبهما .

(٤) كذا في ف . وفي د ، ط (والأكل) .

(م - ه - معيد النعم)

فليَتَّقِ اللهَ رَبَّهُ : ولا يكن^(١) سبباً في إدخال جوف المسلمين^(٢) ما كرهه الله لهم من الخبائث . ويحرم عليه التسعير في كل وقت على الصحيح ، وقيل : يجوز في زمان الغلاء ، وقيل : يجوز إذا لم يكن مجلوباً ، بل كان مزروعاً^(٣) في البلد ، وكان عند الشتاء^(٤) وإذا سَعَرَ الإمام انقادت^(٥) الرعية لحكمه ، ومن خالفه استحقَّ التعزير . ومن مهمّات المحتسب — لا سيما في بلاد الشام — أمران ارتبطا به : أحدهما النقود من الذهب والفضة المضروبين ، ولا يخفى أن في زعغلها هلاك أموال البشر ؛ فعليه اعتبار العيار بمحك النظر ، والتثبت في سكة المسلمين . وثانيهما المياه . فعليه الاحتراز في سقايتها^(٦) . وقد جرت عادة أناس في الشام أن يشتري بعضهم قدراً معلوماً من ماء نهر تُوْرَى أو باناس^(٧) مثلاً ، ويتجمل لصحته بأن يورد العقد على مقرّه بما له فيه من حقّ الماء ، وهو كذا^(٨) لصبعاً ثم يسوقه ، ويحمله على مياه الناس برضا طائفة يسيرة^(٩) منهم . وكان الشيخ الإمام رحمه الله يشدّد التنكير في هذا . وله فيه تصنيف سماه « الكلام على أنهار دمشق » . والحاصل أن الخلق في أنهار دمشق سواء يقدّم الأعلى منهم فالأعلى . ولا يجوز بيع شيء من الماء ولا مقرّه ، ولا يقيّد رضا قوم ولا كلهم ؛ لأنهم لا يملكون إلا الانتفاع ، بل ولا رضا أهل الشام بجمليتهم^(١٠) لأن رضاهم لا يكون رضا من بعدهم ممّن يحدث من الخلق .

- (١) كذا في ف . وفي د ، ل (ولا يكون) وفي ط ولا يهمل شيئاً يدخل جوف المؤمنين .
- (٢) كذا في ف . وفي د (المؤمنين) .
- (٣) كذا في ف . وفي د ، ط يزرع .
- (٤) كذا في ط ، ف . وسقطت هذه الجملة وكان عند الشتاء في د .
- (٥) كذا في ف . وفي د ، ط انقاد .
- (٦) كذا في ف . وفي ط (سقايتها) وفي نسخة في هامش ل (سقايتها) .
- (٧) توري وباناس من أنهار دمشق .
- (٨) كذا في ف . وفي د (كذا كذا) .
- (٩) في ل (يشتره) .
- (١٠) كذا في د ، ط . ولم يذكر في ف كلمة (بجمليتهم) .

المثال السادس والأربعون

العلماء

وهم فرق كثيرة : منهم المفسر والمحدث والفقيه والأصولي والمتكلم ، والنحوي وغيرهم ، وتنشعب كل فرقة من هؤلاء شعوباً وقبائل . ويجمع الكل أنه حق عليهم إرشاد المتعلمين ، وإفتاء المستفتين ، ونصح الطالبين ، وإظهار العلم للسائلين ؛ فمن كتم علماً ألجته الله بلجام من نار ، وألاً يقصدوا بالعلم الرئاء والمباهاة والسمعة ، ولا جعله سبيلاً إلى الدنيا ؛ فإن الدنيا أقل من ذلك . قال : الفضيل ^(١) رحمه الله : إني لأرحم ثلاثة : عزيز قوم ذل ، وغنيا افتقر ، وعالماً تلعب به الدنيا . وأنشد بعضهم :

عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى ومن يشتري دنياه بالدين أعجب ^(٢)

فأقل درجات العالم أن يدرك حقارة الدنيا وخساستها ، وكدورتها وانصرامها ، وعظم الآخرة وصفاءها ودوامها ، وأن يعلم أنهما متضادتان ، وأنهما ضرَّتان ؛ متى أرضيت واحدة أسخطت الأخرى ، وكفَّتا ميزان ؛ متى رجحت إحداهما خفَّت الأخرى ، وكالمشرق ^(٣) والمغرب ؛ متى قرَّبت من أحدهما بُعدت عن الآخر ، وكمدَّحين أحدهما مملوئ فبقدر ما نصب منه في الآخر تفرغ ^(٤) من هذا فن لا يعلم حقارة الدنيا وكدورتها وامتزاج لذاتها بالهموم فاسد العقل ؛ فإن المشاهدة والتجربة ترشد العقلاء إلى ذلك ، فكيف يكون في العلماء من لا عقل له ! ومن لا يعلم عظم أمر الآخرة ودوامها فهو كافر لا إيمان له ، فكيف يكون من العلماء من لا إيمان له ! ومن لا يعلم أنهما ضرَّتان والجمع بينهما بعيد فهو

(١) هو ابن عياض ، الزاهد المشهور . وكانت وفاته سنة ١٨٧ هـ . وانظر النجوم الزاهرة .

(٢) في ل بعد هذا البيت : وأعجب من هذين من باع دينه بدنيا سواه فهو من ذين أخرب .

(٣) في ل : (والمشرق) .

(٤) كذا في ف . وفي ط (يفرغ من الأول) وفي د (ينزع من هذا) .

جاهل . ومن علم هذا كله ، ثم آثر الحياة الدنيا على الآخرة فهو أسير الشيطان ؛ قد أهلكته شهوته ، وغلبت عليه شقوته ، فكيف يعدُّ من العلماء من هذه درجته . ووَحق^(١) الحقُّ إلى لا عجب من عالم يجعل علمه سبيلا إلى حطام الدنيا ، وهو يرى كثيراً من الجهَّال وصلوا من الدنيا إلى مالا ينتهى هو إليه ؛ فإذا كانت الدنيا تُتَنال مع الجهل فما بالناس تشتريها بأنفس الأشياء وهو العلم ؛ فيلبغى أن يقصد بالعلم وجه الله تعالى ، والترقى إلى جوار الملأ الأعلى . والكلام في العلماء وما يلبغى لهم بطول ولكننا نُنبِّه على مهمَّات ؛ فمن هؤلاء من يطلب العلم في الدنيا والتردُّد إلى أبواب السلاطين والأمراء كما ذكرناه ، وحبُّ المناصب والجاه ، فيؤدى ذلك إلى أن قلبه يُظلم بهذه الأكدار ، ويزول صفاؤه بهذه الأمور التي تُظلم القلوب ، وتُبعد عن علام الغيوب ، وإلى أنه يشتغل بهم وبها^(٢) عن الازدياد في العلم ؛ فكم رأينا فقيها تردَّد إلى أبواب الملوك فذهب فقهه ، ونسى ما كان يعلمه ، وإلى فساد عقيدة الأمراء في العلماء فإنهم يستحقرون المتردد إليهم ، ولا يزالون يعظمون الفقيه حتى يسألهم في حوائجه . ويشول^(٣) ذلك إلى أنهم يظنون في أهل العلم سوء ولا يطيعونهم فيما يفتون به ، وينقصون^(٤) العلم وأهله ؛ وذلك فساد عظيم ، وفيه هلاك العالم . وإذا قال لك فقيه : إن التردُّد إلى أبواب السلاطين لإعزاز الحق ولنصرة الدين ، ولغرض من الأغراض الصحيحة ، فقل له : إن صحَّ ما تقول — وأنت أخبر بنفسك — فأنت على خطر عظيم ؛ لأنَّك قد انغمست في الدنيا ، وأنت تدعى أنك تقصد بها الآخرة . وإن ثبت هذا فما نأمن عليك أن تنجرَّ مع الدنيا . ولذلك كان سفيان الثوري رحمه الله يقول : إن دعوك لتقرأ عليهم

(١) كذا في ف ، ط . وفي د (وحق) .

(٢) في ل (وجهها) .

(٣) كذا في ف ، ط . وفي د سقط لفظ (ويشول ذلك) .

(٤) في نسخة في هامش ل (ينقصون) .

« قل هو الله أحد » فلا تمض ، ولا تقرأها . وبالجملة أنت أخبر بنفسك ، فابحث عنها . أنشدنا الحافظ أبو العباس بن المظفر^(١) الأشعري بقراءتي عليه قال : أنشدنا الحسن^(٢) بن علي بن أبي بكر محمد بن الخلال بقراءتي عليه^(٣) قال : أنشدنا جعفر الهمداني سمعا قال : أنشدنا أبو محمد^(٤) عبد الله بن عبد الرحمن ابن يحيى العثماني الديباجي الإمام قال : كتب إلى العلامة أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري^(٥) من مكة وأجازني ح^(٦) وكتب^(٧) إلى أحمد بن علي الحنبلي وزينب^(٨) بنت الكمال وفاطمة^(٩) بنت أبي عمر عن محمد بن عبد الهادي عن الحافظ أبي طاهر^(١٠) السلفي عن الزمخشري قال : أنشدنا أحمد بن محمد بن إسحاق الخوارزمي قال : أنشدنا أبو سعد المحسن بن محمد الجشمي قال : أنشدنا الحاكم أبو الفضل إسماعيل بن محمد بن الحسن قال : أنشدنا القاضي أبو الحسن علي^(١١) بن عبد العزيز الجرجاني لنفسه :

يقولون لي : فيك انقباض . وإني رأوا رجلا عن موقف الذل أحجما
أرى الناس من دأبهم هان عندهم ومن أكرمه عزة النفس أكرما

- (١) كذا في ف ، ل ، د . وفي ز (أبو العباس المظفر) .
- (٢) في ف (أنشدنا الحسن علي بن أبي بكر محمد بن) وفي ل ، ط (أنشدنا الحسن بن أبي بكر بن محمد بن الخلال) وفي ز (الحسن أبي بكر الخلال) وفي د (أنشدنا الحسن بن علي بن أبي بكر الخلال) وكانت وفاة ابن الخلال سنة ٧٠٢ هـ كما في الشذرات ص ٤ ج ٦ والدرر الكامنة (٣) كذا في ز ، د . وقد سقط لفظ (عليه) من باقي النسخ .
- (٤) كذا في ف ، ز ، ط . وفي ل (أبو محمد بن عبد الله بن عبد الله بن عبد الرحمن) .
- (٥) كانت وفاة الزمخشري سنة ٥٣٨ هـ .
- (٦) كذا في ف ، د ، ز . وفي ل ، ط (وأجازني حينئذ) و (ح) عند المحدثين رمز لتحويل الإسناد . أي إن المؤلف إلى الزمخشري طريقين ساقهما هكذا .
- (٧) كذا في كل النسخ ما عدا ز ففيها (كتب) .
- (٨) هي المرأة الصالحة المقدسية ، توفيت سنة ٧٤٠ هـ من الشذرات ص ١٢٦ ج ٦ .
- (٩) توفيت فاطمة سنة ٧٤٧ هـ الدرر الكامنة ج ٣ ص ٢٥ .
- (١٠) كذا في د ، ف ، ل . وفي ز (الحافظ بن طاهر) وفي ط (الحافظ بن أبي طاهر) وكانت وفاة الحافظ السلفي سنة ٥٧٦ هـ وانظر ابن خلكان وحسن المحاضرة .
- (١١) هو صاحب الوساطة بين المتبئ وخصومه ، له ترجمة واسعة في البيئمة ، وترجم له ابن خلكان ، وكانت وفاته سنة ٣٦٦ هـ وقد أورد المؤلف هذا الحديث كله في طبقاته ص ٣٠٨ ج ٢ .

وما كل برق لاح لي يستفزني ولا كل من لاقيت أرضاه مُنعمًا
ولاني إذا ما فاتني الأمر لم أبت أقلب كفي إثره متندما
ولم أقض حقَّ العلم إن كان كلما بدا طمع صيرُّته لي سلما
إذا قيل : هذا منهل قلت : قد أرى ولكن نفس الحرِّ تحتمل الظما
ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي لأخدم من لاقيت ، لكن لأُخدما
أشقى^(١) به غرسا وأجنيه ذلةً إذا فاتباع الجهل قد كان أحزما
ولو أنَّ أهل العلم صانوه صاهم ولو عظموه في النفوس لعظمًا
ولكن أذلوه فهان ، ودنسوا محياه بالأطماع حتى تجهما

فلقد^(٢) صدق هذا القائل : لو عظموا العلم لعظمهم . وأنا أقرأ قوله : لعظمًا
بفتح العين فإن العلم إذا عظم يعظم^(٣) وهو في نفسه عظيم ؛ ولهذا^(٤) أقول :
ولكن أهانوه فهانوا ؛ ولكن الرواية فهان ولعظم بضم العين ، والاحسن
ما أشرت إليه . وقد نجا شيخ الإسلام^(٥) 'تقي الدين بن دقيق العيد رحمه الله
تعالى نحو هذه الآيات فقال :

يقولون لي : هلاً نهضت إلى العلا فا لذَّ عيشُ الصابر المتقنع
وهلاً شددت العيس حتى تحلها^(٦) بمصر إلى ظل الجناب المرفع
ففيها من الأعيان من فيض كفه إذا شاء روَّى سيله كل بُلُقع

(١) في ل . (أ أسقى) .

(٢) كذا في كل النسخ ما عدا ف فيها (فقد) .

(٣) كذا في ز . وفي ف (إذا عظم لعظم) وفي د ، ل ، ط (تعظم) .

(٤) كذا في ل ، ط . وفي باقي النسخ (وبهذا) .

(٥) هو محمد بن علي القشيري ، قيل عنه : إنه العالم المبعوث على رأس سبع المائة على ما في الحديث . نشأ في قوص وتفقه بها وذاع صيته ثم رحل إلى القاهرة وسمي بمجده ، قيل : كان السلطان لاجين ينزل له عن سريرته ويقبل يده ، وقد ولي القضاء بالديار المصرية ، وكانت وفاته سنة ٧٠٢ هـ وله ترجمة مسوَّدة في طبقات الشافعية في أول الجزء السادس ، وترجم له أيضاً في الدرر الكامنة .
(٦) يجوز أن يكون من الإحلال ، أي حتى تنزلها ، ويجوز أن يكون من الحل ، أي تحل رسالنا ، وهو أصب بقوله : شددت .

وفيها قضاء ليس يخفى عليهم وفيها شيوخ الدين والفنل والآل وفيها ، وفيها ، والمهانة ذلة فقلت : نعم أسعى إذا شئت أن أرى وأسعى إذا مالذ لي طول موقفي وأسعى إذا كان النفاق طريقتي وأسعى إذا لم يبق في بقيّة فكم بين أرباب الصدور مجالسا^(٢) وكم بين أرباب العلوم وأهلها مناظرة تحمي^(٣) النفوس فتنتهي^(٤) إلى^(٥) السفه المزرى بمنصب أهله فإمّا توقّ^(٦) مسلك الدين والتقى

تعين^(١) كون العلم غير مضيع يشير إليهم بالعملا كل لمصبع فثم واسع واقصد باب رزقك واقرع ذليلا مهاناً مستخفاً بموضعي على باب محبوب اللقاء بمنع أروح وأغدو في ثياب التصنع أراعي بها حقّ التقى والتورّع تشب بها نار الغضى بين أضلعي إذا بحثوا في المشكلات بمجمع وقد شرعوا فيها إلى شر مشرع أو الصمت عن حقّ هناك مضيع وإمّا تلقى غصّة التجرّع

ومنهم من يضيع كثيراً من وقته في طلب القضاء وغيره من المناصب فإن كان مراده القوت فالقوت يحى بدون ذلك ، وإن كان مراده الدنيا فقد كان في اشتغاله بصناعة الأجناد والدواوين وغيرهم من العادة ما لعله أنجح في مقصده ؛ فإن الدنيا في أيدي أولئك أكثر . ومن هذه الطائفة من يقول : أكرهت على القضاء ؛ وأنا لم أر إلى الآن من أكره على القضاء إلا كراه

(١) في طبقات الشافعية ص ٩ ج ٦ : (تيقن) وكأنه تحريف .

(٢) في نسخة في هامش ل (مجالس) .

(٣) أى تجعلها حامية متقدمة من الغضب .

(٤) كذا في ف ، د ، ل . وفي ز (فتثنى) .

(٥) كذا في ف ، وفي د ، ط (من السفه) .

(٦) أى اجتناب مسلك الدين . أى هو بين أمرين : ألا يعنى بأمر الدين فيخوض فيها يخوضون ، غير مهال عاقبة ذلك ، وإمّا أن يبالى ههنا فيحسن الأسف والغبة على اقتراف الآثام في المناظرات والمجادل .

الحقيق^(١) . وقد ضرب جماعة من السلف على أن يلوا القضاء فأبوا ، وسُئِر
باب أبي عليّ بن خيران^(٢) مدة . وما ذاك إلا لأنهم يخشون ألا يقيموا فيه
الحق لفساد الزمان ، وإلا فالقضاء إذا أمكن فيه نصر الحق من أعظم القربات ؛
ولكن أين نصر الحق وهم لا يدخلون فيه إلا بالسعي ، وربما بذلوا عليه
الذهب ! ومذهب كثير من العلماء أن من يبذل الذهب على القضاء لا تصح
أحكامه . ولا يخفى أنه إذا فسق^(٣) لم يكن نافذ الأحكام . وكأني بأحق من
الفقهاء ، يقول : تعيّن على طلب القضاء ، وأنا لا يخفى على ما قاله الفقهاء
فيمن تعيّن عليه ، ولكن من ذا الذي تعيّن عليه ؟ فقائل هذا الكلام إما ممن
لبست عليه نفسه ، واستزله الشيطان من حيث لا يدري ، أو ممن يريد
التلبس على الناس ، فهو إبليس من الأبالسة ، نعوذ بالله منه ؛ وما فعلت
هذه الطائفة ولا كان ثمره عليها إلا أن جعلت العلم حطام الدنيا ، ثم أخذت
تُداجي في دين الله تعالى ، وتلبس على الخلق ، وتأكل الدنيا بالدين ، ففجّحها
الله تعالى من طائفة ! . أخبرتنا شقراء بنت يعقوب بن إسماعيل بن عبد الله
ابن عمر بن قاضي اليمن قراءة عليها وأنا أسمع قالت : أخبرنا جدي إسماعيل
وأخوه إسحاق أخبرنا عبد اللطيف بن شيخ الشيوخ أنا أبي شيخ الشيوخ
أبو البركات إسماعيل بن أبي سعد بن أحمد النيسابوري الصوفي أنا الشيخ
أبو القاسم علي بن محمد بن عليّ النيسابوري الكوفي سنة تسعين وأربعمائة قال :
سمعت القاضي أبا مسعود — يعني صالح بن أحمد بن القاسم بن يوسف من مشايخي —
يقول : سمعت أبا الحسن عليّ بن أحمد بن صالح^(٤) الثمار يقول : سمعت أبا بكر

(١) كذا في ف . وفي د (الفرعي) بدل الحقيق .

(٢) هو الحسين بن صالح بن خيران ، أحد أركان الشافعية ، عرض عليه القضاء في بغداد
فامتنع . وكانت وفاته سنة ٣٢٠ هـ ، وقصة امتناعه عن القضاء مبسطة في الطبقات للمؤلف
ص ٢١٣ ج ٢ .

(٣) في زيادة : (يبذل الذهب) .

(٤) كذا في ف . وفي ط : (البصري) وفي ز (سمعت أبا الحسن علي بن أحمد البصري
الصوفي بصيدا ، يقول : سمعت أبا الحسن علي بن أحمد بن صالح الثمار) .

محمد بن يحيى العدوى يقول : سمعت عبد السميع بن سليمان يقول : سمعت
عبد الله^(١) بن المبارك يقول وقد بلغه عن ابن^(٢) عُلَيْهَ رَحِمَهُمَا اللهُ أَنَّهُ قَدْ
وَلَّى الصَّدَاقَاتِ بِالْبَصْرَةِ فَكُتِبَ إِلَيْهِ بِهَذِهِ الْآيَاتِ :

يَا جَاعِلَ الْعَالَمِ لَهُ بَازِيَا يَصْطَادُ أَمْوَالَ الْمَسَاكِينِ
أَحْتَلَّتْ لِلدُّنْيَا وَلَذَاتِهَا بِحِيلَةٍ تَذْهَبُ بِالْأَدِينِ
فَصُرْتُ مَجْنُونًا بِهَا بَعْدَ مَا كُنْتُ دَوَاءً لِلْمُجَانِينِ
أَيْنَ رَوَايَاتِكَ فِيمَا مَضَى عَنْ ابْنِ عَوْنٍ وَابْنِ سِيرِينَ
أَيْنَ رَوَايَاتِكَ فِي سِرِّهَا لَنُرِكَ^(٣) أَبْوَابُ السُّلَاطِينِ
إِنْ قُلْتَ : أَكْرِهْتُ فَذَا بَاطِلٌ زَلَّ حِمَارُ الْعِلْمِ فِي الطِّينِ
قَالَ : فَلَمَّا بَلَغْتَ هَذِهِ الْآيَاتِ ابْنَ عُلَيْهَ بَكَى وَاسْتَعْفَى وَأَشْأَى يَقُولُ :

أَفْ لَدُنْيَا أَبْتُ تَوَاتَنِي إِلَّا بِنَقْضِ^(٤) لَهَا عُرَى دِينِي
عَيْنِي لِحَبِّي ضَمِيرٌ مَقْلَتَا تَطْلُبُ مَا سَاءَ مَا لَتَرْضِينِي
وَأَنْشُدُ بَعْضَهُمْ فِي قَاضِيَيْنِ عَزَلَ أَحَدُهُمَا وَوَلَّى الْآخَرَ :

عَنْدِي حَدِيثٌ طَرِيفٌ بِمَشْأَلِهِ يُتَغَى
فِي قَاضِيَيْنِ يَعْزَى هَذَا وَهَذَا يُهَى
هَذَا يَقُولُ : أَكْرَهُونَا^(٥) وَذَا يَقُولُ : اسْتَرحْنَا
وَيَكْذِبَانِ جَمِيعًا وَمَنْ يَصْدَقُ مِنَّا

-
- (١) هو الورع الثقفي ، كان من أثبت الناس في السنة توفي سنة ١٨١ هـ . وانظر ترجمته في تاريخ بغداد ص ١٥٢ ج ١٠ .
(٢) هو إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم ، وعليه أمه . وهو محدث البصرة وعالمها ، توفي سنة ١٩٣ هـ وله ترجمة واسعة في تاريخ بغداد ص ٣٢٩ ج ٦ .
(٣) كذا في ف . وفي د ، ط . (في ترك) .
(٤) في ل (بنقض) .
(٥) كذا في ف ، د ، ل ، ط . وفي ز (جبرنا) و (أكرهونا) بخذف الهاء للضرورة الشعرية .

فإذا بلا^(١) الله تعالى أهل هذه الخرقه^(٢) بولاية الجهال عليهم ، ووصول وظائف القضاء ومناصب الدين لغير أهلها ، أليس ذلك عدلا من الله تعالى ! ومنهم المؤرخون . وهم على شفا جرف هار ؛ لأنهم يتسلطون على أعراض الناس ، وربما نقلوا مجرد ما يبلغهم من صادق أو كاذب ؛ فلا بد أن يكون المؤرخ عالماً عدلاً عارفاً بحال من يترجمه ، ليس بينه وبينه من الصداقة ما قد يحمله على التعصب له ، ولا من العداوة ما قد يحمله على الغضب منه . وربما كان الباعث له على الضعة من أقوام مخالفة العقيدة ، واعتقاد أنهم على ضلال ، فيقع فيهم ، أو يقصّر في الثناء عليهم لذلك ؛ وكثيراً ما يتفق هذا لشيخنا الذهبي رحمه الله في حق الأشاعرة . والذهبي أستاذنا — والحق أحق أن يتبع — لا يحل للمؤمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يعتمد عليه في الضعة من الأشاعرة . وقد أطلعنا في تقرير هذا الفصل في الطبقات^(٣) الكبرى ، وحكيما في ترجمته أحمد بن صالح المصري ما ذكره الشيخ الإمام في شروط المؤرخ ، ومن كلام أبي عمر بن عبد البر وغيره ما يزداد به الإنسان بصيرة . ومن ذلك فقهاء عصر واحد ؛ فلا يلغى سماع كلام بعضهم في بعض . وقد عقد ابن عبد البر باباً في أن كلام العلماء بعضهم في بعض لا يقبل ، وإن كان كل منهم بمفرده ثقة حجة . ومنهم من تأخذه في الفروع الحجة لبعض المذاهب ، ويركب الصغب والذلّول في العصبية وهذا من أسوأ أخلاقه . ولقد رأيت في طوائف المذاهب من يبالغ في التعصب بحيث يمتنع بعضهم من الصلاة خلف بعض إلى غير ذلك مما يستقبح ذكره . ويأويج هؤلاء ! أين هم من الله تعالى ! ولو كان الشافعي وأبو حنيفة رحمهما الله تعالى حينئذٍ لشدداً التنكير على هذه الطائفة . وليت شعري لم لا تركوا أمر الفروع التي العلماء فيها على قولين ،

(١) كذا في ل ، د ، د ، وفي ط ، ز (أبلى) .

(٢) كذا في د ، وفي هـ . (الخرقة) .

(٣) ج ١ ص ١٨٧ .

من قائل : كل مجتهد مصيب ، وقائل : المصيب واحد ، ولكن المخطيء يؤجر ، واشتغلوا بالرد على أهل البدع والأهواء وهؤلاء الخنفية والشافعية والمالكية وفضلاء الحنابلة — والله الحمد — في العقائد^(١) يد واحدة كلهم على رأى أهل السنة والجماعة ، يدينون الله تعالى بطريق شيخ السنة أبى الحسن الأشعري رحمه الله ، لا يجيد عنها إلا رعا ع من الخنفية والشافعية ، لحقوا بأهل الاعتزال ، ورعا ع من الحنابلة لحقوا بأهل التجسيم ، وبرأ الله المالكية فلم ير مالكيًا إلا أشعريًا^(٢) عقيدة . وبالجملة عقيدة الأشعري هي ما تضمنته عقيدة أبى جعفر الطحاوى التى تلقاها علماء المذاهب بالقبول ، ورضوها عقيدة . وقد ختمنا كتابنا جمع الجوامع بعقيدة ذكرنا أن سلف الأمة عليها . وهي وعقيدة الطحاوى . وعقيدة أبى القاسم القشيري والعقيدة المسماة بالمرشدة مشتركات في أصول أهل السنة والجماعة . فقل هؤلاء المتعصين في الفروع : ويحكم ذروا التعصب ، ودعوا عنكم هذه الأهوية^(٣) ، ودافعوا عن دين الإسلام ، وثمروا عن ساق الاجتهاد في حسم مادة من يسب الشيخين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ، ويقذف أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ، التى نزل القرآن ببراءتها ، وغضب الرب تعالى لها ، حتى كادت السماء تقع على الأرض ، ومن يطعن في القرآن وصفات الرحمن . فالجهاد في هؤلاء واجب ؛ فهلا شغلتم أنفسكم به ! ويا أيها الناس بينكم اليهود والنصارى قد ملكوا بقاع البلاد ، فمن الذى انتصب منكم للبحث معهم ، والاعتناء بإرشادهم . بل هؤلاء أهل الذمة في البلاد الإسلامية ، تركوهم هملا تستخدمونهم ، وتستطبونهم ، ولا نرى منكم فقيها يحاس مع ذم ساعة واحدة ، يبحث معه في أصول الدين ؛ لعل

(١) كذا في ف ، د ، ل . وفي ز (آراؤهم في العقائد واحدة) وفي ط (في العقائد عقيدتهم واحدة) .

(٢) في ل (أشعري العقيدة) .

(٣) كذا في الأصول ، وهو خطأ ، والصواب : الأهواء ، جمع هوى بمعنى الميل إلى الشهوات والأغراض الحسية . وأما الأهوية فجمع الهواء الذى يتنفس ، ولا يراد هنا .

الله تعالى يهديه على يديه . وكان من فروض الكفايات ومهمات الدين أن
تصرفوا بعض هممكم^(١) إلى هذا النوع . فمن القبائح أن بلادنا ملاء^(٢) من
علماء الإسلام ، ولا نرى فيها ذمياً دعاه إلى الإسلام مناظرة عالم من علمائنا ،
بل إنما يُسلم من يُسلم^(٣) إما لأمر من الله تعالى ، لا مدخل لأحد فيه ،
أو لغرض دنيوي . ثم ليت من يُسلم من هؤلاء يرى فقيهاً يمسكه^(٤) ، ويحجّده ،
ويعرفه دين الإسلام ؛ ليلشرح صدره لما دخل فيه ؛ بل — والله — يتركونه هملاً
لا يُدرى ما باطنه : هل هو كما يُظهر من الإسلام ، أو كما كان عليه من الكفر ؟
لأنهم لم يُروه من الآيات ، والبراهين ما يشرح صدره . فيا أيها العلماء . في مثل
هذا فاجتهدوا ، وتعبّوا . وأما تعصّبكم في فروع الدين ، وحملكم الناس على
مذهب واحد فهو الذي لا يقبله الله منكم ، ولا يحملكم عليه إلا محض التعصّب
والتحاسد . ولو أن أبا حنيفة والشافعي ومالكاً وأحمد أحياء يُرزقون لشددوا
النكير عليكم ، وتبرءوا منكم فيما تفعلون . فلعمري لا أحصى من رأته
يشتم عن ساعد الاجتهاد في الإنكار على شافعي يذبح ولا يُسمّى ، أو حنفي
يلبس ذكره ، ولا يتوضأ ، أو الكيّ يصلي ولا يبسم ، أو حنبلي يقدم
الجمعة على الزوال ؛ وهو يرى من العوام ما لا يحصى عدده إلا الله تعالى ،
يتركون الصلاة التي جزاء من تركها عند الشافعي ومالك وأحمد ضرب العنق ،
ولا يشكرون عليه ؛ بل لو دخل الواحد منهم بيته لرأى كثيراً من نسائه يترك^(٥)
الصلاة ، وهو ساكت عنهن . فيا الله واللسلين^(٦) ! أهذا فقيه على الحقيقة !
قبح الله مثل هذا الفقيه . ثم ما بالكم تنكرون مثل هذه الفروع ولا تشكرون

(١) كذا في ف ، د ، ز . وفي ل و ط (هممكم) .

(٢) في ل (ملاء) .

(٣) كذا في كل النسخ ما عدا ف ففيها (أسلم) .

(٤) كذا في كل النسخ ما عدا ر ففيها (يسأله) .

(٥) كذا في ف . وفي ل (يتركن) وفي باقي النسخ (يتركون) .

(٦) كذا في د ، ل . وفي ف ، ز (واللسلين) وفي ط (اللسلين) .

المكوس والمحرمات المجمع عليها ولا تأخذكم الغيرة لله تعالى فيها ١ وإنما تأخذكم الغيرة للشافعي ، وأبي حنيفة ، والمدارس المزخرقة . فيؤدّي ذلك إلى افتراق كلتكم ، وتسليط الجهال عليكم ، وسقوط هيبتكم عند العامة ، وقول السفهاء في أعراضكم مالا ينبغي ، قهلكون السفهاء بكلامهم فيكم ؛ لأن لحومكم مسمومة على كل حال ؛ لأنكم علماء ، وتهلكون أنفسكم بما تركبونه من العظائم . ومنهم طائفة تبعت طريقة أبي نصر^(١) الفارابي ، وأبي علي ابن سينا^(٢) وغيرهما من الفلاسفة الذين نشئوا في هذه الأمة ، واشتغلوا بأباطيلهم وجهالاتهم ، وسَمّوها الحكمة الإسلامية ، ولقبوا أنفسهم حكماء الإسلام ، وهم أحق بأن يسمّوا سفهاء جهلاء من أن يسمّوا حكماء ؛ إذ هم أعداء أنبياء الله تعالى ورسله عليهم الصلاة والسلام ، والمحرفون لكلم الشريعة عن مواضعه . عكفوا على دراسة ترهات هؤلاء الأقبام وسَمّوها الحكمة ، واستجهلوا من غري عنها . ولا تكاد تلقى أحداً منهم يحفظ قرآنا ، ولا حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولعمر الله إن هؤلاء لأضرّ على عوام المسلمين من اليهود والنصارى ؛ لأنهم يلبسون لباس المسلمين ، ويدّعون^(٣) أنهم من علمائهم ، فيقتدى العامي بهم ، وهم لا يعتقدون شيئاً من دين الإسلام ، بل يهدمون قواعده ، وينقضون عراه عروة عروة .

وما انتسبوا إلى الإسلام إلا لصون دماءهم ألا تسالاً^(٤) فيأتون المناكر في نشاط ويأتون الصلاة وهم كسالى فلحذر الحذر منهم . وقد أفتى جماعة من أئمتنا^(٥) ومشايخنا ومشايخه

(١) كانت وفاته سنة ٣٣٩ هـ .

(٢) كانت وفاته سنة ٤٢٨ هـ .

(٣) كذا في ف ، ز ، وفي ل ، د ، ط (يزعمون) .

(٤) المصدر المنسبك المنى ، وهو (عدم الإسالة) يدل من (صون دماءهم) أو أن (لا)

زائدة ، أي لصون دماءهم من أن تسال .

(٥) كذا في ل ، ط ، وفي ف ، د ، ز (جماعة أئمتنا) .

مشيختنا بتحريم الاشتغال في^(١) الفلسفة . وأما المنطق فقد ذكرنا كلام الأئمة والشيخ الإمام فيه في أوائل شرح مختصر ابن الحاجب . والذي نقوله نحن : إنه حرام على من لم ترسخ قواعد الشريعة في قلبه ، ويمتلئ جوفه من عظمة هذا النبي الكريم وشرعته^(٢) ويحفظ الكتاب العزيز ، وشيئاً كثيراً جداً من حديث النبي صلى الله عليه وسلم على طريقة المحدثين ، ويعرف من فروع الفقه ما يسمى به فقيهاً ، مفتياً مشاراً إليه من أهل مذهبه إذا وقعت حادثة^(٣) فقهية أن^(٤) ينظر في الفلسفة . وأما من وصل إلى هذا المقام فله النظر فيها للرد على أهلها ، ولكن بشرطين : أحدهما أن يثق من نفسه بأنه وصل إلى درجة لا تزعمها رياح الأباطيل ، وشبه الأضاليل وأهواء الملاحدة . والثاني ألا يمزج كلام الحكماء بكلام علماء الإسلام ؛ فلقد حصل ضرر عظيم على المسلمين بمزج كلام الحكماء بكلام المتكلمين ، وأدى الحال إلى طعن المشبهة وغيرهم من رعاع الخلق في أصحابنا ؛ وما كان ذلك إلا في زماننا وقبله بيسير ، منذ نشأ نصير الدين^(٥) الطوسي ومن تبعه لا حيّاهم الله .

فإن قلت : فقد خاض حجة^(٦) الإسلام الغزالي والإمام فخر الدين الرازي^(٧) في علوم الفلسفة ودونوها ، وخططوها بكلام المتكلمين فهلاً تنكر عليهما ! قلت : إن هذين إمامان جليلان ولم يخض واحد منهما في هذه العلوم حتى صار قدوة في الدين ، وضربت الأمثال باسمهما في معرفة علم الكلام على طريقة أهل السنة والجماعة من الصحابة والتابعين فمن بعدهم . فإياك أن تسمع

(١) كذا في النسخ . والمعروف (الاشتغال بالفلسفة) .

(٢) كذا في ف ، د ، وفي ط (وشرعته) .

(٣) كذا في النسخ كلها ما عدا ف ففيها (واقعة) .

(٤) المصدر في هذه العبارة فاعل (حرام) في صدر الجملة .

(٥) كذا في ف ، د ، وفي ط (نصير الطوسي) . انظر ترجمته في الصفحة الآتية .

(٦) كانت وفاة حجة الإسلام سنة ٥٠٥ هـ .

(٧) كانت وفاة فخر الدين الرازي سنة ٦٠٦ هـ .

شيئاً غير ذلك ، فتضلّ ضلالاً مبيناً . فهذان إمامان عظيمان وكان حقاً عليهما نصر المؤمنين وإعزاز هذا الدين بدفع ترهات^(١) أولئك المبطلين . فمن وصل إلى مقامهما لا ملام^(٢) عليه بالنظر في الكتب الفلسفية ، بل هو مثاب مأجور وأما طائفة في زماننا هذا وقبله يبسير عكفت على هذه الحكمة المفتنة^(٣) من حين نشأت لا تدرى شيئاً سواها ، اشتبه عليها أقوال كفّارها بأقوال علماء الإسلام ، وتصرّفت فيها^(٤) بعقل خسيّف^(٥) لم يقيم^(٦) بكتاب وسنة ولم يرضى له نور ببرهان من النبوءات ، ثم تعتقد أنها على شيء فتلك الفرقة الخاسرة الضالة المضلّة وقد اعتبرت — ولا يثبتك مثل خبير — فلم أجد أضراً على أهل عصرنا وأفسد لعقائدهم من نظرهم^(٧) في الكتب الكلامية التي أنشأها المتأخرون بعد نصير الدين الطوسي^(٨) وغيرهم . ولو اقتصروا على مصنّفات القاضي أبي بكر^(٩) الباقلاني ، والأستاذ أبي إسحق^(١٠) الإسفرائيني وإمام^(١١)

-
- (١) في ل (برهان) وما أثبتناه أجود ، فإن هذه الفرق الضالة لا برهان لهم . والبرهان هو الدليل اليقيني القاطع .
- (٢) كذا في ف وهامش ل . وفي د (لا يلام بالنظر) .
- (٣) كذا في كل النسخ ما عدا ف ففيها (المقتبة)
- (٤) كذا في د ، ط . وفي ف (وتصرّفت بينها) .
- (٥) خسيّف كذا في كل النسخ . وفي هامش ل (بعقل سخيّف) ويريد بالعقل الخسيّف : الذي لا نور له ، يقال خسيّف عين فلان : فقأها ، فهي خسيّفة .
- (٦) كذا في د ، ط . وفي ف ، ز (لم يقيم بكتاب وسنة) وفي ل (لم يقيم بكتاب الله وسنته) .
- (٧) كذا في كل النسخ ما عدا ف ففيها (من النظار) .
- (٨) هو محمد بن محمد بن الحسن ، الإمام المشهور في العقليات والرياضيات . توفي في بغداد في سنة ٦٧٢ هـ . وانظر تاريخ أبي الفداء .
- (٩) في ل : أبي بكر بن الباقلاني . وهو أحد الأعلام الذين لهم الفضل في تثبيت مذهب الأشعرى . وكانت وفاته في بغداد سنة ٤٠٣ هـ وانظر ابن خلكان .
- (١٠) هو إبراهيم بن محمد أحد الأركان في فقه الشافعية ، وفي علم الكلام . توفي سنة ٤١٨ هـ وانظر ابن خلكان .
- (١١) هو عبد الملك بن الشيخ أبي محمد . أعلم المتأخرين من أصحاب الشافعي . توفي سنة ٤٧٨ هـ كما في الوفيات .

الحرمين أبي المعالي الجويني وهذه الطبقة لما جرى إلّا الخير . ورأي فيمن أعرض عن الكتاب والسنة واشتغل بمقالات ابن سينا ومن نحاجوه ، وترك قول المسلمين : قال أبو بكر ، وقال عمر رضى الله تعالى عنهما وقال الشافعي ، وقال أبو حنيفة ، وقال الأشعري ، وقال القاضي أبو بكر ، إلى قوله : قال الشيخ الرئيس يعنى ابن سينا ، وقال خواجا^(١) نصير ، ونحو ذلك ، أن يضرب بالسياط ، ويطاف به في الأسواق ، ويُنادى عليه : هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة : واشتغل بأباطيل المبتدعين .

أوما يستحي من يتخذ أقوال ابن سينا وتعظيمه شعاراً — من الله تعالى إذا قرأ قوله تعالى : « يحسب الإنسان أن لن نجعل عظامه ، بلى قادرين على أن نسوي بنانه ، ويذكر إنكار ابن سينا لحشر الأجساد ، وجمع العظام .

ومنهم — أعنى هؤلاء — فرقة ضمت إلى هذا القدر من الحكمة النظر في كتاب الكشف للزمخشري في التفسير ، وقالت : نحن متشرعون وعارفون بتفسير كتاب الله تعالى . واعلم أن الكشف كتاب عظيم في بابيه ، ومصنفه إمام في فنه^(٢) إلّا أنه رجل مبتدع متجاهر ببديعته ، يضع من قدر النبوة كثيراً ويسىء أديه على أهل السنة والجماعة ، والواجب كشط ما في كتابه الكشف^(٣) من ذلك كله . ولقد كان الشيخ الإمام يقرئه ، فلباً^(٤) انتهى إلى الكلام^(٥) على قوله تعالى في سورة التكوير^(٦) (إنه لقول رسول كريم) الآية

(١) هو نصير الدين الطوسي ، السابق .

(٢) كذا في كل النسخ ما عدا ف فقيها (وقته) .

(٣) كذا في ف ، د ، ل . وفي ز (كتاب الكشف) وفي ط (كشط ما في الكشف) .

(٤) كذا في ف ، ل . وفي ز ، ط (فإذا انتهى) .

(٥) كذا في ف . وفي د ، ط (إلى كلامه) .

(٦) جرى الزمخشري في سورة التكوير عند قوله تعالى : «إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين ، مناع ثم أمين ، وما صاحبكم بمجنون» على تفضيل جبريل عليه السلام على الرسول عليه الصلاة والسلام ، بناء على مذهبه الاعتزالي . وقد أسرف في قوله : « وناهيك بهذا دليلاً على جلالة مكان جبريل عليه السلام وفضله على الملائكة ، ومباينة منزلته لمنزلة أفضل الإنس محمد صلى الله عليه وسلم =

أعرض عنه صفحا ، وكتب ورقة حسنة سمّاها « سبب الانكشاف » ، عن إقراء الكشاف ، وقال فيها : قد رأيت كلامه على قوله تعالى : عفا الله عنك ، وكلامه في سورة التحريم^(١) في الزلّة^(٢) وغير ذلك من الآماكن التي أساء أدبه فيها على خير خلق الله تعالى سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعرضت عن إقراء كتابه حياء من النبي صلى الله عليه وسلم . مع ما في كتابه من الفوائد والنكت البديعة . فانظر كلام الشيخ الإمام الذي برّز في جميع العلوم ، وأجمع الموافق والمخالف على أنه بحر البحار : معقولا ومنقولا ، في حق هذا الكتاب الذي اتخذت الأعاجم قرأته^(٣) ديدنها . والقول عندنا فيه أنه لا ينبغي أن يُسمح بالنظر فيه إلا لمن صار على منهاج السنة لا تزحزحه شبهات القدرية .

ومنها فرقة ترقّت^(٤) عن هذه الفرقة وقالت : لا بد من ضمّ علم الحديث إلى التفسير ، فكان قصارها النظر في « مشارق الأنوار » للصّاغاني^(٥) . فإن ترقّت

إذنا وازنت بين الذكرين حين قرن بينهما ، وقايت بين قوله : « إنه لقول رسول كريم ، ذي قوة عند ذي العرش مكين ، مطاع ثم أمين » وبين قوله « وما صاحبكم بمجنون » ، وهذا على تفسير « رسول كريم » بجبريل ، والآية تحتل غير ذلك . وعلى كل حال فقد كان يسع الزمخشري ألا يفتي قلبه هذا البني على مقام الرسالة السامى .

(١) ورد في أسباب نزول سورة التحريم أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان قد حرم على نفسه جاريته مارية القبطية ، وفي بعض الروايات أنه حرم العسل ، فنزل قوله تعالى « يأيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك » فكان من الزمخشري في هذا الموطن أن زلت قدمه ، فجعل فعل النبي عليه الصلاة والسلام زلة منه « لأنه ليس لأحد أن يحرم ما أحل الله ؛ لأن الله عز وجل إنما أحل ما أحل للحكمة ومصلحة عرفها في إحلاله . فإذا حرم كان ذلك قلب المصلحة مفسدة » وقد تعقبه صاحب الاتصاف بأن تحريم الحلال ضربان : اعتقاد حرمة ، وهذا لا يكون من مؤمن ، فضلا عن رسول الله عليه الصلاة والسلام ، والامتناع منه لبعض الأسباب . وهذا لا شئ فيه ؛ وهذا هو الذى وقع منه صلى الله عليه وسلم . ونزلت الآية تلطفا بالرسول عليه الصلاة والسلام ؛ كيلا يشقى على نفسه في ترك بعض الحلال . فهذا حديث الزلة التى زل بها الزمخشري عفا الله عنه .

(٢) كذا في ف ، د وهامش ل . وفى ل ، ز (الزلّة) .

(٣) كذا في ف . وفى د ، ط (دراسته في هذا الزمان) .

(٤) كذا في د . وفى ل ، ف ، ز (رقت) وفى ط (ترفعت) .

(٥) هو الحسن بن محمد اللقوى المشهور ، صاحب العباب ، وتكملة البحار وغيرهما ألفه في اللغة . كانت وفاته سنة ٦٥٠ هـ وانظر بغية الوعاة .

ارتقت إلى مصاييح البغوى^(١) ، وظنت أنها بهذا القدر تصل إلى درجة المحدثين . وما ذاك إلا لجهلها بالحديث فلو حفظ من ذكرناه هذين الكتابين عن ظهر قلب ، وضم إليهما من المتون مثليهما لم يكن محدثاً ، ولا يصير بذلك محدثاً حتى يلج الجمل في سم الخياط . فإذا رامت بلوغ الغاية في الحديث — على زعمها — اشتغلت بجامع الأصول لابن الأثير^(٢) . وإن ضمت إليه كتاب علوم الحديث لابن الصلاح^(٣) أو مختصره المسمى بالتقريب والتيسير للنووى^(٤) ونحو ذلك فيلئذ^(٥) ينادى من انتهى إلى هذا المقام بمحدث المحدثين وبخارى العصر ، وما ناسب هذه الألفاظ الكاذبة . فإن من ذكرناه لا يُعدُّ محدثاً بهذا القدر ؛ إنما^(٦) المحدث من عرف الأسانيد^(٧) ، والعلل وأسماء الرجال والعالي والنازل ، وحفظ مع ذلك جملة مستكثرة^(٨) وسمع الكتب الستة^(٩) ومسند أحمد ابن حنبل وسنن البيهقي^(١٠) ، ومعجم الطبراني^(١١) ، وضم إلى هذا القدر ألف جزء من الأجزاء الحديثية . هذا أقل درجاته . فإذا سمع ما ذكرناه ، وكتب

(١) هو الحافظ المحدث الحسين بن مسعود المعروف بابن القراء ، كان يقال له : محي السنة . كانت وفاته سنة ٥١٦ هـ . انظر النجوم الزاهرة .

(٢) هو المبارك بن محمد الجزرى ، وهو صاحب النهاية في غريب الحديث . توفى سنة ٦٠٦ هـ . انظر النجوم الزاهرة .

(٣) هو تقي الدين عثمان بن الصلاح الكردى . كانت وفاته سنة ٦٤٣ هـ . انظر النجوم الزاهرة .

(٤) هو شيخ الإسلام يحيى بن شرف ، الفقيه الشافعى الحافظ الزاهد . كانت وفاته سنة ٦٧٦ هـ . انظر شذرات الذهب ص ٣٥٤ ج ٥ .

(٥) فى ف ، د (وحيثذ) وفى ط (حيثذ) بدون واو والأنسب ما أثبتناه .

(٦) كذا فى ف ، د ، ز . وفى ل ، ط (وإنما) .

(٧) كذا فى كل النسخ ما عدا ف ، ففيها (الأحاديث) .

(٨) كذا فى كل النسخ ما عدا د ففيها (مستكثرة من المتون) .

(٩) هى صحيح البخارى ومسلم ، وجامع الترمذى ، وسنن أبى داود ، وسنن الدائى ، وسنن ابن ماجه .

(١٠) هو الإمام العلم أبو بكر أحمد بن الحسن ، الشافعى الحافظ . وفاته سنة ٤٥٨ هـ . انظر

الشذرات ص ٣٠٤ ج ٣ .

(١١) هو أبو القاسم سليمان بن أحمد الحافظ الثقة . نسبته إلى طبرية فى الشام . توفى سنة ٨٣٦٠ .

انظر الشذرات ص ٣٠٤ ج ٣ .

الطباق ، ودار على الشيوخ ، وتكلم في العلل والوقيات والأسانيد كان في أول درجات المحدثين ، ثم يزيد الله من شاء ما شاء .

ومنهم فرقة ترفعت ، وقالت : نضم إلى الحديث الفقه ؛ وكان غايتها البحث في الحاوي الصغير لعبد الغفار^(١) القزويني ؛ والكتاب المذكور أعجوبة في بابه ، بالغ في الحسن أقصى الغايات ؛ إلا أن المرء لا يصير به فقيهاً ولو بلغ عنان السماء . وهذه الطائفة تضع في تفسيك ألفاظه ، وفهم معانيه^(٢) زماناً لو صرفته إلى حفظ نصوص الشافعي وكلام الأصحاب لحصلت على جانب عظيم من الفقه ، ولكن التوفيق بيد الله تعالى .

ومنهم طائفة صحيحة العقائد ، حسنة المعرفة للفروع ، إلا أنها لم ترع جانب الله حق الرعاية ، فكان عليها وبالأعلى عليها في الحقيقة ؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم : « أشد^(٣) الناس عذاباً عالم لم ينفعه الله بعلمه ، وعنه صلى الله عليه وسلم » أول ما^(٤) يسعر يوم القيامة عالم فتندلق أقتابه^(٥) في النار فيدور فيها كما يدور الحمار برحاه فيجتمع إليه أهل النار فيقولون : يا هذا ، ألسنت كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر ! فيقول : كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه ، وأنهاكم عن المنكر وآتيه ، وفي الحديث : « إن أشد^(٦) الناس حسرة^(٧) يوم القيامة رجلان : رجل علم علماً فيرى^(٨) غيره يدخل به الجنة

(١) هو الفقيه الشافعي العظيم . توفي سنة ٦٦٥ هـ وانظر طبقات الشافعية ص ١١٨ ج ٥ .

(٢) كذا في كل النسخ ما عدل فقيها (مغايزه) .

(٣) هذا الحديث ورد في الترغيب والترهيب عن الطبراني والبيهقي بلفظ « أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه علمه » .

(٤) كذا في ف ، وفي د ، ل (أول ، تسعر النار يوم القيامة رجل عالم) وفي ز (أول ما تسعر النار يوم القيامة برجل) وفي ط (أول ما يسعر النار يوم القيامة رجل عالم) .

(٥) كذا في النسخ ، عدا ز فقيها (فيندلق لسانه) وما عدا د فقيها (فيندلق أقتابه) .

(٦) لم تقف على لفظ هذا الحديث . وفي الجامع الصغير حديث « أشد الناس حسرة يوم القيامة رجل أمكنه طاب العلم في الدنيا فلم يطلبه ، ورجل علم علماً ، فانتفع به من سمعه منه دونه » وذكر أن هذا الحديث رواه ابن عساكر في تاريخه عن أنس .

(٧) كذا في النسخ . عدا ز فقيها (عذاباً) .

(٨) كذا في ف ، ل ، ط ، وفي ز (فرأى غيره) . وفي د (يرى غيره) .

لعمله به ، وهو يدخل به النار لتضييعه العمل به ، ورجل جمع المال من غير وجهه ، وتركه لوارثه ، فعمل به الخير ، فيرى غيره يدخل به الجنة وهو يدخل به النار) وكان الشيخ أبو إسحق^(١) الشيرازي يستعيز بالله من مثل هذا العلم حيث كان يقول : نعوذ بالله من علم يكون حجة علينا ، ويلشد :

علمت ما حلل المولى وحرّمه فاعمل بعلمك إن العلم للعمل

وفي مثل هذه الطائفة يقول الشاعر^(٢) :

يا أيها الرجل المعلم غيره هلا لنفسك كان ذا التعليم !
تصف الدواء من السقام^(٣) لذى الضنى ومن الضنى — مُذْ كنت — أنت سقيم
ما زلت تُلقح^(٤) بالرشاد عقولنا صفة^(٥) وأنت من الرشاد عديم
أبدأ بنفسك فانها عن غيرها فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك تُقبل إن وعظت ، ويُقتدى بالقول منك ، وينفع التعليم
لا تنه عن خلق وتأقّ مثله عار عليك إذا فعلت عظيم
فهذه الطائفة إذا واخذها الله تعالى فلا يلبغى أن تعتب وتقول : نحن^(٦)

أهل العلم : فإن صليها ليس بصليع أهل العلم الذين هم أهل^(٧) العلم ، بل هؤلاء كما قال الله تعالى لا يعلمون . يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا ، فما قبلوا إلاّ بعدل من الله تعالى .

ومنهم طائفة لا تترك الفرائض ، ولكنها أحبت العلم والمناظرة وأن يقال :

-
- (١) هو الإمام إبراهيم بن محمد ، صاحب التبيين والمهذب في فقه الشافعية . وفاته سنة ٤٧٦ هـ .
 - (٢) تنسب هذه الأبيات إلى أبي الأسود الدؤلي ظالم بن عمرو . توفي سنة ٦٧ هـ كما في بغية الوعاة .
 - (٣) كذا في النسخ ما عدل ، ط فقيهما (لذى السقام من الضنى) .
 - (٤) كذا في النسخ ما عدا ط فقيها (وأراك تلقح) .
 - (٥) كذا في النسخ ما عدا ط فقيها (أبدا) .
 - (٦) كذا في كل النسخ ما عدل ، ط فقيهما نحن من أهل العلم .
 - (٧) كذا في كل النسخ ما عدا ط فقيها (يصانع أهل العلم بل هؤلاء) .

فلان اليوم فقيه البلد ، حباً اختلط بعظمها ولحمها ، فاستغرقت فيه أكثر أوقاتها ، واستهانت بالنوافل ، ونسيت القرآن بعد حفظه ، وشمخت بآنافها مع ذلك ، وقالت : نحن العلماء : وإذا قامت لصلاة الفريضة قامت أربعاً لا تذكر الله فيها إلا قليلاً ، مزجت ^(١) صلاتها بالفكر في باب الحيض ودقائق الجنائيات . وربما جاء ليقول : إياك نعبد وإياك نستعين ، فسبق لسانه إلى ما هو مفكر فيه من جزئيات الفروع ، فنطق ^(٢) به . ثم إذا سألت واحداً من هذه الطائفة : أصليت سنة الظهر ؟ قال لك : قال الشافعي : طلب العلم أفضل من صلاة النافلة [أو قلت ^(٣) له] . أخشعت في صلاتك ؟ قال : ليس الخشوع من شرائط صحة الصلاة . أو قلت ^(٤) له : أنسيت القرآن ؟ قال لك : لم يقل إن نسيانه كبيرة إلا صاحب العدة ^(٥) ، وما الدليل على ذلك ؟ وأنا لم أنس الجميع ؛ فإني أحفظ الفاتحة ، وكثيراً من القرآن غيرها . فقل له : أيها الفقيه ، كلمة حق أريد بها باطل ؛ إن الشافعي لم يعن ما أردت ، ولكلامه تقرير لسنا له الآن ؛ ويخشى على من هذا شأنه المروق من الدين رأساً ^(٥) . أخبرنا الحافظ أبو العباس ابن المظفر بقراءتي عليه ، أنا أحمد بن هبة الله بن عساكر بقراءتي عليه ، أنا الإمام أبو القاسم بن الإمام أبي سعد عبد الله بن عمر الصفار أخبرنا جدّي الإمام عصام الدين أبو حفص عمر بن أحمد بن منصور بن الصفار . قال : سمعت جدّي يقول : سمعت الأستاذ أبا القاسم القشيري رحمه الله يقول : سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول : من استهان بأدب من آداب الإسلام

(١) كذا في النسخ ما عدا ز ففها (ومزجت) .

(٢) كذا في ف ، ل ، د ، د ، وفي ز ، ط فينطق .

(٣) كذا في ط ولم تذكر هذه الجملة في ف ، د ، د . وكأن ذلك لفهمها من السياق .

(٤) كذا في معظم النسخ ، وفي نسخة على هامش ل : (العدة) . والعدة في فروع الشافعية .

لعبد الرحمن بن حسين الطبري المتوفى سنة ٥٣٠ هـ كما في طبقات الشافعية ص ٢٤٤ ج ٤ ؛ والعدة في هذه الفروع أيضاً لأبي بكر الشاشي المتوفى سنة ٥٠٧ هـ .

(٥) كذا في كل النسخ ما عدا ف ؛ ففها (أصلاً) .

عوقب بحرمان السُّنة ، ومن ترك سنة عوقب بحرمان الفريضة ، ومن استهان بالفرائض قيض الله له مبتدعا بوقع عنده باطلا فيوقع في قلبه شبهة . قلت : وبلغنا أن الإمام الغزالي أم مرة بأخيه أحمد في صلاة ، فقطع أخوه أحمد الاقتداء به ، فلما قضى الصلاة سأله الغزالي ، فقال : لأنك كنت متضمخاً بدماء الحيض . ففكر الغزالي ، فذكر أنه عرّضت له في الصلاة فكرة في مسألة من مسائل الحيض . فانظر فهو لاء أهل الله الذين هم أعرف به منك أيها الفقيه ، قد عرفوك أن ما تعتمد عليه يحرك إلى الكفر ، والعياذ بالله .

ومنهم فرقة سلّيت من جميع ما ذكرناه ، إلا أنها استهانت ببعض صفات الذنوب ؛ كالغيبة والاستهزاء^(١) بخلق الله تعالى ، ونحو^(٢) ذلك ، أو كان لها معصية ابتلاها الله بها ، فلم تستتر ، وقالت : علّنا يغطي معصيتنا^(٣) . وهذا جهل لا علم ؛ فالصغيرة تكبر من العالم ، فإن هو تجاهر بها ازداد أمرها . والمعصية مع العلم فوق المعصية مع الجهل من وجوه . وإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « من بلى بشيء من هذه القاذورات فليستتر بسِتْرِ الله » الحديث ؛ فالعالم أولى أن يستتر إن لم يرجع ، فإنه قدوة . ولذلك كان بعض العارفين لا يظهر لتلميذه إلا على أشرف أحواله ؛ خوفاً أن يقتدى به في سيئها ، أو يسوء ظنه به فلا يلتفت به . فيبلغى للعالم الكف عن صغار المعاصي ، وكبارها . فإن هو لم يكف فلا أقل من التستر ؛ صيانة لمنصب العلم . وإلى هذا المعنى أشار الشيخ الجليل فتح الدين بن علي أبو منصور الدمياطي فأشدد لنفسه :

أيها العالم إياك الزلل واحذر الهفوة والخطب الجلل
هفوة العالم مستعظمة إذ بها أصبح في الخلق مثل
وعلى زاتهِ محمدتهم فيها يحتاج من أخطا وزن

(١) كذا في ف ، ط ، و ، ي ، ل ، د (الاستهزاء) .

(٢) كذا في ف ، و ، ي ، د (وغير ذلك) .

(٣) كذا في ف ، و ، ي ، د (مصيبتنا) .

لا تقل : يستر على زلاتي بل بها يحتمل في العلم الخلل
 إن تكن عندك مستحقرة فهي عند الله والناس جبل
 ليس من يتبعه العالم في كل ماذق من الأمر وجل
 مثل من يدفع عنه جهله إن أتى فاحشة قيل : جهل
 انظر الأنجم : مهما سقطت من رآها وهي تهوى لم يُبَل
 فإذا الشمس بدت كاسفة وجل الخلق لها كل الوجل
 وترامت نحوها أبصارهم في ازعاج واضطراب ووجل
 وسرى النقص لهم من نقصها فغدت مظلمة منها السُبل
 وكذا العالم في زلته يفتن العالم طرًا ويضل

ومنها فرقة سلمت من ^(١) جميع ما ذكرناه ، إلا أنه غلب عليها الطعن في
 أمة قد سلفت ، والاشتغال بعلما قد مضوا . وغالب ما يؤتى هؤلاء من
 المخالفة في العقائد ؛ فقل (أن ترى من ^(٢) الحنابلة) إلا ويضع من الأشاعرة ،
 وهذا شيخنا الذهبي ^(٣) كان سيد زمانه في الحفظ مع الورع والتقوى ، ومع
 ذلك يعمد إلى أمة الإسلام من الأشاعرة ، فيظهر عليه من التعصب عليهم
 ما ينقر القلوب ، وإلى طائفة من المجسمة فيظهر عليه من نصرتهم ما يوجب
 سوء الظن به ؛ وما كان والله إلا تقيًا نقيًا ، ولكن حمله التعصب ، واعتقاده أن
 مخالفه على خطأ . وقل أن ترى أشعريًا من الشافعية والحنفية والمالكية
 إلا ويبالغ في الطعن على هؤلاء ، ويصرح بتكفيرهم وإذا كان الأئمة
 المعتمدة ^(٤) كالشافعي وأبي حنيفة ومالك وأحمد والأشعري على أنا لا نكفر

(١) في ل (عن) وهذا على تضمين (سلمت) معنى (تنزهت) .

(٢) كذا في ف . وفي ل ، ط ، د (فقل أن ترى من قبل الحنابلة) وفي ز (فقل من ترى
 من يميل إلى الحنابلة) .

(٣) هو الحافظ المحدث شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان . مات سنة ٧٤٨ هـ .

(٤) كذا في كل النسخ ماعدا ل ، ففيها (المعتبرون) .

أحداً من أهل القبلة فلم هذا التعصب ؟ وما لنا لا نسكت عن أقوام مضوا إلى ربهم ، ولم ندر على ماذا ماتوا ؟ وإن يُبَد لنا أحد بدعة قائلنا ، وأما الأموات فلم تنبش عظامهم ؟ هذا والله مالا ينبغي .

ومن الفقهاء فرقة متسلكة تجرى على ظواهر الشرع ، وتحسن امثال أوامر الله تعالى ، واجتناب مناهيه ^(١) : إلا أنها تهزأ بالفقراء ، وأهل النصوف ، ولا تعتقد فيهم شيئاً ، ويعيبون عليهم السماع ، وأموراً كثيرة . والسماعُ قد عُرِف اختلاف الناس فيه . وتلك الأمور قلَّ أن يفهمها من يعيبها . والواجب تسليم أحوال القوم إليهم . وإنا لا نؤاخذ أحداً إلا بجريمة ظاهرة : ومتى أمكننا تأويل كلامهم ، وحمله على حمل حسن لا نعدل عن ذلك ؛ لاسيما من عرفناه منهم بالخير ، ولزوم الطريقة . ثم إن بدرت لفظة من غلظة ، أو سقطت ، فإنها عندنا لا تهدم ما مضى . وهذه الطائفة من الفقهاء ، التي تنكر على المتصوفة ، مثلاًها مثل الطائفة من الترك ، التي تنكر على الفقهاء . وقد جرّبنا فلم نجد فقيهاً ينكر على الصوفية ، إلا ويهلكه الله تعالى ، وتكون عاقبته وخيمة ، ولا وجدنا تركياً يهزأ بالفقهاء إلا ويهلكه الله تعالى ، وتكون عاقبته شديدة . فسيبيل هذه الطائفة التوبة إلى الله تعالى ، وحسن الظن بخلق الله تعالى ؛ لاسيما من انقطع إلى الله ، واعتكف على عبادته ، ورفض الدنيا وراء ظهره . هذا علاج داء هذه الطائفة ، وما أظنهم يبرءون : فإنني جرّبت فوجدت القلوب منقسمة إلى قابل للصالح وطريق الفقر ^(٢) وذلك تراء منقاداً لطريق الفقراء معتقداً من غير تعليم — وغير قابلة ، ولا تراها تنقاد ؛ وإن انقادت في الظاهر لم يفدها الانقياد ؛ لأن هؤلاء القوم لا يعاملون بالظواهر ولا يفيد معهم إلا الباطن ومحض الصفاء ؛ وهم أهل الله تعالى ، وخاصته نفعنا الله بهم . وأكثر من يقع فيهم لا يفلح .

(١) في ل (نوايه) .

(٢) كذلك في كل الأصول ماعدا ل ، ففيها (الفقراء) .

ومن أهل العلم طائفة طلبت الحديث ، وجعلت دأبها السماع على المشايخ ، ومعرفة العالى من المسموع ، والنازل . وهؤلاء هم المحدثون على الحقيقة ؛ إلا أن كثيراً منهم يُجهِد نفسه في تهجى الأسماء والمتون ، وكثرة السماع من غير فهم لما يقرؤه ، ولا تتعلّق فكرته بأكثر من أنى حصلت جزء ابن عرفة عن سبعين شيخاً ، جزء الأنصارى عن كذا كذا شيخاً ، جزء ابن الفيل ، جزء البطاقة ، نسخة أبى مُسَهِر^(١) . وأنحاء ذلك . وإنما كان السلف يسمعون فيعلمون^(٢) فيرحلون فيقرءون فيحفظون^(٣) فيعلمون^(٤) . ورأيت من كلام شيخنا الذهبي في وصيته لبعض المحدثين في^(٥) هذه الطائفة : لاحظ واحد من هؤلاء إلا أن يسمع ليروى^(٦) فقط ، فَلْيُعَاقِبَنَّ بنقيض قصده ، وليشهره الله تعالى بعد أن ستره مرات ، وليبقين مضغة في الألسن ، وعبرة بين المحدثين ، ثم لِيَطْبَعَنَّ الله على قلبه . ثم قال : فهل يكون طالب من طلاب السنة يتهاون بالصلوات ، أو يتعانى تلك القاذورات ! وأنحس^(٧) منه محدث يكذب في حديثه ، ويختلق الفُشَار^(٨) . فإن ترقّت همته الفتية^(٩) إلى الكذب في النقل والتزوير في الطباق ، فقد استراح . وإن تعانى سرقة الأجزاء أو كشط الأوقاف فهذا لصٌ بسمت^(١٠) محدث . فإن كمل نفسه بتلوط أو قيادة^(١١) .

(١) كذا في النسخ ما عدل فيها (مظهر) .

(٢) كذا في النسخ . وفي ل (يسمعون فيفهمون ، ويرحلون فيفسرون ويحفظون) .

(٣) كذا في د . وفي ف : (ويحفظون) .

(٤) كذا في ف ، د . وفي ط (فيعلمون) .

(٥) كذا في النسخ . والمناسب (من) .

(٦) كذا في النسخ كلها ما عدل فيها (فيروى) :

(٧) كذا في د ، وط . وفي ل ، ف ، ز (أنحس) .

(٨) هو الهذيان . وهذه الكلمة لم ترد في كلام العرب .

(٩) كذا في ف . وفي د ، ل (المينة) وفي ط (المهينة) وفي ز (المعتنة) .

(١٠) كذا في ف ، د ، ل وفي ز (بسمة) وفي ط (ليس بمحدث) .

(١١) كذا في النسخ كلها ما عدل فيها (بتلوط اعتاده) .

فقد تمت له الإفادة . وإن استعمل من العلوم قسطاً ، فقد ازداد مهارةً وخَبَطاً .
إلى أن قال : فهل في مثل هذا الضرب خير إلا كثر الله منهم . انتهى . ولبعضهم :
إن الذي يروى ولكنه مجهول ما يروى وما يكتب
كصخرة تنبع^(١) أمواها^(٢) تسقى الأراضى وهى لا تشرب
وقال بعض الظرفاء فى الواحد من هذه الطائفة : إنه قليل المعرفة والخبرة
يمشى ومعه أوراق ومجبرة ؛ معه^(٣) أجزاء يدور بها على شيوخ وعجوز ،
لا يعرف ما يجوز ثماً^(٤) لا يجوز . وقال^(٥) :

ومحدث قد صار غاية علمه أجزاء يروىها عن الديماطى
وفلانة تروى حديثاً عالياً وفلان يروى ذاك عن أسباط
والفرق بين عزيزهم وعزيرهم^(٦) وافضح عن الخياط والخناط^(٧)
وأبو فلان ما اسمه ومن الذى بين الأمام ملقب بسناط^(٨)؟
وعلوم دين الله نادى جهرة : هذا زمان فيه طى بساطى
ومن العلماء طائفة استغرق حب النحو واللغة قلبها ، وملاً فكرها ، فأدّاها
إلى التقعر فى الألفاظ ، وملازمة حوشى اللغة ، بحيث خاطب^(٩) به من لا يفهمه .
ونحن لا نشكر أن الفصاحة فن مطلوب ، واستعمال غريب اللغة عزيز

-
- (١) كذا فى كل النسخ ما عدا ف فيها (تنبع) .
(٢) كذا فى كل النسخ ما عدا د فيها (أفواها) .
(٣) كذا فى د ، ف . وفى ط (ومعه) .
(٤) كذا فى ف ، د ، ز . وفى ط (يجوز وما لا يجوز) .
(٥) كذا فى د . وفى هامش ل (وقيل فى ذلك) .
(٦) كذا فى د . وفى ف (عزيزهم وغريزهم) وفى ل (عزيزهم وعزيرهم) وفى ز (غريزهم
وعزيرهم) وفى ط (عزيزهم وغريزهم) بفتح الفين من غريزهم .
(٧) كذا فى ف ، ل . وفى ز (الحياط والخياط) وفى ط (الخياط والخباط) وفى د
(الحياط والخناطى) .
(٨) كذا فى ز ، د ، ف . وفى ل ، ط (بساط) .
(٩) كذا فى ف ، د . وفى ط (خاطبت) ، وقوله خاطب أى الفرد منها .

حسن (١) ولكن (١) مع أهله ومن يفهمه ؛ كما حكى أن أبا عمرو بن العلاء قصده طالب ليقرأ عليه فصادفه بكلاء (٢) البصرة ، وهو مع العامة يتكلم بكلامهم ؛ لا يفرق بينه وبينهم . فنقص من عينه . ثم لما نجح شغل أبي عمرو بما هو فيه تبعه الرجل إلى أن دخل الجامع ، فأخذ يخاطب الفقهاء بغير ذلك اللسان فعظم في عينه ، وعلم أنه كلَّم كل طائفة بما يناسبها من الألفاظ . وهذا (٣) هو الصواب ؛ فإن كل أحد يُكلَّم على قدر فهمه ، ومن اجتنب اللحن ، وارتكب العالي من اللغة والغريب منها ، وتكلم بذلك مع كل أحد عن قصد فهو ناقض العقل . وربما أتى بعض هذه الطائفة من ملازمة هذا الفن ؛ بحيث اختلط بلحمهم ودمهم ، فسبق لسانهم إليه ، وإن كانوا يخاطبون من لا يفهمه ؛ كما أخبرنا أحمد بن علي الجزري (٤) إذناً ، عن محمد بن عبد الهادي عن الحافظ أبي طاهر السلفي ، أنبأنا المبارك بن عبد الجبار ، أنا عبد الكريم ابن محمد المحاملي ، أنا إسماعيل بن سعد المعدل ، ثنا محمد بن أحمد بن قِطَر (٥) السمسار ، قال : قال أبو العباس أحمد بن إبراهيم الوراق : ازدحموا علي عيسى (٦) بن عمر النحوي ، وقد سقط عن حمارة ، وغشي عليه . فلما أفاق ، وأخذ في الاستواء للجلوس ، قال : ما لکم تکا کأتم علی ، ولا تکا کؤکم علی ذی جنّة ، افرنقعوا عني . تکا کأتم : تجمعتن . وافرنقعوا : تنجّوا ببلغة أهل اليمن . فهذا الرجل كان إماماً في اللغة ، وكانت هذه الحالة منه لا تقتضي أنه يقصد هذه الألفاظ ، بل هي دأبه ، فسبق لسانه إليها ، وحكى أنه لما ولي

(١) كذا في د ، ط . وفي باقي النسخ لم يذكر لفظ (ولكن) .

(٢) الكلاء : حرفاً السفن وموضع بالبصرة — القاموس .

(٣) كذا في ف . وفي باقي النسخ (فهذا) .

(٤) كذا في كل النسخ ما عدا ط ففيها (الحريري) .

(٥) كذا في ف ، ل ، ط . وفي ز ، د (قطن) .

(٦) هو الإمام في النحو ، أخذ عن أبي عمرو بن العلاء ؛ وكان يتفهم في كلامه . مات

يوسف بن عمر العراقي أخذ عيسى بن عمر النحوى فطالبه^(١) بوديعة ذكر أن ابن هيرة الوزير أودعه إياها ، فأمر بضربه ، فقال ، والسياط تأخذه : والله إن كانت إلا اثنيابا^(٢) في أسيفاط^(٣) ، قبضها عشاروك . ولعيسى بن عمر من هذا النمط كثير . وحكى أن على بن الهيثم^(٤) كان لما غلب عليه من ذلك تأتية العامة أفواجا لسماع كلامه ، وأنه مر به مرة فارسي قد ركب حمرا^(٥) خلفه جحش ، ويده عذق قد ذهب بُسرُه إلا قليلا ، يقود به بقرة يتبعها عجّل لها ، فناده على بن الهيثم : يا صاحب البيدانة القمرء ، يتلوها تواب بيده شملول ، يطّبي به خزومة يقفوها عجّول ، أتقايض بعجولك جُحجُحا زهما ؟ قال : فالتفت إليه الفارسي ، وقال : يا بابا ا فارسي هم ندانم . البيدانة : الاتان ، والقمرء : البيضاء الوجه ، والتّولب : ولد الحمار ، والشملول : العذق ويطّبي : يدعو ، والخزومة : البقرة الوحشية ، والجُحجُح : الكبش ، والزهم السمين . فهذا على بن الهيثم إن لم يكن قصد المؤانسة لبعض الحاضرين ، ولم تكن ندرت^(٦) منه هذه الألفاظ عن غير قصد ، فهو خسيّف^(٧) العقل . ولا ينكر أنهم يأتون بالألفاظ الغريبة^(٨) لكثرة استعمالهم لها ، وغلبتها على ألسنتهم ؛ ظنا منهم أن كل أحد يعرفها ، وإلا فكيف يذكرونها في وقت لا يظهر فيه لاستعمالها سبب غير ذلك ؛ كما سقناه ، وكما يحكى أن أبا علقمة الواسطيّ عرض له مرض شديد ، فأتاه أعين الطبيب ، فسأله عن سبب^(٩)

(١) كذا في د ، ط . وفي ف لم تذكر لفظة (فطالبه) .

(٢) أثياب تصغير أثواب ، وأسيفاط تصغير أسفاط جمع سفسط ، وهو الظرف للشيء كالجوالق والقفنة .

(٣) كذا في ط ، ل . وفي د ، هـ ف (أن عيسى بن عمر) وكان على بن الهيثم من الكتاب كتب في ديوان المأمون وغيره . وكان كثير الاستعمال لمعوص اللغة . وانظر بغية الوعاة .

(٤) كذا في ف ، د . وفي ط (حمارة خلفها جحش) .

(٥) كذا في ط ، ل . وفي ف (بدون نقط) وفي د (بدرت) .

(٦) في ل (سخيّف) .

(٧) كذا في ط . وفي ف ، د بدون لفظة (الغريبة) .

(٨) كذا في ف ، ط . وفي د (عن علته) .

علمته ، فقال : أكلت من لحوم هذه الجوازل ، فطسيت طسأة ، فأصابني وجع
بين الوابلة إلى داية العنق ، فما زال يتمأى ويتمئى ، حتى خالط الخلب ،
وتألمت له الشراسيف . فقال له أعين الطبيب : خذ شرفقا وشرفا ؛ فزهزقه ،
وددقه . فقال أبو علقمة : أعدي ؛ فإنى ما فهمت . فقال الطبيب : قبح الله
تعالى أقلنا إلهاما لصاحبه . الجوازل : فراخ الحمام ، الواحد جَوَزَل ، والطسأة :
الهَيْضَة ، والوابلة : طرف الكتف ، وهو رأس العضد . ودأية العنق :
فقارها ، ويتمأى : يتمدد ، ويتمئى : يتراد ، والخلب بالكسر : حجاب
القلب ، ويقال : مضغة فوق الكبد . والشراسيف : غضاريف متصلة
بالأضلاع . وحكى ابن دريد ^(١) أن الأصمعي ذكر ^(٢) أن رجلا مشجوجا جاء
إلى صاحب الشرطة فشكا إليه ^(٣) أن امرأ شجّه . فأمر بإحضاره فلما حضر
سئل ، فأنكر . فقال المشجوج : لى أعرابى بالسوق يشهد لى . فلما حضر
الأعرابى سئل ، فقال : بينا أنا على كؤودن يضرزنى ، إذ مررت بوصيد
دار ، فإذا أنا بهذا الأخيشب ، يدع هذا دعاء متراسفا ، فعلاه بلسانه ، فقهقر
ثم بدّره بمثلها فقطر ، ثم أدبر ، وبرأسه جديع يشج نجيعا ^(٤) على كتفه . فقال
صاحب الشرطة : شجنى وأعفى من سماع شهادة هذا الأعرابى [قوله ^(٥)] :
الكؤودن : البرذون . يضرزنى : يحركى . الوصيد : الباب . الدع : الدفع
الملسأة : العصا ، الأخيشب : تصغير الأخشب ، وهو الغليظ . فقهقر : رجع
القهقرى . قطره : ألقاه على أحد قطريه ، وهما جانباه الشج الصب . النجيع :
الدم . الكتيد : ما بين السكاهل إلى الظهر ، وهو بُعيد مغرز العنق ^(٦) .

(١) كذا فى ف ، د ، ط . وفى ز (ابن يريد) .

(٢) كذا فى ف ، د . وفى ط (قال) .

(٣) كذا فى ط . وفى ف ، د (فشكا أن امرأ) بدون انقطة (إليه) .

(٤) فى د (يسبح نجيعا على كتفه) . وفى ل (يشج نجيعا على كبده) .

(٥) كذا فى ط وقد سقطت فى باقى النسخ .

(٦) ترك تفسير الجديع ، وهو مصغر جدع أى جرح وشق .

وذكر الزبير بن بكار أن بعض المتقربين كتب إلى وكيل له بتأحية
البصرة: احمِل إلينا من الخوزج^(١) والكنعد الممقورين^(٢) والأوز الممهوج^(٣)
ولحم مها اليد ما يصلح للتشير^(٤) والقديد . فكتب إليه وكيله: إن لم تكف
عن هذا الكلام بارت قرينك: فإن الفلاحين ينسبون من ينطق بهذه الألفاظ
إلى الجنون .

الكنعد: ضرب من سمك البحر، والشرارة: اليبس . وحكى أن لصاً
أراد فتح باب نحوى، فأحست به الجارية، فقالت لسيدها، فاطلع عليه،
وناداه: أيها الطارق، ما الذى أولئك بنا؟ إن أردت المال فعليك بابن
الخصاص، وفلان وفلان، أقواماً^(٥) ذوى مال . وإن أردت الجاه فعليك
بالقضاة . وإن أردت الكتابة فعليك بفلان، وفلان، أقواماً يكتبون . وإن
أردت اللغة والنحو فعليك بى . وإن كنت تبغى القرى فلج الدار، وادخل
المخدع، وأصيب من الزاد ما يمسك حشاشة رَمَقك . فرفع اللص رأسه،
وقال: لو كانت الجنة دارك ما دخلتها . وحكى أن طبيباً دخل إلى نحوى
مريض، فقال: ما كان أكلك أمس؟ فقال أكلت لحم عَطُط وساقة^(٦) خَرْتَق،
وجؤجؤ حَيْقَطَان^(٧) اقتنصه بازى . فلما كان فى الدجى أصبت منه معمة^(٨) فى
الحشا، وقرقرة فى المعى، فقال الطبيب للحاضرين: هذه خفة ارتفعت إلى
الدماغ، فأصلحوا الغذاء له قبل أن يُجن^(٩) . العَطُط . الجدى: الخرنق:

(١) كذا فى ط، ف، د، ز . وفى ل (الجوزة) ويبدو أن هذا محرف عن الجرى أو الجريث
وهو ضرب من السمك .

(٢) كذا فى ل، ف . وفى ط الموزين؛ وفى د المهورين . والمقور: المنقوع فى الخل .

(٣) هو المسترخى البطن .

(٤) كذا فى ل . وفى ف، د: (للتشير) وفى ط (للتسريز) .

(٥) منصوب بفعل محذوف .

(٦) كذا فى ل، ط . وفى ف: (تساقفة) . وفى د (ساقفة) بدون نطق .

(٧) فى ل: خيقطان . والصواب: أثبتناه .

(٨) كذا فى د، ل، ط . وفى ف (مقمة) .

(٩) كذا فى ف، د . وفى ط (يحف) .

ولد الأرنب ، الجؤجؤ : الصدر . الحَيْقُطَان : بالطاء المهملة : الدُرَّاج الذكر .
وحكى أبو القاسم الراغب ، قال : ابتاع تلميذ ليعقوب بن إسحق
الْكِنْدِيَّ جارية ، فاعتاصت^(١) عليه ، فشكا حالها إلى يعقوب فقال له : جئني
بها . قال فلما حضرت عنده قال لها : يا هذه^(٢) اللعوبة : ما هذه الاختيارات^(٣)
الدالات على الجهالات ؟ أما علمت أن فرط الاعتياصات ، من الموقفات على
طالبي المودات ، مؤذونات بعدم المعقولات ! فقالت الجارية حيّاها الله وبياها :
أما علمت أن هذه العشونات^(٤) المنتشرات على صدور ذوى الرقاعات محتاجات
إلى الموااسي الحالقات ! فقال يعقوب : لله درّها ! لقد قسمت الكلام تقسيما .
واعلم أن الحكايات فى هذا الباب تخرج عن حد الحصر ، وتقتضى الخروج
من الجِدِّ إلى ضرب من الهزل والحاصل أن ما كان الحامل عليه غلبة^(٥)
هذه الصناعة مذهب من جهة أن ذا الصناعة كان ينبغي أن يقوم قلبه^(٦) ودينه
قبل أن يقوم ألفاظه . فاللحن فى اللفظ ولا اللحن فى الدين . وقد غلب على
كل ذوى فنّ فئهم ، بحيث سأل بعضهم أبا طاهر الزيادى^(٧) وهو فى النزاع عن
ضمان الدرك^(٨) . وحكاية أبى زرعة فبمن كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل
الجنة شهيرة ، وأنه سئل وهو فى النزاع عن هذا الحديث فسأقه بإسناده إلى أن
وصل إلى لا إله إلا الله ، ومات قبل أن يقول : دخل الجنة . فلقد^(٩) نفعه

-
- (١) كذا فى د . وفى هامش ل (فاغتاضت) وفى غيرها (فاغتالط) .
(٢) كذا فى ف . وفى د (قال لها بالعونة) بإسقاط هذه ، وفى ط (بالعوبة) بإسقاط هذه أيضاً .
(٣) كذا فى ف . وفى د (الاختبارات) وفى ط (الإخبارات) .
(٤) كذا فى محاضرات الراغب . وفى ف ، د العشوبات ومراد بالعشونات والقشوبات الشعر
فى البدن وإن كان العشون فى الأصل لشعر اللحية .
(٥) كذا فى ف ، د . وفى ط سقطت لفظة (غلبة) .
(٦) كذا فى د ، ز ، ط . وفى ف نفسه .
(٧) انظر ترجمته فى طبقات الشافعية ص ٨٢ ج ٣ ، والقصة فيها أنه سئل عن ضمان الدرك وهو
فى النزاع ، فقال : إن قبض الثمن فيصح ، وإلا فلا يصح . قال : لأنه بعد قبض الثمن يكون ضمان
ما وجب . قال ابن السبكي عقب هذا : وهذا هو الصحيح فى المذهب .
(٨) هو أن يضمن الثمن للمشتري مثلاً إذا خرج مقابله مستحقاً أو معيباً ورد .
(٩) كذا فى د ، ط . وفى ف بسقوط لفظ (فلقد) .

الله تعالى بعلم الحديث وحكى أن دُبَاغاً كان آخر كلامه بعد أن رُدَّ عليه لفظ الشهادة مراراً ، كلاماً يتداوله الدُّبَاغُونَ ؛ وبعض الأمراء كان آخر كلامه : هاتوا القباء الفلاني ؛ وَمَنْ أَكْثَرُ مِنْ شَيْءٍ ظهر على فلتات لسانه ، وكل إناء بالذى فيه ينضح . سمعت صاحبنا الشيخ تاج الدين ^(١) المراكشي رحمه الله تعالى ، يحكى عن الشيخ ركن الدين بن القوبع ^(٢) أن شحاذاً سأله وهو في الطريق ، فأجابه : يفتح الله . فقال : يا شيخ قد فتح الله تعالى عليك ، إذا جادت الدنيا عليك فجد بها . فوقف ابن القوبع ، فقال : ولم قلت : إنها جادت عليّ ! وإن سلَّنا أهما جادت فلم قلت : إنه يجب عليّ ^(٣) الجود بها ! وإن سلَّنا أنه يجب فلم قلت : إني ما جدت ، وما انحصرت القسمة فيك . فهذا ابن القوبع غلبت عليه المناظرة ، فاستعملها مع حروفش لا يدري ما يقال له . وكذلك حكى لنا بعض مشايخنا عن الشيخ العلامة صفي الدين ^(٤) الهندي إمام المتكلمين في عصره أنه جاءه جمل زيت ، فأمسكه المكاسون في الطريق على المكس ، فكتب إليهم كتاباً يُتَعَجَّبُ مِنْ ذِكْرِهِ ، مشتملاً على أنواع الجدل والسير والتقسيم . وأما ما كان الحامل عليه مجرد التقعر في اللفظ فهو رُعوثة . وقد كتب الإمام أبو عمرو ^(٥) بن دحية إلى السلطان الملك الكامل محمد بن أبي بكر بن أيوب صاحب مصر يهنئه بعافيته من مرض أصابه كتاباً كله من هذا النمط . ومنهم من شغل نفسه بالالفاظ ، وأعرض عن

-
- (١) هو محمد بن إبراهيم ، توفي سنة ٧٥٢ هـ وانظر ترجمته في طبقات الشافعية ص ٢٣٢ ج ٥٥ .
 (٢) هو محمد بن عبد الرحمن التونسي المالكي . حضر البلاد المصرية وأقام بها واشتغل عليه خلق كثير . وله ترجمة واسعة في الدرر الكامنة ص ١٨١ ج ٤ . ومن كلام ابن حجر : « والقوبع على الألسنة بضم القاف . ونقل ابن رافع عنه أنه قال : إنه بفتح القاف ، وذكر عن بعض المنظرين أن القوبع طائر » نقول : وهو كذلك في القاموس .
 (٣) كذا في ط ، د ، وف (يجب الجود على بها) .
 (٤) هو محمد بن عبد الرحيم ، المتكلم على مذهب الأشعرى . توفي بدمشق سنة ٧١٥ هـ . وانظر ترجمته في طبقات الشافعية ص ٢٤٠ ج ٥ .
 (٥) هو عثمان بن الحسن السبكي . ولي مشيخة السكاملة بعد أخيه . وكانت وفاته سنة ٦٢٤ هـ وانظر الشذرات ص ١٦٨ ج ٥ .

معانيها، بحيث انتهى به الحال إلى ضرب غريب من الخطأ. قال أبو حيَّان التوحيدى:
إياك أن تقيس اللغة؛ فإنى^(١) رأيت نبيهاً من الناس وقد سئل عن قوم، فقال:
هم خروج. فقيل: ما تريد بهذا؟ فقال قد خرجوا. فكانه أراد: خارجون.
فقيل: هذا ما سمع. قال: كما قال الله تعالى «إذ هم عليها قعود»، أى قاعدون
فَضَحِكَ به. وسئل أبو الفرج البغدادى: هل يقال لعارف اللغة: لغوى بفتح
اللام أو ضمها؟ فقال: بفتحها: أما سمعتم قوله تعالى^(٢) «إنك لغوى،
فضحكوا منه». وأعرّب بعضهم قوله تعالى: «قِيَّماً» من قوله: «ولم يجعل له
عوجاً قِيَّماً»، صفةً لعوجاً، وهذه غفلة. كيف يكون المَعْوَجُ قِيَّماً! وإنما «قِيَّماً»،
حال من محذوف. أى أنزله قِيَّماً أو من الكتاب. وذكر آخرون أن قوله:
«أن نفعل»، من قوله تعالى «يا شعيب أصولك تأمرك أن تترك ما يعبد آباؤنا
أو أن نفعل فى أموالنا ما نشاء»، معطوف على أن تترك. وذلك باطل؛ لأنه لم
يأمرهم أن يفعلوا ما يشاءون، وإنما هو عطف على ما هو معمول للترك.
والمعنى: أن تترك أن نفعل. وقال بعضهم فى قوله تعالى «يحسبهم الجاهل
أغنياء من التعفف» إن «من» متعلقة بأغنياء، وهو فاسد، لأنه متى ظنهم ظاناً
أغنياء من التعفف علم أنهم فقراء من المال، فلا يكون جاهلاً بجاهلهم، وإنما
هى متعلقة بحسب وهى للتعليل. وقال بعضهم فى قول الشاعر:

أقول لعبد الله لما سقاؤنا ونحن بوادى عبد شمس وهاشم

هذا لحن؛ فأين فعلاً لما؟ وعلام نصب الله؟ ولأى شىء فتح^(٣) الدال
من عبد؟ وجوابه: أنه لم يتأمل، أما عبد قترخيم عبدة. وأما الله فنصب على
الإغراء. وأما فعلاً لما: سقاؤنا مرفوع بفعل محذوف فسرّه بقوله: وهى

(١) كذا فى ف. وفى د (فلقد رأيت).

(٢) كذا فى ف. وفى د زيادة (لموسى عليه السلام).

(٣) المعروف فى كتب النحو أن (عبد) مكسور الدال وهو مضاف إلى لفظ الحلالة. وهذا البيت أورده الأشموني فى الإضافة، ولم يذكر فتح الدال كما ذكر المؤلف.

أى ضعف . والجواب محذوف تقديره : قلت ، بدليل قوله : أقول . وقوله :
شَمَّ فعل أمر من قولك شَمَّت البرق إذا نظرت إليه . والمعنى أقول لما سقط
سقاؤنا ، ونحن بوادى عبد شمس ، قلت لعبدة أحذر الله شَم البرق . وقريب
من هذا البيت قول الشاعر :

أقول لعبد الله لما لقيته ونحن على جنب الظبا والقناطر
القنا : الرماح . وطر : فعل أمر من الطيران . ونظير هذين البيتين
في الإلغاز :

عافت الماء في الشتاء فقلنا برّديه ، تصادفيه سخينا
يقال كيف تبرده ، فتصادفه سخينا وهذه غفلة ؛ والأصل : بل رديه .
ثم كتب جملة واحدة لأجل الإلغاز . وقول الشاعر :

لما رأيت أبا يزيد مقاتلا أدع القتال وأشهد الهيجاء
يقال : أين جواب لما ؟ وبم انتصب أدع ؟ وهذه غفلة ؛ فالأصل :
لن ما ، أدغمت النون في الميم للتقارب ، ووصلا في الخط ، وحقهما أن يكتبتا
منفصلين . وأما انتصاب أدع فبلن ، وما الظرفية وصلتها ظرف له ، فاصل
بينه وبين لن للضرورة . فيسأل حيثئذ : كيف يجتمع قوله : لن أدع القتال
مع قوله : لن أشهد الهيجاء ، والهيجاء مُشْتَجِر الحرب ؟ والجواب أنّ أشهد
ليس معطوفا على أدع بل نصبه بأن مضمرة وأن والفعل عَطَف على القتال ،
أى لن أدع القتال وشهود الهيجاء ؛ على حد قول الشاعر :

ولبس عباءة وتقرّ عيني أحبّ إلى من لبس الشُّفوف
وقول الشاعر :

ويح من لام عاشقا في هواه إن لومَ المحب كالإغراء
يقال : كيف ارتفع الإغراء بعد كاف التشبيه ؟ والجواب : أن الكاف
ضمير المخاطب ، متصلة بالمحب ، والآلف واللام في المحب بمعنى الذى أحب ،

والأغراء خبر إن . والمعنى إنَّ لوم المحبك هو الإغراء ، وحق الكاف أن
توصل في الخط بالحب ، ولكن فصلت للأغز . وقول الشاعر :

يا صاحب ملك الفؤاد عشية زار الحبيب بها خليل نأى
لما بدا لم أدر : بدر دُجَّة أم وجه من أهواه طرفي رأتى

يقال كيف جرَّ صاحب وهو منادى مفرد ؟ وجوابه أنه يا صاحب مرخم ،
و « بن » فعل أمر من بان يبين إذا فارق ، وكتبت هكذا على نحو صاحب لأجل
الإلغاز . ويقال : علام نصب بدر من قوله : بدر دجنة ، وما قبل الاستفهام
لا يعمل فيه ؟ وجوابه أنه منصوب براء . والمعنى : لم أدر ^(١) طرفي رأتى
بدر دجنة أم وجه من أهواه . وقول الشاعر :

لا تقنطنَّ وكن في الله محتسبا فيينا أنت ذا ^(٢) يأس أنى الفرجا

الفرج مفعول ، العامل فيه اسم الفاعل وهو محتسب . والمعنى : وكن في
الله محتسبا الفرج ، فيينا أنت ذا ^(٣) يأس أنى . وقال العباس بن مرداس :
ومن قبلُ آمنا وقد كان قومنا يصلون للأوثان قبلَ محمدآ

قال لى مرة طالب نحوى : كيف نصب محمدآ وهو مضاف إليه ؟ فقلت
له : قبل أن أجيبك أسألك : هل صلى المسلمون قط لمحمد صلى الله عليه وسلم
أو لربه تعالى ؟ فقال : بل لربه تعالى . فقلت : ففكر ؛ فإن أحدا لم يصل قط
للنبي صلى الله عليه وسلم لا قبل الأوثان ولا بعدها . والجواب أن آمنا في
البيت معناه : صدقنا ، ومحمدآ مفعول آمنا ، أى ومن قبل صدقنا محمدآ ، وقد كان
قومنا يصلون للأوثان قبل ؛ وقبل مقطوعة عن الإضافة بنيت ^(٣) على الفتح ،

(١) كذا في الأصول . وقد يكون الأصل : أطرفى . أو ورد هذا بحذف همزة الاستفهام
مع نيتها .

(٢) كذا بالنصب ، ولا وجه له . وقد يكون الأصل : ذو يأس .

(٣) كذا . والمعروف في النحو أن هذه فتحة نصب لا بناء ، وأن المضاف إليه حذف مع
نية لفظه ومعناه .

وهي لغة ؛ واللغة العالية بناؤها على الضم . وقيل : أراد النكرة ، أى قبلا ، ثم حذف التنوين مضطراً . وقال الآخر :

فرعون مالى وهامان الآلى زعموا أنى بخلت بما يعطيه قارونا
(فر) فعل أمر من وفر له العطية : ومنه عطاء موفور . وعونة : امرأة رتحمها ، فقال : عون . والمعنى : أعط عونة مالى . وأما وهما فدعاء من وهى ، يهى إذا ضعف . ومان ^(١) جمع مائة : البطن وهى أسفل السرة . يقول ضَعْفُ مان الذين زعموا أنى بخلت . وقارون : المفعول الثانى ليعطيه ، والأول : الهاء العائدة إلى ما الموصولة وفاعل يعطيه مضمّر للعلم به كأنه قال : يعطيه الله قارون . واعلم أن هذا بحر لا ساحل له وقد نظمت ^(٢) أبياتا فى أنواع من العلوم منها :

من قال : إن الزنى والشرب مصلحة ولم يقل : هو ذنب غير مغتفر ؟
من قال : سفك دماء المسلمين على الصلاة أوجبه الرحمن فى الزبر ؟ ^(٣)
من قال : إن نكاح الام يقرب من تقوى الإله مقالا غير مبتكر ؟ ^(٤)
من كان والدُها ابنا فى الأنام لها وذاك غير عجيب عند ذى النظر ؟
من الفتاة لها زوجان ما برحا تزوجت ثالثاً حلاً بلا نكر ؟
من أبصرت فى دمشق عينه صنما مصوراً وهو منحوت من الحجر ؟
إن جاع يأكل وإن يشرب تضلّع من ماء تمير زلال تمّ منهم ^(٥)
ولو أخذنا فى الإكثار من هذا وشرحه لخرجنّا عما نحن بصدده . والغرض أن هذه الطائفة راعت الألفاظ ، فأثبتت من قبل المعانى ، كما راعت طائفة المعانى ، فأثبتت من قبل الألفاظ . ألا ترى إلى قول بعضهم فى « وثمود فا أبى » ، إن (ثمود) مفعول مقدّم ، وهذا خطأ ؛ فإنّ لما النافية الصدر

(١) ومان ومائة مخففاً مأن ومائة كما يقال راس فى رأس ، وهو إبدال قياسى .

(٢) كذا فى نسخة فى هامش ل . وفى سائر الأصول : نظمت .

(٣) كذا فى ف ، ل ، ز ، و فى د ، ط (الزمر) .

(٤) كذا فى النسخ ما عدا د فيها (متكرر) .

(٥) أورد المؤلف فى الطبقات بعض هذه الأبيات وزاد عليها فى ص ٢٢٩ ج ٥ .

ولا يعمل ما بعدها فيما قبلها . وقال بعضهم في « قليلا ما يؤمنون » إن ما بمعنى مَنْ ، ولو كان كذلك لرفع قليل على أنه خبر . والأمثلة في هذا أكثر من الأول . ومنهم من تعمق في الأدب ، فصار أكثر كلامه مسجوعا ، ثم انتهى الحال به إلى أن وقع في الكنيف فجاءوه بكنافين . فكلّله أحدهما لينظر : أهو حي ؟ فقال : اطلبيا لي حبلا دقيقا ، وشدّاني شدا وثيقا ، واجذباني جذبا رقيقا . فقال أحدهما : أنا والله لا أنقذه ؛ فإنه في الخرا إلى الحلق ، ولا يدع الفضول . حكّاها صاحب البصائر^(١) .

ومنهم من غلب عليه معرفة الأوزان ، حتى حكي أن امرأة جاءت إلى عروضيّ بقال ؛ فقالت : أريد بذى القطعة زيتا وبذى البيضة حنّا^(٢) فشغله كلامها عن مبايعتها ، وأخذ يقطّعه ، ويقول : وبذى القطعة زيتا . فاعلاتن فاعلاتن .

فقالت المرأة : أمّه الفاعلة . وسبّته ، وانصرفت .

فهذه تنبيهات على ما يستقمح ويُستهجن من علماء هذا الزمان . والغرض بها أنه ينبغي لكل ذي فنّ أن يتخذ سبيلا إلى النجاة ، ومِرْقاة إلى الزُلْفى عند الله تعالى لا صنعة يتهوّس بها [بل مِرْقاة^(٣)] يتوصل بها إلى الملاء الأعلى . وحيث غنمنا العلماء فلنخص أرباب الوظائف بالذكر .

المثال السابع والأربعون

المفتى

وقد خصّ جماعة كتاب أدب الفتيا بالتصنيف ، وذكر الفقهاء مالا طائل في إعادته ؛ لكننا نلبه على ما أكثر في بعض المفتين فنقول :

(١) كذا في ف . وفي د (الفخائر) .

(٢) في ل (جينا) .

(٣) أثبت هذه الزيادة في ف . وخلص منها نسخة د .

منهم من يسهل أمر الشرع ، ويتناهى ^(١) إلى أن يُفتى ببعض ما لا يعتقد من المذاهب ، ويرخص لبعض الأمراء ما لم يرخص فيه لعموم الخلق بعض العلماء ؛ فيقول مثلاً لمن سأله عن انتقاص الوضوء بمس الذكر : لا ينتقض عند أبي حنيفة ، وعن لعب الشطرنج ، وأكل لحوم الخيل : حلال عند الشافعي ، وعن مجاوزة الحد في التعزيرات : جائز عند مالك ، وعن بيع الوقف إذا خرب وتعطلت منفعته ، ولم يكن له ما يعمر به : حلال عند أحمد بن حنبل ، وهكذا . فليت شعري : بأي مذهب أفتى هذا المفتي ؟ وعلى أي طريقة جرى ؟ وبأي إمام يتعلق ؟ فلقد ركب لنفسه بمجموع هذه الأمور مذهباً لم يقله أحد . فإن قلت : أليس ذهب بعضهم إلى جواز تتبع الرخص ؟ قلت : ذلك على ضعفه لا يوجب إغراء السَّفلة بدين الله تعالى ، وتخصيص الأمراء دون غيرهم . وقائل هذه المقالة يخصصُ بها من يشاء ، ولا يعتقدُها أيضاً ؛ فإنه لو اعتقدُها لم يخصَّ بها . وهذا من علامات الاستهانة بدين الله تعالى ؛ نعوذ بالله من الخذلان . وما هذا المفتي إلا ضالٌّ ، خارق لحجاب الهيبة ، مسقط لأبهة الشرع ، مفسد ^(٢) لنظام الدين . أنشِدت لبعض سفهاء الشعراء :

الشافعي من الأئمة قائل :	اللعب بالشطرنج غير حرام
وأبو حنيفة قال — وهو مصدق	في كل ما يروى من الأحكام — :
شرب المثلث والمرّبع جائز	فاشرب على أمن من الآثام
وأباح مالك الفِقاح ^(٣) تكررّما	في ظهر جارية وظهر غلام
والحبر أحمد حل جلد عميرة	وبذاك يستغنى عن الأرحام ^(٤)
فاشرب ولطوازن وقامروا حتيج	في كل مسألة بقول إمام

(١) كذا في د . وفي ف (يتباهى) .

(٢) كذا في د . وفي ف : مسقط .

(٣) هو إصابة الفقة ، وهي الدبر . وهذا كناية عن اللواط .

(٤) حل جلد عميرة أي أحل . وجليد عميرة كناية عن الاستهانة بالبدن .

فقلت : رأيي في مثل هذا الشاعر أن يُضرب بالسياط ، ويطاف به في الأسواق . فقمحه الله تعالى وأخزاه ! لقد اجتراً على أئمة المسلمين ، وهداة المؤمنين . وقد اقترى على مالك فيما عزاه إليه ، وعلى الكل في تسمية الشطرنج قماراً ، وإطلاق الزنا واللواط والشرب على ما سمَّاه ؛ ومن هذه حاله يشول — والعياذ بالله تعالى — إلى الزندقة . ولعل الأصل في هذا قول أبي نواس :

أباح العراقيّ النبيذ وشربه وقال : حرامان المدامة والسكر
وقال الحجازي : الشرايان واحد فخلت لنا من بين قوليهما الخمر
سأخذ من قوليهما طرفيهما وأشربها لا فارق الوازر الوزرُ

ومعنى هذا أن أبا حنيفة — وهو العراقي — أباح النبيذ إذا لم يسكر ، وحرّم المسكر مطلقاً : نبيذاً كان أو خمراً ، والخمر مطلقاً : مسكراً كان أو غير مسكر ، وأن الشافعيّ — وهو الحجازي — قال : الشرايان واحد : النبيذ والخمر فيحرم قليل كل منهما وكثيره ، فركّب هو من بين قوليهما قولاً ثالثاً ، لكنه رافع للجمع عليه ؛ وهو وفاق الشافعي على أن الشرايين واحد ، لكن لا في الحرمة بل في الحل . فهو مع أبي حنيفة في تحليل النبيذ غير المسكر ، ومع الشافعي في أن المسكر والخمر مثل النبيذ ، ومخالف له في حرمة المثلث : فيقول : مثله ، لكن في الحل ؛ والشافعي رضى الله تعالى عنه يقول : مثله لكن في الحرمة . فهذا أبو نواس لم يقصد إلا نوعاً من المجنون الذي لم يخلُ عنه الأدباء ؛ ولكن المجنون في هذا الباب قبيح جدّاً ؛ لأنّه تلاعب بدين الله تعالى .

ومنهم طائفة تصلّبت في أمر دينها ؛ فجراها الله تعالى خيراً : تنكر المنكر وتشدّد فيه ، وتأخذ بالأغلظ ، وتتوقى مظانّ التهم ؛ غير أنها تبالغ ، فلا تذكر لضعفة الإيمان من الأمراء والعوام إلا أغلظ المذاهب ، فيؤدى ذلك إلى عدم انقيادهم وسرعة نفورهم .

فمن حق هذه الطائفة الملائطفة ، وتسهيل ما في تسهيله فائدة لمثل هؤلاء

إلى الخير إذا كان الشرع قد جعل لتسهيله طريقا ؛ كما أن من حقها التشديد فيما ترى أن في تسهيله ما يؤدي إلى ارتكاب شيء من محرمات الله تعالى .
فقد روى أن سائلا جاء إلى عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ، فسأله : هل للقاتل توبة ؟ فقال : لا توبة له . وسأله آخر ، فقال : له توبة . فسئل ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عن ذلك ، فقال : أما الأول فرأيت في عينيه إرادة القتل ، فمنعته . وأما الثانى فجاء مستكينا قد قتل فلم أقنطه . قلت : ومن ثم قال الصيمرى : إن سأله سائل ، فقال : إن قتلْتُ عبدي فهل علىَّ قصاص ؟ فواسع أن يقول : إن قتلته قتلناك ؛ فعن النبي صلى الله عليه وسلم : « من قتل عبده قتلناه ، ولأن القتل له معان ^(١) . وهذا كاه إذا لم يترتب على إطلاقه مفسدة .
ومنهم من يتسرع إلى الفتيا معتمدا على ظواهر الالفاظ ، غير متأمل فيها ؛ فيوقع الخلق في جهل عظيم ، ويقع هو في ألم ^(٢) كبير ، ربما أداه ذلك إلى إراقة الدماء بغير حق . وأنا أذكر أمثلة مما تصلح للامعاذ ، منبها بها على أخواتها ^(٣) . فمنها ما حكى أن شخصا أحب الاجتماع بالمؤمنين ، فأعياه السعى في ذلك ، ولم يصل إليه . فقام في ملائمة الناس ، وقال : أيها الناس ، اثبتوا ^(٤) على : فليست بسائل . اعلّموا أن عندي ما ليس عند الله ، ولى ما ليس لله ، ومعنى ما لم يخلق الله ، وإلى أحب الفتنة ، وأكره الحق ، وأقول : إن اليهود قالت حقا ، وإن النصارى قالت حقا ، ومعنى زرع يلبث بغير بذر ، وسراج يضىء بغير نار ، وأنا أحمد النبي ، وأنا ربكم ، أرفعكم وأضعكم . فقاموا إليه ، وكادوا يأتون على نفسه ، وقالوا : لا كفر فوق هذا الكفر ، وصاروا ^(٥) به إلى المؤمن . فلما مثل بين يديه قال له : ما الذى قلت ؟

(١) كذا في د . وفي ف . معنيان .

(٢) كذا في ف . وفي د (في أم) .

(٣) كذا في ف . وفي ط (على أجوبتها) .

(٤) كذا في ف . وفي ط (أنيبوا) .

(٥) كذا في ط . وفي ف سقطت لفظة (به) .

قال : لى حاجة إلى أمير المؤمنين ، ولم أصل إليه ، وعرفت أنى إن أقل هذ
أمثل بين يديه . وأعاد القول ، ثم أخذ يتأول ، فقال له : أما قولى : عندى
ما ليس عند الله ، فعندى الظلم والجور . وأما قولى : لى ما ليس لله ، فإن لى
صاحبة وولدا ، وليس لله تعالى صاحبة ولا ولد . وقولى : ومعى ما لم يخلق
الله : القرآن . والفتنة : المال والولد . والحق الموت . والزرع بغير بذر : شعر
الرأس . والسراج المضى . بلا نار : العينان . والحق الذى قالته اليهود
والنصارى : ما أشار الله إليه بقوله « وقالت اليهود ليست النصارى على شيء »
وقالت النصارى ليست اليهود على شيء ، أما قولى : وأنا أحمد النبى فالنبى
منصوب على المفعولية ، بأحمد ، وأحمد فعل ، فأنا أحمد نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم
وأشكره . وأنا ربكم : صاحبكم ، أرفع ذلك الكم ، وأضعه . فاستحسن
المأمون ذلك منه ، وقضى حاجته ، وأصغى إلى كلامه . قلت : وهذا الإطلاق
الذى أطلقه هذا الملغز^(١) مستهجن مستقيم ؛ ولا يجوز عندى ذكره مطلقا ؛
لما فيه من إيهام الكفر . ولكن بتقدير إطلاقه لا ينبغى الإقدام على التكفير
من غير تأمل وتفحص .

المثال الثامن والأربعون

المدرس

وحق عليه أن يُحسن إلقاء الدرس ، وتفهمه للحاضرين . ثم إن كانوا
مبتدئين فلا يلقي عليهم^(٢) ما لا يناسبهم من المشكلات ، بل يدرّهم ويأخذهم
بالأهون فالأهون ، إلى أن ينتهوا إلى درجة التحقيق . وإن كانوا منتهين
فلا يلقي عليهم^(٣) الواضحات ، بل يدخل بهم فى مشكلات الفقه ، ويخوض بهم

(١) كدافى ف . وفى د (المكفر)

(٢) كدافى ف . وفى ط (إليهم)

عَبَّاه الزاخر . ومن أقبح المنكرات مدرّس يحفظ سطرين أو^(١) ثلاثة من كتاب ، ويجلس يلقيها ثم ينهض ؛ فهذا إن كان لا يقدر إلا على هذا القدر فهو غير صالح للتدريس ، ولا يحلّ له تناول معلومه ، وقد عطلّ الجهة ؛ لأنه لا معلوم لها . ويلبغى ألا يستحق الفقهاء^(٢) المنزلون^(٣) معلوماً ؛ لأن مدرّستهم شاغرة عن مدرّس . وإن كان يقدر على أكثر منه ، ولكنه يسهّل ويتأول فهو أيضاً قبيح ؛ فإن هذا يطرّق العوام إلى روم هذه المناصب ؛ فقل أن يوجد عامي لا يقدر على حفظ سطرين . ولو أن أهل العلم صانوه ، وأعطى المدرس منهم التدريس حقه : فجلس ، وألقى جملة صالحة من العلم ، وتكلّم عليها كلام محقّق عارف ، وسأل وسُئِل ، واعترض وأجاب ، وأطال وأطاب : بحيث إذا حضره أحد العوام أو المبتدئين أو المتوسطين فهم من نفسه القصور عن الإتيان بمثل ما أتى به ، وعرف أن العادة أنه لا يكون مدرّس إلا هكذا والشرع^(٤) كذلك لم تطمح نفسه في هذه المرتبة ، ولم تطمع العوام بأخذ وظائف^(٥) العلماء . فإذا رأينا العلماء يتوسعون في الدروس ، ولا يعطونها حقها ويبطلون^(٦) كثيراً من أيام العمالة ، وإذا حضروا اقتصروا على مسألة أو مسألتين من غير تحقيق ولا تفهيم ، ثم رأيناهم يقلقون من تسلط من لا يصلح على التدريس^(٧) ، ويعييون^(٨) الزمان وأولياء الأمور ، فالرأى أن يقال لهم : أنتم السبب في ذلك ؛ بما صنعتُم ؛ فالجناية منكم عليكم ومن المهمات

(١) كذا في ط . وفي ف بدون (أو) .

(٢) يريد الطلاب المرتبين في المدرسة .

(٣) كذا في ل . وفي غيرها (المذكورون) أو المنزلون : المليون .

(٤) يريد علم الفقه . وقد يكون (الشرح) .

(٥) في نسخة في هامش ل (مراتب) .

(٦) كذا في د ، ل . وفي ف (يبطلون) .

(٧) كذا في د ، ل . وفي ف (على المدارس) وهذا متعلق بقوله (تسلط) .

(٨) في ل (يعييون) .

مدارس وقفها واقفوها على الفقهاء والمتفقهة ، والمدرس من الشافعية أو الحنفية أو المالكية أو الحنابلة ، فيلقى المدرس في هذه المدرسة تفسيراً أو حديثاً أو نحواً أو أصولاً أو غير ذلك ، إما لقصوره عن الفقه ، أو لغرض آخر . وعندى أن الذمة لا تبرأ في المدرسة الموقوفة على الفقهاء إلا بإلقاء الفقه . فإن كان هذا المدرس لا يلقى الفقه رأساً فهو آكل حرام . وكذلك نقول في مدرسة التفسير إذا ألقى مدرستها غير تفسير ، ومدرسة النحو إذا ألقى مدرستها غير نحو . والأحوط في هذا كله الإلقاء من الفن الذي بنيت له المدرسة ؛ فإن الواقف لو أراد غير ذلك لسمى ذلك الفن . وإن كان يلقى الفقه مثلاً في مدرسة الفقهاء غالباً ، ولكنه ينوع في بعض الأيام : فيذكر تفسيراً أو حديثاً أو غيره من العلوم الشرعية لقصد التنويع على الطلبة وبعث عزائمهم ، فلا بأس ؛ غير أن الأحوط خلافه . وهذا كله بشرط أن يكون المسمى بالمدرسة أهل نوع خاص ؛ كما مثلنا في مدرسة وقف علي مدرس شافعي أو حنفي مثلاً ، وفقهاء ومتفقهة من أهل ذلك المذهب ، وألاً يكون شرط في المدرس معرفة غير ذلك الفن . فإن شرط فيه فنونا كما في مدارس كثيرة في ديار مصر ، وفي بلاد الشام وغيرها يقفها الواقف على طائفة مذهب معين ، ويشترط في المدرس أن يعرف مثلاً من العلوم كذا وكذا ؛ كالتفسير والحديث وغيرهما : وما^(١) هذا شأنه رأي فيه أن ينوع المدرس فيذكر من تلك العلوم التي اشترط فيه معرقها ؛ فإنه لولا إرادة ذكرها لما اشترطت فيه . وكان يمكن أن يقال : إنها اشترطت فيه ليكون أكمل في استعداده للأجوبة عن الاعتراضات التي لعلها تعترضه^(٢) . ولكن الأحوط ما ذكرناه .

(١) كذا . وكان الأصل (فا) ليكون هو وما بعده جواب الشرط .

(٢) كذا في ط . وفي ف (تعرضه) وفي نسخة في هامش ل (تعرض له) .

المثال التاسع والأربعون

المعيد^(١)

المعيد عليه قدر زائد على سماع الدرس : من تفهم بعض الطلبة ، ونفعهم ، وعمل ما يقتضيه لفظ الإعادة . وإلا فهو والفقير سواء : فما يكون قد شكر الله تعالى على وظيفة الإعادة .

المثال الخمسون

المفيد

عليه أن يعتمد ما يحصل به في الدرس فائدة : من بحث زائد على بحث الجماعة ونحو ذلك . وإلا ضاع لفظ الإفادة وخصوصيتها^(٢) . وكان أخذه العوض في مقابلتها حراما .

المثال الحادي والخمسون

المنتهى من الفقهاء

عليه من البحث والمناظرة فوق ما على من دونه . فإن هو سكت وتناول معلوم المنتهى لكونه في نفسه أعلم من الحاضرين فما يكون شكر نعمة الله تعالى حق شكرها .

المثال الثاني والخمسون

فقهاء المدرسة^(٣)

وعليهم التفهم على قدر أفهامهم ، والمواظبة إلا بعذر شرعي . ومن أقبح

(١) إن وظيفة المعيد المكتوبة هي واسمها من نظم الدراسة الإسلامية تؤيد أن نظم التعليم الإسلامية كانت في أوج من الاتقان والرقى .

(٢) في ل (خصوصها) .

(٣) في ل : (المدرسة) — يضم الدال — ويريد الفقهاء الطلاب ، كما سبق ذلك .

ما يرتكبونه ، تحدث^(١) بعضهم مع بعض في أثناء قراءة الجزء من الربعة ، فلا هم يقرءون القرآن ، ولا هم يسلمون^(٢) من اللغو في الكلام . فإن انضم إلى ذلك أن قراءة الجزء شرط الوقف عليهم ، وأن حديثهم في الغيبة فقد جمعوا محرمات . ومنهم من لا يصغي للبإدح ، وربما فتح كتابا ينظر فيه ، ولا ينظر لما يقوله المدرس ؛ بل يجلس بعيداً عنه بحيث لا يسمعه . وهذا لا يستحق شيئاً من المعلوم ، ولا يفيده أن يطالع في كتاب وهو في الدرس ؛ فلو اكتفى الواقف منه بذلك لما شرط عليه الحضور .

المثال الثالث والخمسون

قارىء العشر

وينبغي أن يقدم قراءة العشر . فيكون قبل الدرس ، وعقيب فراغ الربعة إذا كان الدرس فيه ربعة تدور ؛ كما هو الغالب وأن يقرأ آية مناسبة للحال .

المثال الرابع والخمسون

الملشد

وينبغي أن يذكر من الأشعار ما هو واضح اللفظ ، صحيح المعنى مشتملا على مدائح^(٣) سيدنا ومولانا وحبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ، وعلى ذكر الله تعالى وآلائه وعظمته ، وخشية مَقْتَه وغضبه ، وذكر الموت وما بعده ؛ وكل ذلك حسن . وأهمه مدح النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فإنه الذي يفهم من إطلاق لفظ الملشد . وإن اقتصر الملشد على ذكر أبيات^(٤) غزلية أو حماسية فقد أساء ؛ لاسيما إذا كان في مجامع العلم .

(١) كذا في ف . وفي د (بحث) .

(٢) كذا في ف ، د ، ز . وفي ل ، ط (يسكتون) .

(٣) كذا في د . وفي ف (مدح) .

(٤) كذا في ط . وفي ف (ألفاظ) .

المثال الخامس والخمسون

كاتب الغيبة على الفقهاء

عليه اعتماد الحق ، وألا يكتب على كل من لم ^(١) يحضر ، ولكن يستفصح عن سبب تخلفه . فإن كان له عذر بيّنه ، وإن هو كتب على غير بصيرة فقد ظلمه حقّه . وإن سأل بمجرّد حُطام يأخذه من الفقيه فهو على شفير جهنّم .

المثال السادس ^(٢) والخمسون

القرّاء الذين يقرءون القرآن بالألحان

وعليهم إعمال جهدهم في تأدية كلام الله تعالى كما أنزل ، من غير مطمطّة ^(٣) ولا عجرفة ^(٤) ؛ بل بلفظ بيّن . وقد اشتملت كتب القرّاء على الغرض من ذلك . ولو وقف على من يقرأ ، وجرت العادة في ذلك البلد بترك الإقراء يوم الجمعة مثلاً ، قال ابن الصلاح رحمه الله تعالى : لا يعتبر بالعادة ، وعليه الجلوس يوم الجمعة . قلت : وهذا إن احتمل طريان العادة على زمن الوقف فواضح ، وأمّا إن تحقّق وجودها وقت تلفّظ الواقف ففيه نظر واحتمال . وما يكره عليهم ، وعلى المنشدين أيضاً أنهم يأتون إلى دور الأمراء وقت حكمهم ، فيأتون في أخريات الناس وهم لا يلتفت إليهم . ويقرأ أحدهم عشراً ، أو مدحاً في النبيّ صلى الله عليه وسلم بين يدي أمير أو ديوان أبكم لا يفهم ما يقال ، وهو مع ذلك مشغول بحكمه وما هو فيه . وكان المتعيّن على من منحه الله تعالى القرآن أو مدح نبيّه صلى الله عليه وسلم أن ينزههما عن هذا المقام ، رأيت ملشداً حضر إلى مُخَيّم بعض الأمراء ، والخلق تزدهم ، وهو

(١) كذا في ف . وفي ط (من لا يحضر) .

(٢) هذا المثال عن ل . وقد سقط في غيرها .

(٣) المطمطّة : البطء في الكلام . يريد الإسراف في مد الحروف كما يفعل القرآن بالألحان .

(٤) يريد السرعة في القراءة ، وعدم إعطاء الحروف حقها .

يلشد ويذكر صفات سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والقوم لا ينصتون له ، ولا فيهم من يدري ما يقول ؛ فحصل بذلك من الألم ما (كاد يصهر^(١)) قلبي .

ومن شكر نعمة الله تعالى على ذوى الأصوات الحسنة من القراء والمشددين ألا يستعملوا أصواتهم فى الغناء المحرّم ، ومجالس الخور والمنكرات وليجتنبوا مقت الرب وغضبه ، تبارك وتعالى .

المثال السابع والخمسون

خازن الكتب

وحق عليه الاحتفاظ بها ، وترميم شعثها ، وحبكها عند احتياجها للحبك ، والضئنة بها على من ليس من أهلها ، وبذلها للمحتاج إليها ، وأن يقدم فى العارية الفقراء الذين يصعب عليهم تحصيل الكتب على الأغنياء . وكثيراً ما يشترط الواقف ألا يخرج الكتاب إلا برهن يحرز قيمته ؛ وهو شرط صحيح معتبر ؛ فليس للخازن أن يعير إلا برهن ؛ صرح به القفال فى الفتاوى ، والشيخ الإمام فى تكملة شرح المذهب ؛ وذكر أنه ليس هو الرهن الشرعى .

المثال الثامن والخمسون

شيخ الرواية

وعليه أن يُسمع المحدثين ، ويستمع لما يقرءونه عليه ، لفظة لفظة ، بحيث يصح سماعهم . وليصبر عليهم ؛ فإنهم وفد الله تعالى . ومضى وجد جزء حديث أو كتاب تفرد شيخ بروايته كان فرض عين عليه أن يسمعه .

(١) فى الأصل (كان يصار بقلبي) .

المثال التاسع والخمسون

كاتب غيبة السامعين

وعليه ضبط أسماء الحاضرين والسامعين ، وتأمل من يسمع ومن لا يسمع ،
والأ يكون كاذبا على النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : إن فلانا سمع ولم يسمع .
فإن هو تساهل في ذلك فليتبوأ مقعده من النار .

المثال الستون

الخطيب

عليه^(١) أن يرفع صوته بحيث يسمعه أربعون نفساً من أهل الجمعة .
فلو خطب سراً بحيث لم يُسمع غيره لم تصح على الصحيح . ولو رفع صوته
قدر ما يبلغهم ، ولكن كانوا كلهم أو بعضهم مُصمّاً فامتنع سماعه للصم^(٢)
فالاصح لا يصح أيضاً . وأما الالتفات في الخطبة ، والدق على دَرَج المنبر
في صعوده ، والدعاء إذا انتهى صعوده قبل أن يجلس ، والمجازفة في وصف
السلطين عند الدعاء لهم ، والمبالغة في الإسراع في الخطبة الثانية ، فكل
ذلك مكروه . ولا بأس بالدعاء للسلطان بالصلاح ونحوه ؛ فإن صلاحه صلاح
المسلمين . ولا يطيل الخطبة على الناس ؛ فإن وراءه الشيخ والضعيف
والصغير وذا الحاجة . ولا يأتي بالفاظ قلقة يصعب^(٣) فهمها على غير الخاصة ،
بل يذكر الواضح من الألفاظ . ولا يتكلف السجع إلى غير ذلك مما ذكره
الفقهاء .

(١) كذا في النسخ ما عدا ز فقيها (وعليه) .

(٢) كذا في كل النسخ ما عدا ل فقيها (للصم) .

(٣) كذا في كل النسخ ما عدا ف فقيها (يسمر) .

المشال الحادى والستون

الواعظ

وعليه نحو ما على الخطيب . فليذكر بآيام الله ، وليخف القوم فى الله تعالى ، وينبئهم بأخبار السلف الصالحين ، وما كانوا عليه . وأهم ما ينبغى له وللخطيب أن يتلو على نفسه قوله تعالى : « أتأمرون الناس بالبر وتلسون أنفسكم » ، ويتذكر قول الشاعر :

لأنه عن خلق وتأتى مثله عار عليك إذا فعلت عظيم
واعلم أن الكلام إذا لم يخرج من القلب لم يصل إلى القلب : فكل خطيب وواعظ لا يكون عليه سيمى الصلاح قل أن ينفع الله به .

المشال الثانى والستون

القاص

وهو من يجلس فى الطرقات يذكر شيئاً من الآيات ، والآحاديث ، وأخبار السلف .

وينبغى له ألا يذكر إلا ما يفهمه العامة ، ويشتركون فيه : من الترعيب فى الصلاة ، والصوم ، وإخراج الزكاة والصدقة ، ونحو ذلك ، ولا يذكر عليهم شيئاً من أصول الدين ، وفنون العقائد وأحاديث الصفات : فإن ذلك يجرهم إلى ما لا ينبغى .

المشال الثالث والستون

قارى الكرسى

وهو من يجلس على كرسى يقرأ على العامة شيئاً من الرقائق ، والحديث ، والتفسير : فيشترك هو والقاص فى ذلك ، ويفترقان فى أن القاص يقرأ من

صدره وحفظه ، ويقف ، وربما جلس ولكن جلوسه ووقوفه في الطرقات .
وأما قارىء الكرسى فيجلس على كرسى في جامع أو مسجد أو مدرسة
أو خانقاه^(١) ولا يقرأ إلا من كتاب^(٢) .

ويتبع له أيضاً مثل ما يلغى للقاص : من قراءة ماتفهمه العامة ،
ولا يخشى عليها منه . ولا بأس بقراءة إحياء علوم الدين للغزالي ، وكتاب
رياض الصالحين ، والأذكار للنووي ، وكتاب سلاح المؤمن في الأدعية لابن
الإمام . وكتاب شفاء السقام ، في زيارة خير الأنام ، للشيخ الإمام الوالد .
وكتب ابن الجوزي في الوعظ لا بأس بها . ولا يخفى ما يحذر منه هؤلاء من
كتب أصول الديانات ونحوها .

المثال الرابع والستون

الإمام

ومن حقه النصح للمؤمنين^(٣) : بأن يُخاَص في صلاته ، ويحَار في دعائه ،
ويضرع^(٤) في ابتئاله ، ويحسن طهارته وقراءته ، ويحضر إلى المسجد
أوّل الوقت ؛ فإن اجتمع الناس بادر بالصلاة ، وإلا انتظر الجمع ما لم يُفحش
الانتظار . وبالجملة ينبغي أن يأتي بصلاته على أكمل ما يطيقه من الأحوال .
وبما تعم به البلوى إمام مسجد يستنيب في الإمامة بلا عذر . وقد أقرّ الشيخ
عزّ الدين بأنه لا يستحق معلوماً ؛ لأنه لم يباشر ، ولا يستحق نائبه ؛ لأنه غير

(١) الخانقاه : متعبد الصوفية . وجمعها الخوانق . وهي كلمة فارسية .

(٢) كذا في ف ، د ، ط . وفي ل ، ز (إلا من كتب) .

(٣) كذا في ف ، د ، ط . وفي ل ، ز (للمؤمنين) .

(٤) كذا في ف ، د ، ز . وفي ل ، ط (يتضرع) .

متول ، ووافقه النووي رحمه الله ؛ لكن توقف فيه الوالد رحمه الله كما ذكر^(١) في باب المساقاة من شرح المنهاج .

أما جمع المراء بين إمامة مسجدين فالذى أراه أنه لا يجوز ؛ لأنه مطالب في كل واحد منهما بأن يصلي أوّل الوقت ، وتقديمه أحد المسجدين على الآخر تحكّم ، ولا ضرورة إلى ذلك . وذلك كتوليّه تدريسين بشرط حضور كل منهما في وقت معيّن يلزم من حضوره في هذا إهمال ذلك^(٢) فلا يجوز أيضاً .

المثال الخامس والستون

المؤذن

عليه^(٣) معرفة الوقت ، وإبلاغ الصوت . ويؤذن للصبح من نصف الليل وعند دخول^(٤) الوقت . ولذلك يسنّ للصّبح مؤذنان .

المثال السادس والستون

المؤقت

ولا بدّ من معرفته علم الميقات ، فليحقق فنّ الهيئة ، وجهة القبلة على الخصوص . وقد كثر في هذه الطائفة المنجمون والكهّان نعوذ بالله منهم ؛ قال النبي صل الله عليه وسلم : « من أتى عرافاً فسأله عن شيء فصدّقه لم تقبل له صلاة أربعين يوماً ، أخرجه مسلم ؛ وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « من

(١) كذا في كل النسخ ما عدا د فقيها (ذكرنا) .

(٢) كذا في ر . وفي ط (مدرستين شرط حضور كل واحدة منها في وقت معيّن يلزم من حضوره في هذه إهمال تلك) .

(٣) كذا في كل النسخ ما عدا د فقيها (وعليه) .

(٤) كذا في د . وفي د ل (وجوب) .

اقتبس علماً من النجوم اقتبس شُعبَة من السحر زاد ما زاد ، رواه أبو داود
ياسناد صحيح . وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم بذلك إلى أن النجوم فنّ
من السحر . ونحن نرى أن تتكلم على حقيقة السحر ، والكهانة ، والنجوم ،
والسيميا مختصراً ، فالكلّ من واد واحد ، ويطلق على جميعها اسم
السحر ، فنقول :

حاصل معنى السحر في اللغة يرجع إلى معنى الإزالة وصرف الشيء عن
وجهه بطريق خفيّ . ويطلق في عرف المتكلمين على أمور :
أحدها : السعى بين الناس بالنيمة .

وثانيها : تعلّق القلب كما يقول بعض المتنبّلين^(١) لمن في عقله خفة : إنه
يعرف الاسم الأعظم أو إن الجنّ تطيعه ، فينفعل له ضعيف العقل ، وربما أدّاه
انفعاله إلى مرض أو نحوه ، أو مطاوعة ذلك المتنبّل فيما يقصده .

وثالثها : الاستعانة بخواصّ الأدوية والمفردات ؛ كاجتذاب المغناطيس
للحديد ونحو ذلك ، فيعتقد الرائي أن ذلك بفعل الساحر ؛ فقد حُكي أن كنيسة
ببلاد الروم تُعمل في جدرانها الأربعة وسقفها وأرضها ستّة حجارة من
المغناطيس متساوية في القدر ، وجعل في هوائها صليب من حديد بمقدار
ما يتساوى فيه جذب تلك الحجارة الستّة : بحيث لا يغلب حجر منها بقيتها في
الجذب ، فلزم من ذلك وقوف الصليب في الهواء دائماً من غير آلة تُمسكه
ظاهراً ، فافتتن به قوم من النصارى .

ورابعها : الأعمال العجيبة التي تظهر من تركيب الآلات على النسب
الهندسية تارة ، وعلى ضرورة الخلاء أخرى ، كدوران الساعات وجرّ الأثقال
ولها أسباب يقينية من اطلاع عليها قدر على عمل مثلها .

(١) كذا في ف ، د ، ز . و في ل ، ط (المتنبّلين) .

وخامسها : التخيلات والأخذ بالعيون ، وهي الشعبة المخيلة لسرعة فعل صانعها برؤية الشيء على خلاف ما هو عليه .

وسادسها : الاستعانة بالجن على ما يريده بالرقي والعزائم والتسخيرات .
وسابعها : سحر أصحاب الأوهام والنفوس القوية التي إذا تجردت وتوجهت نحو شيء أثرت فيه . وأقرب شاهد له في الشريعة الإصابة بالعين .
وقد أثبتته النبي صلى الله عليه وسلم وقال : إنه حق ، وثبت عن جماعة أنهم يقتلون النفس بالهمة .

وثامنها : الاستعانة على ذلك بالكواكب والتأثيرات التي يُحدثها الله تعالى عندها ، وهو سحر الصابئة الذين بعث الله إليهم إبراهيم عليه السلام مبطلا لمقاتلهم^(١) وراذلا عليهم .

وتاسعها : السيمياء ، وهو أن يُركَّب الساحر شيئاً من خواص [أرضية^(٢)] أو صنعة كأدهان خاصة أو مائعات خاصة ، أو كلمات خاصة ، توجب تخيلات^(٣) خاصة وإدراك الخواص ما كولا أو مشروباً ، ونحو ذلك . ولا حقيقة له ؛ كما حكى الأوزاعي رحمه الله عن اليهودي الذي لحقه في السفر ، وأنه أخذ ضفدعاً فسحرها حتى صارت خنزيراً ، فباعه من قوم من النصارى ؛ فلما صاروا به إلى بيوتهم عاد ضفدعاً ، فلحقوا اليهودي وهو مع الأوزاعي ؛ فلما قربوا^(٤) منه رأوا رأسه قد سقط ، ففرعوا وولوا هارين ؛ وبقي الرأس يقول للأوزاعي^(٥) : يا أبا عمر هل غابوا ؟ إلى أن بعدوا عنه ، فصار الرأس في الجسد فهذه الأمور كلها باطلة عندنا . وأحققها باسم النجوم استخدام الكواكب ،

(١) كذا في د ، ز ، ل . وفي ف (مقاتلهم) . وفي ط (لقاتلهم) .

(٢) كذا في د ، ط . وفي باقي النسخ لم يثبت هذا اللفظ .

(٣) كذا في ف ، ل ، ز . وفي د ، ط (تخيلات) .

(٤) كذا في د ، ل ، ز ، ط . وفي ف (سقط هذا اللفظ) .

(٥) كذا في النسخ ما عدا ف فقد سقط منها هذا اللفظ .

ولا يسمى ذلك سحراً بالحقيقة ، وإنما يسمى تنجياً ، ويسمى صاحبه منجماً
وفيه يقول أبو فراس بن خمدان :

دع النجوم لعراف يعيش بها وانفض بعزم قوى أيها الملك
إن النبي وأصحاب النبي نهوا عن النجوم وقد أبصرت ما ملكوا
وقال أبو تمام في في المعتمدية^(١) :

أين الراوية أم^(٢) أين النجوم وما صاغوه من زخرف فيها ومن كذب
تخرصا وأحاديثاً ملفقة ليست بلسن إذا عدت ولا غرب^(٣)
وقال آخر :

لا تركن إلى مقال منجم وكل الأمور إلى القضاء وسلم
واعلم بأنك إن جعلت الكوكب تدبير حادثة فلسفت بمسلم
وأحقها باسم السحر ما كان بالخواص التي يحدث عندها فعل حقيقي ؛
كمرض ، ومحبة ، وبغض ، وتفريق بين زوجين . ودون هذه المرتبة أن يكون
تخيلاً لا حقيقة له . وهو سحر أيضاً ؛ إلا أنه دون الأول . وذلك علم السيمياء .
وأما الشعبة تخيلات^(٤) مبنية على خفة اليد ، والاخذ بالبصر ؛ فهي دون
السيمياء . وأما استخدام الجان فلا يسمى سحراً بالحقيقة^(٥) ، وأما تجرد النفوس
فليس من السحر الحقيقي في شيء ، بل ربما تجردت الخير ، وربما تجردت الشر

(١) يريد القصيدة التي قالها في مدح المعتصم حين فتح عمورية ، ومطلعها :
السيف أصدق لإناء من الكتب في حده الحد بين الجسد واللعب
(٢) كذا في ف ، ز . وفي ل (أو) .

(٣) النبع والغرب : ضربان من الشجر . والنبع من جيد الشجر ، والغرب من رديئه ؛
يريد أنها ليست من حسن الحديث ولا قبحه ، كما يقال : لا خير ولا خل .
(٤) كذا في ف ، د ، ط وفي ل (فتخيلات) .

(٥) في ل هذه الزيادة (وقد استقرت أحوال أهل العلوم وعلم الكيمياء ، والرمل والظب
والحرف وآلات اللهو ، والمغنين ، وذوى الخط الحسن ، ومن يعرف ثلاث حرف فصاعداً ، فقل
من يكون منهم إلا أرشلاً (كذا)) خولاً ففسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى (ولم تثبت في متن
الكتاب لضعف علاقتها بالساق ، ولأننا لم نهند إلى تدحيح كلمة (أرشلاً) وقد تكون (رجلاً) .

وقد حكى أن السلطان يعين الدولة محمود بن سُبُكْتِكِين لما غزا الهند انتهى إلى قلعة منيعة عصت عليه مدة . فخرج إليه بعض أهلها ، وقال : إنك لا تقدر عليها ؛ إلا أن تصنع ما أقول لك . قال قل^(١) . قال : إذا كان وقت مطلع الشمس مُر الجيش^(٢) بضرب الطبول ضرباً واحداً من عجا ، وازحف على القلعة أنت والجيشُ يدا واحدة . ففعل ؛ فافتتح القلعة . ثم سأله عن السبب . فقال : إن أصحاب هذه القلعة أصحاب همم وتوجّهات ، وقد صرفوا همّهم إلى دفعك عنها ، ولا يشوّش على نفوسهم ويفرقها شيء كالطبول المزججة ، وغلبات^(٣) العسكر . فلما فعلت ذلك تفرقت همّهم وشغلوا عن التوجّه ، فنلت مقصدك .

المثال السابع والستون

الصوفيّة

حيّاهم الله وبيّاهم^(٤) ، وجمّعنا في الجنة نحن وإياهم . وقد تشعبت الأقوال فيهم تشعباً ناشئاً عن الجهل بحقيقتهم ؛ لكثرة المتلبسين بها ؛ بحيث قال الشيخ أبو محمد^(٥) الجويني : لا يصح الوقف عليهم ؛ لأنه لا حد لهم يعرف ؛ والصحيح صحته ، وأنهم المعرضون عن الدنيا ، المشتغلون في أغلب الأوقات بالعبادة ؛ ومن ثمّ قال الجُنَيْد^(٦) : التصوف

(١) كذا في كل النسخ ما عدا ف ففيها ؛ (هات) .

(٢) كذا في ف ، د ، وفي باقي النسخ (مر الجيوش) وقد سقطت القاء في جواب الشرط .

(٣) كذا في ف ، د ، ل ، وفي ز ، ط (بجلات) .

(٤) كذا في د ، وفي ف (وسقام) .

(٥) هو عبد الله بن يوسف الفقيه الشافعي ، ركن الإسلام ، والد إمام الحرمين . توفي ببغداد سنة ٤٣٠ هـ .

عن طبقات الشافعية .

(٦) هو ابن محمد شيخ طائفة الصوفية . توفي سنة ٢٩٠ هـ وانظر النجوم الزاهرة .

استعمال كل خُلُق سنيّ ، وترك كل خُلُق دنيّ ؛ وقال أبو بكر الشَّيْبِلِيّ^(١) :
التصوف ضبط حواسِّك ، ومراعاة أنفاسك ، وقال ذو النون^(٢) : الصوفي
من إذا فطّق أبان نطقه عن الحقائق ، وإذا سكّت نطقه عنه الجوارح بقطع
العلاق ؛ وقال عليّ^(٣) بن بُنْدَار : التصوف إسقاط رؤية الخلق ظاهراً وباطناً ؛
وقال أبو عليّ^(٤) الروذَبَارِيّ : الصوفي من ليس الصوف على الصفا ، وأذاق
الهوى طعم الجفا ، ولزم طريق المصطفى ، وكانت الدنيا منه على القفا . وكان
الشيخ الإمام يقول : الصوفي من لزم الصدق مع الحق ، والخُلُق^(٥) مع
الخُلُق ، ويُلْشِد :

تنازع الناس في الصوفي واختلفوا قديماً ، وظنوه مشتقاً من الصوف
ولست أنحل هذا الاسم غير قبيّ صافي فصوفي ، حتى لقب الصوفي
وهذه عبارات متقاربة . والحاصل أنهم أهل الله وخاصّته ، الذين
ترجى^(٦) الرحمة بذكرهم ، ويُستزَل الغيث بدعائهم ؛ فرضى الله عنهم وعنا
بهم ، وللقوم أوصاف وأخبار اشتملت عليها كتبهم . قال الأستاذ أبو القاسم
القشيري رحمه الله : جعل الله هذه الطائفة صفوة أوليائه ، وفضلهم على
الكافة من عباده^(٧) بعد رسله وأنبيائه صلوات الله عليهم وسلامه . جعل الله
قلوبهم معادن أسرارهم ، واختصهم من بين الأمة بطوابع أنوارهم ، فهم الغيّاث
للخلق ، والدّائرون في عموم أحوالهم مع الحق . ومن أوصاف هذه الطائفة
الرأفة والرحمة والعفو ، والصفح ، وعدم المؤاخذة . وضابطهم ما ذكرناه .

(١) هو دلف بن جعفر . أصله من الشبلية ، وهي قرية بالعراق ، ومولده بسامرا . صاحب
الجنيد ، وتوفي سنة ٣٣٤ .

(٢) هو ثوبان بن إبراهيم المصري ؛ من أئمة التصوف . مات بمصر سنة ٢٤٥ هـ وانظر النجوم

(٣) من أئمة الصوفية ، صاحب الجنيد ، وانظر طبقات الشَّعْرَانِيّ .

(٤) هو محمد بن أحمد بن القاسم الصوفي ، سكن مصر . وله تصانيف حسنة في التصوف .
مات سنة ٣٢٣ هـ عن معجم البلدان في (روذبار) .

(٥) كذا في كل النسخ ما عدل ففهما (الحق) .

(٦) كذا في كل النسخ ما عدل ففهما (ترجى) .

(٧) هذه الزيادة (من عباده) أثبتت في د ، وسقطت في ف .

وطريقهم كما قال شيخ الطائفة أبو القاسم الجنيد رحمه الله : طريقنا هذا مضبوط بالكتاب والسنة . وقال : الطريق مسدود على خلق الله تعالى ؛ إلا على المقتفين آثار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم — ومن حقهم تربية المرید إذا لاحت عليه لوائح الخير ، وإمداده بالخاطر والدعاء . يحكى عن بعض المشايخ أن تلميذه حضر إليه وهو جالس فى جماعة ، وقد ارتفع النهار ، فتفرس الشيخ أنه كان فى الليلة الذاهبة قد ارتكب معصية ، فنظر إليه نظر مُغَضَّب ، ولم يمكنه الإفصاح له بمحضر من الجماعة ؛ فنظر التلميذ إلى الشيخ نظرة ^(١) منكر فقام الشيخ ، وجاء ^(٢) ، وقبل يد التلميذ ، ولم يفهم الجماعة شيئاً . فسئل الشيخ بعد ذلك ؛ فقال : إنه البارحة وقع فى الزنى ، فنظرت إليه نظر مغضّب لذلك ، فنظر إلىّ نظر عاتب ، يقول : لو كان خاطرك معى ، وإمدادك مصاحبى ، لما وقع منى ^(٣) ذلك . فأنت المقصر . فقبلت يده لصدقه ؛ فإن التقصير منى . ومن حقهم الوقوف فى إظهار ما يُطلعهم الله تعالى عليه من المغيّبات ، ويخصهم به من الكرامات ، على الإذن ؛ وهم لا يجيزون إظهارها بلا فائدة ، ولا يظهرونها إلاّ عن إذن لفائدة ، دليّة : من تربية أو بشارة أو نذارة ؛ كما قال الصديق رضى الله تعالى عنه لعائشة رضى الله تعالى عنها — وقد كان نحلّها ^(٤) جادّ ^(٥) عشرين وسقاً من ماله بالغابة ^(٦) فخرته الوفاة ، وأراد استرجاع الهبة ، وتطبيب قلبها مع ذلك — : والله يا بنية ما من الناس أحد أحبّ إلىّ غنىّ بعدى منك ، ولا أعزّ علىّ فقرّاً بعدى منك ، وإنى كنت نحلّتك جادّ عشرين وسقاً ، فلو كنت حزّتيه كان لك . وإنما هو اليوم

(١) كذا فى ف ، د . وفى ط (نظر) .

(٢) كذا فى النسخ ما عدا ز فلم يذكر فيها هذا اللفظ .

(٣) كذا فى النسخ ما عدا ف فقيها (وقع غنى من ذلك) .

(٤) أى منحها وأعطّاها .

(٥) أى وهب لها نخلًا كان يجد منه ويؤخذ كل سنة عشرين وسقاً من البلح .

(٦) موضع قرب المدينة من ناحية الشام ، فيه أموال لأهل المدينة . وانظر معجم البلدان

مال وارث ، وإنما هما أخواك وأختاك فاقتسموه على كتاب الله تعالى . قالت عائشة : والله يا أبت لو كان كذا وكذا لتركته ؛ إنما هي أسماء فمن الأخرى ؟ فقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه : [ذلك ^(١)] ذو بطن بنت خارجة ، أراها جارية . فكان كذلك ^(٢) . فلم يظهر أبو بكر ذلك إلا لاستطابة قلب عائشة رضى الله تعالى عنها .

وأما قصة سارية ^(٣) فإن عمر رضى الله تعالى عنه كان أمره على جيش ، وجهزه إلى بلاد فارس ، فاشتد الحال على عسكره بباب نهاوند ^(٤) ، وكاد المسلمون ينهزمون ، وعمر رضى الله تعالى عنه بالمدينة : فصعد المنبر ، ثم استغاث في أثناء خطبته بأعلى صوته : يا سارية الجبل ، يا سارية الجبل ، الحكاية . فسمع الله تعالى سارية وجنوده أجمعين — وهم بنهاوند — صوت عمر رضى الله عنه ، وعرفوه ، وقالوا : هذا صوت أمير المؤمنين ، يأمرنا بالالتجاء إلى الجبل . فليجئوا إليه ونجوا ^(٥) .

سمعت ^(٦) الشيخ الإمام يقول : سئل على كرم الله وجهه وقد كان حاضراً في المسجد ، وعمر يخطب ويستغيث بهذا الصوت : ما هذا الذى يقوله أمير المؤمنين ؟ فقال على كرم الله وجهه : دعوا أمير المؤمنين ؛ فما دخل فى أمر إلا وخرج منه . ثم تبين الحال بالآخرة . فنقول ^(٧) : عمر هنا — والله أعلم — لم يقصد إظهار الكرامة ، وإنما ألجأته الضرورة — وقد كشف له حال القوم — إلى إنقاذهم ^(٨) ، فناداهم ، ولعله غلب عليه الحال وغاب عن حسه .

-
- (١) كذا فى ل . ولم تثبت هذه اللفظة فى باقى النسخ .
 (٢) كذا فى النسخ كلها ما عدا ف . وقد سقط منها لفظ (فكان كذلك) .
 (٣) هو ابن زعيم (بالتصغير) ، والمرجح أنه صحابى . انظر الإصابة لابن حجر .
 (٤) من بلاد فارس . وقد فتحت سنة ٢١ هـ ولم يبق للفرس بعدها قائمة ، ويسمى فتحها فتح الفتوح .
 (٥) كذا فى ل ، ز ، ط . وفى د (فنجوا) وفى ف سقطت هذه اللفظة .
 (٦) كذا فى كل النسخ ما عدا ل ففيها (وسمعت) .
 (٧) هذا جواب (أما قصة سارية) .
 (٨) فى ل : انتقاذهم .

وأما قصة الزلزلة — وهى أن الأرض زُلزِلت فى زمن عمر رضى الله تعالى عنه ، فضر بها بالدَّرة ، وقال : ويحك قَرِّى ^(١) ألم أعدل عليك اوكانت ترجف ^(٢) فاستقرت من وقتها .

وقصة ^(٣) النيل ، وكونه كان لايجرى حتى يلتقى فيه جارية عذراء كل عام ؛ فكتب نائب مصر عمرو بن العاص إلى عمر يخبره ؛ فكتب عمر بطاقة إلى النيل ، وأمر أن تلقى فى الماء ، فيها : من عمر أمير المؤمنين إلى نيل مصر : أما بعد فإن كنت تجرى من قبلك فلا تجر ؛ وإن كان الله الواحد القهار هو الذى يُجريك فاجر ياذن الله الواحد القهار . فجرى جريانا لم يعهد مثله ، أخصبت له البلاد . وكرامات عمر رضى الله تعالى عنه كثيرة . وهذه الأمور من تمكّنه فى الأرض ظاهراً وباطناً ، وكونه أمير المؤمنين على الحقيقة ، وخليفة الله تعالى فى أرضه وساكنى أرضه . وليس هذا الكتاب موضع استيعاب القول على ذلك . وإذا علمت أن خاصة الخلق هم الصوفية ، فاعلم أنهم ^(٤) قد تشبّه بهم أفوام ليسوا منهم ، فأوجب تشبه ^(٥) أولاً بهم سوء الظن . ولعل ذلك من الله تعالى قصداً لحفاء هذه الطاقة ، التى تؤثر الخول على الظهور .

واعلم أن الصوفية أكثرهم لا يرضى بدخول الخوانق ، ولا التعلّق بشيء من أسباب الدنيا ، ونحن نتذكر ^(٦) بهم ولا نذكرهم . ولكننا نتكلم على ذوى الأسباب منهم ؛ لأنهم لما خالطوا أهل الدنيا تطرق إليهم البحث على قدر مخالطتهم : فإن تجتنبها كنت سلباً لأهلها وإن تجتنبها نازعتك كلابها

(١) فى الأصول (أقرى) ولا وجه له ، فإنه يأمرها بالقرار لا بالإقرار الذى هو الإذعان .

(٢) كذا فى كل النسخ ما عدا دقيها (ترجف) .

(٣) لم يذكر خير البتدا — وهو قصة النيل — وكأن الخبر محذوف أى جوابه ، تقدم فى

فصة سارية —

(٤) كذا فى ل ، ز ، د ، د . وفى ط ، ط ، هـ ، ش ل (أنه) .

(٥) كذا فى ل ، ز ، د ، د . وفى ط ، د (تشبيه) .

(٦) كذا فى ل ، ز ، د ، د . وفى ط ، ف (تذكرهم ولا نذكرهم) .

المثال الثامن والستون

شيخ الخانقاه

وربما سمى كبير هذه الطائفة شيخ الشيوخ ؛ وربما قيل : شيخ شيوخ العارفين . وسمعت الشيخ الإمام يشدد التكثير في هذه العبارة ، ويقول : شيخ شيوخ العارفين ! يرددها مراراً منكرأ لها ، ويقول : لم يفتن بادهاء المعرفة ؛ حتى ادعى أنه شيخ شيوخها . وإذا عرفت هذا فنقول : حق على شيخ الخانقاه تربية المريد ، وحمل الأذى والضم على نفسه ، واعتبار قلوب جماعته قبل قلوبهم ، والكلام مع كل منهم بحسب ما يقبله عقله ، وتحمله قواه ، ويصل إليه ذهنه ، والكفّ عن ذكر ألفاظ ليس سامعها من أهلها ؛ كالتجلى والمشاهدة ورفع الحجاب ، إذا كان السامع بعيداً عنها ؛ فإن في ذكرها له من المفساد ما لا يخفى به ، بل يأخذ المريد بالصلاة والتلاوة والذكر ، ويربّيه على التدرّج . والله في ألفاظ جرت من بعض سادات القوم ، لم يعنوا بها ظواهرها ، وإنما عنوا بها أموراً صحيحة ؛ فلا ينبغي للشيخ ذكرها للمريد لا يفهمها ؛ فإنه يضلّه ؛ مثل ما يقال عن بعضهم : العلم حجاب ؛ فإنه لا يريد به ظاهر ما يفهمه المبتدئ منه ؛ ولكن له معنى لا يناسب حال المبتدئ . الكشف عنه ، وغير ذلك من ألفاظ ربما جرى بعضها في حال السكر ؛ فإنها بما لا يقتدى بها ، ولا توجب القدح في قائلها ؛ بل نسلم^(١) إليه حاله ، ونقيم^(٢) عذره فيما سقط من بين شفّتيه حالة الغيبة ؛ فإن الشارع لم يكلف غائب الذهن . هذا إذا فقدت أسباب التأويل لكلامه بالكلية ؛ ولن نجد^(٣) ذلك إن شاء الله تعالى في كلام أحد من المعتبرين ؛ بل قد نزّه الله تعالى ألفاظهم عن الأباطيل ، وما لهم كلمة إلاّ ولها محمل حسن .

(١) كذا في د ، ط . وفي باقي النسخ (يعلم ويقيم) .

(٢) كذا في ل . وفي ف ، د (وإن تجد) . وفي ز (واسكن لن تجد) . وفي ط (ولم تجد) .

المثال التاسع والستون

فقراء الخوانق

وأنت قد عرفت أن حقيقة الصّوفي من أعرض عن الدنيا ، وأقبل على العبادة ، فقل لفقير الخانقاه : إن دخلتها لتسُدَّ رمقك ، وتستعين على التصوف فهذا حق ، وإن أنت ^(١) دخلتها لتجعلها وظيفة تحصل بها الدنيا ؛ ولست متصفا بالإعراض عن الدنيا ، والاشتغال غالب الأوقات بالعبادة ، فأنت مبطل ، ولا تستحق في وقف الصوفية شيئا ، وكلُّ ما تأكله منها حرام : لأن الواقف لم يقفها إلا على الصوفية ، ولست منهم في شيء . وقد كثر من جماعة اتخذ الخوانق أسبابا ، والدلوq المرقعة طرائق للدنيا ^(٢) ، فلم يتخلقوا من أخلاق القوم بغير لباس الزور . وهؤلاء المتشبهة الذين يقول فيهم الشافعي رضي الله تعالى عنه فيما نقل عنه : رجل أكل ، ثموم كثير الفضول . وقال الإمام أبو المظفر بن السّمعاني : نعوذ بالله من العقرب ^(٣) والفار ، ومن الصوفي إذا عرف باب الدار . وقال شيخنا أبو حيّان في هؤلاء : أكلة ، بَطَلَة ، سَطَلَة ! لا شغل ولا مشغلة . وقيل : رجل يظهر الإسلام ، ويبطن فاسد العقيدة ونهاية الإقدام ، في رجله جميع وعذبه ^(٤) من قدام ، يكون غالبا من بلاد الأعجام . وقال بعضهم :

ليس التصوف لبس الصوف ترقعه ولا بكاءك إن غَيَّ المغنونا
فهؤلاء القوم إذا اتخذوا الخوانق ذريعة للباس الزور ، وأكل الحشيش ، والانهماك على حُطام الدنيا ، لا سترهم الله ، وفضحهم على رموس الأشهاد .

(١) كذا في ف ، د ، ل . وفي ز (فإن أنت دخلتها) وفي ط (وإن دخلتها) .

(٢) كذا في ف ، ز ، ل ، د . وفي ط (طرائق إلى الدنيا) .

(٣) كذا في ف ، د ، ز . وفي ل ، ط (من العقرب والنار) .

(٤) كذا في معظم النسخ . وفي ف (عذبه) بالمجذلة .

ولكن فيهم — والله الحمد^(١) — من لا يدخل الخانقاه إلا ليقطع علائقه
ويشتغل بربه ، ويرضى بما يتها منها مُعِينًا له على سدّ رمقه ، وستر عورته ؛
فلله دَرُّه !

المثال السبعون

خادم الخانقاه

ومن حقه توفير أوقاتهم للعبادة ؛ فإنه في عبادة مادام يعينهم على العبادة
بهذه النية . فينبغي له السعى في كل ما يكون ذريعة إلى ذلك . وينبغي احتفاظه
بفاضل أوقاتهم ، ووضعها في مستحق : من مسكين أو هرة ونحو ذلك ،
ولا يرميه ؛ فليس من شيمتهم^(٢) طرح الزاد . وينبغي له تمييز^(٣) وقفهم كما
ذكرناه في مباشرى الأوقاف .

المثال الحادى والسبعون

شيخ الزاوية

وغالب الزوايا في البرارى . فمن حقه تهية الطعام للواردين والمجتازين ،
ومؤانسهم إذا قدموا ، بحيث تزول خجلة^(٤) الغربة عنهم . ولا بأس بإفراد
مكان للوارد ؛ لئلا يستحى وقت أكله وراحته .

المثال الثانى والسبعون

أصحاب الحرف والصناعات . والتجار ، وأصحاب الأموال

على صاحب المال أداء الزكاة ، على ما عرف في الفقهيات . وما أقبح من أعطاه

(١) كذا في ف . وفى د (والله الحمد والمنة) .

(٢) كذا في ف ، ل ، ز . وفى د ، ط (شيمهم) .

(٣) كذا في ل ، د ، ز . وفى ط (تميز) . وفى ف وهامش ل (تميز) .

(٤) كذا في ف ، د ، ل ، ز . وفى ط (وسنة الغربة) .

الله مالا ، وخوله^(١) نعمة فلما دنا الخوّل عَمَد إلى حيلة من مسقطات الزكاة فاعتمدها ؛ بخلا^(٢) على الله تعالى ! وإن هذا لجدير بزوال نعمته ؛ بل حقُّ عليه إخراجها . وله دفعها إلى الإمام إذا كان عادلا ؛ وكذا إذا كان جائراً ، على ما رجّحه الرافعي والنووي ؛ وهو الجديد . والمختار عند الشيخ الإمام خلافه [ولا يسقط^(٣) فرض الزكاة عن المالك إذا أخذها السلطان ، إلا إذا نوى المالك بذلك الزكاة ، وأخذها السلطان على الوضع] وإذا أخذ السلطان الزكاة ، ودفعها المالك ، ناويا الزكاة ، سقطت عنه ، وإن لم يصرفها السلطان في مصارفها ؛ فقد صارت في ذمّته ؛ إلا أن يأخذ القيمة عنها ؛ كما إذا أخذ عن الغنم الدراهم ؛ فإن الزكاة لا تسقط عن لا يعتقد إخراج القيمة .

المثال الثالث والسبعون

صاحب الزرع والشجر

ومن حقّه أن يتعهّدها بالسقي ؛ فإن ترك ذلك مكروه ؛ لما فيه من إضاعة المال . ولذلك كره العلماء ترك عمارة الدار إلى أن تخرب . وأما أصل بناء الدور للحاجة فلا يكره . والأولى ترك الزيادة ؛ وربما قيل : تكره الزيادة على قدر الحاجة . وليعلم صاحب الزرع أنّ الزكاة واجبة في الآقوات ، وما تكمل به الآقوات : كالحنطة والعس وغيرهما . ولا تجب في شيء من الفواكه ؛ إلا في الرطب والعنب . ولا تجب الزكاة في شيء من ذلك حتى يبلغ نصابا . والنصاب خمسة أو سق : أي خمسة أحمال ، كل سق تقديره ألف رطل وستائة^(٤) رطل بأرطال بغداد .

(١) كذا في ف ، ز ، د ، د . وفي ل (وخوله ونعمه) . وفي ط (وخوله ونعمته) .

(٢) في ل (تخيلا) .

(٣) هذه الزيادة في ل ، ط .

(٤) كذا في ف ، د ، ل ، ز . وفي ط (ألف رطل بأرطال بغداد) .

المثال الرابع والسبعون

الصيادون

ويجوز الاصطياد بجوارح السباع ؛ كالكلب ، سواء أكان أسود أم لا ، والفهد والنمر وغيرهما ، ويجوز أرح الطير ؛ كالبازي والشاهين والصقر . فما أخذته ، وجرحته ، وأدركه صاحبها ميتا ، أو في حركة المذبوح حل أكله . ويقوم لإرسال الصائد وجرح الجرح في أى موضع كان مقام الذبح في المقدور عليه . ثم يستحب أن يُمرّ السكين على حلقه ؛ ليريبه . فإن لم يفعل ، وتركه حتى مات ، فهو حلال . وإن أدركه وفيه حياة مستقرّة ، ولكن تعذّر ذبحه من غير تقصير من الصائد ، كما إذا أخذ الآلة ، وسلّ السكين فمات قبل إمكان ذبحه فهو حلال أيضاً ؛ للعذر . وإن كان بغير عذر كما إذا نشبت ^(١) السكين في غمدها ، فلم يتمكن من إخراجها حتى مات فهو حرام ، على الصحيح ؛ لأن حقه ^(٢) أن يستصحب غمداً يواتيه . ولا بدّ من قصد الصائد . فلو كان في يده سكين فسقط فأنجرح به صيد ومات فحرام ، خلافاً لآبي إسحاق المرؤزي ^(٣) ولو أرسل سهماً في الهواء ، فصادف صيدا فقتله ، لم يحل على الأصح ؛ لأنه لم يقصد الصيد . ولو رأى جماعة من الغزلان فأعجبه منها واحد ، فرمى سهماً نحوه ، فأصاب غيره من الطباء ، فهو حلال ؛ وقيل حرام ؛ لأنه قصد غيره ؛ وقيل : إن أصاب ظئياً من تلك الطباء التي رآها فهو حلال ، وإن أصاب ظئياً لم يقع عليه بصره ، فهو حرام . ولو رمى إلى خنزير ، فلم يصادفه ، بل صادف غزالا فهو حرام ، على الصحيح .

(١) كذا في ف ، ل ، د . وفي ط (نشبت) .

(٢) كذا في ف ، د . وفي ط (لأن من حقه) بزيادة من .

(٣) كذا في ف ، ل ، ز ، د . وفي ط (الشهرزوري) .

المثال الخامس والسبعون

شاذّ العائر^(١)

ومن حقه اللطف والرفق بالبتّائين ، وألّا يستعمل أحدا فوق طاقته ، ولا يُجِيعه ؛ بل يمكنه من الأكل ، أو يُطعمه بحسب ما يقع الشرط عليه^(٢) . وعليه أن يُطلق سراحه أوقات الصلوات ؛ فإنها لا تدخل تحت الأجرة . وما يعتمد به بعضهم من تسخير البتّائين ، وإجاعتهم وإعطائهم من الأجرة دون حقهم ، واستعمالهم فوق طاقتهم من أقبح الحرمات^(٣) ، وأشنع الجراءات^(٤) على الله تعالى في خلقه . وأقبح من ذلك أنهم يعتمدونه في بناء المساجد والمدارس ؛ فليت شعري بأية^(٥) قربة يتقربون !

المثال السادس والسبعون

البناء

ومن حقه ألا يزخرف بالذهب ؛ لأنه يحرم تمويه السقوف والجدران به ، وإن لم يحصل منه شيء بالعرض على النار ؛ وأكثر من يبني لا يسلم من ذلك .

المثال السابع والسبعون

الطين^(٦)

ومن حقه ألا يُطين مكانا قبل الكشف عنه ؛ هل فيه شيء من الحيوانات أو لا ؛ فأنت ترى كثيرا من الطيّانين يعجلون في وضع الطين على الجدار^(٧) ؛

-
- (١) كذا في د ، ط . وفي ف (مشد) .
 - (٢) كذا في كل النسخ ما عدا د ففيها (عليه الشرط) .
 - (٣) كذا في ف ، د . وفي ط (الحرمات) .
 - (٤) كذا في ف ، وفي باقي النسخ (الجراءة) .
 - (٥) كذا في كل النسخ ما عدا د ففيها (بأى) .
 - (٦) كذا في كل النسخ ما عدا ط ففيها (المطين) .
 - (٧) كذا في كل النسخ ما عدا د ففيها (الجدران) .

وربما صادف ما لا يحل قتله لغير مأكلة من عصفور ونحوه ، فقتله ، واندمج في الطين ؛ ويكون حينئذ خائناً لله تعالى من جهة قتله هذا الحيوان ، ولصاحب الجدار من جهة جعله مثل ذلك ^(١) ضمن جداره . وكثير من الطيَّانين لرغبتهم في الأجرة وسرعة العمل يدعوهم داع ^(٢) إلى تبليص جدار ، فيرون ذلك الجدار ماشقاً آثلاً إلى السقوط ، فلا ينهون صاحبه ؛ بل يُطِينونه ، رغبة في الأجرة ، ويعمّي خبره على صاحمه ، ويكون ^(٣) ذلك سبباً لوقوعه على نفس أو أكثر ؛ وذلك من الخيانة في الدين .

المشال الثامن والسبعون

معلم الكتاب

وينبغي أن يكون صحيح العقيدة ؛ فلقد ^(٤) نشأ صبيان كثيرون عقيدتهم فاسدة ؛ لأنّ فقيهم كان كذلك . فأول ما يتعين على الآباء الفحص عن عقيدة معلم أبنائهم قبل البحث عن دينه في الفروع ؛ ثم البحث عن دينه في الفروع . ومن حقّ معلم الصغار ألاّ يعلمهم شيئاً قبل القرآن ، ثم بعده حديث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، ولا يتكلّم معهم في العقائد ؛ بل يدعهم إلى أن يتأهلوا حقّ التأهل ، ثم يأخذهم ^(٥) بعقيدة أهل السنة والجماعة ؛ وإن هو أمسك عن هذا الباب فهو الآحوط . وله تمكين الصبيّ المميز من كتابة القرآن في اللوح وحمله ، وحمل المصحف وهو محدث ^(٦) .

-
- (١) كذا في ف ، د . وفي ط (في ضمن) .
 - (٢) كذا في كل النسخ ما عدا ط ففيها (تدعوهم إلى تبليص) .
 - (٣) كذا في ف ، د . وفي ط (فيكون) .
 - (٤) كذا في كل النسخ ما عدا ف ففيها (فقد) .
 - (٥) كذا في كل النسخ ما عدا ف ففيها (يأخذ) .
 - (٦) كذا في ط . وفي ف ، د (وهو جنب) .

المثال التاسع والسبعون

الناسخ

ومن حقه ألا يكتب شيئاً من الكتب المضلة ؛ ككتب أهل البدع والأهواء ؛ وكذلك لا يكتب الكتب التي لا ينفع الله تعالى بها ؛ كسيرة عنتر وغيرها من الموضوعات المختلفة ^(١) التي تضيع الزمان ، وليس للدين بها حاجة ؛ وكذلك كتب أهل المجون . وما وضعوه في أصناف الجماع ، وصفات الخور وغير ذلك مما يهيج المحرمات . فنحن نحذر النساخ منها ؛ فإن الدنيا تغرهم ^(٢) . وغالباً مُستكتب هذه الأشياء يعطى من الأجرة أكثر مما يعطيه مستكتب كتب العلم . فينبغي للناسخ ألا يبيع دينه بدنياه . ومن النساخ من لا يتق الله تعالى ويكتب عن عجلة ، ويحذف ^(٣) من أثناء الكتاب شيئاً ؛ رغبة في نجاذه ^(٤) إذا كان قد استوجر على نسخه جملة . وهذا خائن لله تعالى في تضييع العلم ، وجعل الكلام بعضه غير مرتبط ^(٥) ببعض ، والمصنف الكتاب في بتره ^(٦) تصليفه والذي استأجره ^(٧) في سرقة منه هذا القدر . قال أصحابنا : ولو استأجره ليكتب شيئاً ، فكتبه خطأ ، أو بالعريضة فكتبه بالعجمية ، أو بالعكس ، فعليه ضمان نقصان الورق ، ولا أجر له . قال النووي — ويقرب منه ما ذكره الغزالي في الفتاوى — إنه لو استأجره لنسخ كتاب ، فغير ترتيب الأبواب ، فإن أمكن بناء بعض المكتوب [على بعض ^(٨)] : بأن كان عشرة أبواب ، فكتب الباب

(١) كذا في ط . وفي ف ، د (المختلفة) .

(٢) كذا في كل النسخ ما عدا ط ففيها (تغرهم) .

(٣) كذا في كل النسخ ما عدا ف ففيها (أو يحذف) .

(٤) كذا في كل النسخ ما عدا د ففيها (إنجاذه) وكذا في هامش ل .

(٥) كذا في كل النسخ ما عدا ف ففيها (غير مرتبط بعضه ببعض) .

(٦) كذا في د . وفي ل ، ز ، ط (تبتيره) (وأما في ف فغير واضحة) .

(٧) كذا في كل النسخ ما عدا ف ففيها (استأجر) .

(٨) كذا في د . وقد سقطت هذه الزيادة من باقي النسخ .

الأول آخراً منفصلاً ؛ بحيث يبنى عليه ، استحقَّ بقسطه من الأجرة ؛ وإلاّ فلا شيء له . واستفتى الشيخ الإمام الوالد رحمه الله في ناسخ استأجره مُستأجر على أن ينسخ له ختمة بأجرة معيّنة ، فتأخّر الناسخ عن كتابتها مدّة سنة ، وفي تلك المدّة جاد خطه ، فهل له أن يطلب زيادة على تلك الأجرة لأجل جودة خطه ، أو يختار الفسخ ، فأقّى بأنه ليس له واحد من الأمرين ؛ بل عليه كتابتها بتلك الأجرة . ومن يستأجر^(١) ناسخاً يبين^(٢) له عدد الأوراق والأسطر في كل صفحة . واختلف في الخبر إذا لم يعيّن على من يكون^(٣) ، فالأصح الرجوع إلى العادة ؛ فإن اضطربت وجب البيان ، وإلاّ فيبطل العقد .

المثال الثمانون

الورّاق

وهي من أجود الصنائع . لما فيها من الإعانة على كتابة المصاحف^(٤) ، وكتب العلم ، ووثائق الناس وعهدهم^(٥) . فمن شكر صاحبها نعمة الله تعالى أن يرفق بطالب العلم وغيره ، ويرجّح جانب من يعلم أنه يشتري الورق لكتابة كتب العلم ، ويمتنع عن بيعه لمن يعرف أنه يكتب مالا يلبغى : من البدع والأهواء ومن شهادات الزور والمرافعات وأنحاء ذلك .

المثال الحادى والثمانون

المجلّد

وعليه نحو ما على الورّاق والناسخ .

-
- (١) كذا في ف ، د . وفي ط (استأجر) .
 - (٢) كذا في ف ، د وفي ط (بين) .
 - (٣) كذا في كل النسخ ماعداً ف ففيها (على من يكون إذا لم يعين) .
 - (٤) كذا في ل ، ط . وفي ف ، د (المصحف) .
 - (٥) كذا في كل النسخ ماعداً ف ففيها (وعهدهم) .

المثال الثاني والثمانون

المذهب

ومن حقه ألا يذهب غير المصحف . وقد عرف اختلاف الناس في تحلية المصحف بالذهب . والذي صححه الرافعي والنووي الفرق بين أن يكون لامرأة فيحل ، أو لرجل فيحرم . والمختار عندنا أنه يحل تحليته مطلقا . وأما غير المصحف فاتفق الأصحاب على أنه لا يجوز تحليته بالذهب .

المثال الثالث والثمانون

الطبيب

ومن حقه بذل النصيحة ، والرفق بالمريض . وإذا رأى علامات الموت لم يكره أن يئبه على الوصية بلطف من القول . وله النظر إلى العورة عند الحاجة بقدر الحاجة . وأكثر ما يؤتى الطبيب من عدم فهمه حقيقة المرض ، واستعجاله في ذكر ما يصفه ، وعدم فهمه مزاج المريض ، وجلوسه لطب قبل الناس استكمال الأملية ؛ قال بعض الشعراء :

أفنى وأعمى ذا الطبيب بطبه وبكحله الأحياء والبُصراء
فإذا نظرت رأيت من عميانه أمأ على أمواته قُرأء

وعليه أن يعتقد أن طبه لا يرد قضاء ولا قدرا ، وأنه إنما يفعل أمثالا لأمر الشرع ، وأن الله تعالى أنزل الداء والدواء ؛ وما أحسن قول ابن الرومي :

غلط الطبيب على غلطة مُورد عجزت موارده عن الإصدار
والناس يلحون الطبيب وإنما غلط الطبيب إصابة الأقدار^(١)

(١) كذا في كل النسخ ما عدا د فقيها (المقدار) .

المثال الرابع والثمانون

المزِين

وعليه مثل ما على الطبيب ، وكثيراً ما يقصد بعض السفلة والرّاعاء جبّ ذكره ؛ كما يفعله المبتدعة ومن غلبه حبّ من لا يصل إليه من لا يكون عقله ثابتاً ؛ فلا يحل للمزين مطاوعته على ذلك ، ومن الناس من يأتي المزين ليشتب أذنيه ويضع فيهما حلقتين .

المثال الخامس والثمانون

الكحّال

وعليه مثل ما على المزين من الاحتياط .

المثال السادس والثمانون

الحائك

ومن حقّه ألا يلبس ما يحرم استعماله ؛ لئلا يكون معينا على معصية . فلا يلبس ثوب حرير لا يستعمله إلا الرجال ؛ أما إذا استعمله الرجال والنساء ، والصبيان فلا يُمنع لأنه لم يتعين أن الذي يلبسه رجل بالغ ، وفي لبس الشياب المصوّرة وجهان ، أحدهما التحريم أما المركب من الحرير وغيره فالمذهب أنه إن كان الحرير أكثر وزناً حرم ، وإن كان غيره أكثر أو استويا لم يحرم ، ويجوز جعل طراز من حرير بشرط ألا يتجاوز قدر أربع أصابع .

المثال السابع والثمانون

القَمِّمُ في الحَمَام

وعليه ألا ينظر إلى عورة من يغسله ، ولا يلبس شيئاً منها بدون حائل .
ومن جلس بين يدي حلاق ليحلق رأسه فخلق ، فالصحيح في المذهب أنه لا تجب
الاجرة ، والقيم مفرط حيث لم يشترط قبل أن يحلق . والمختار عندي — وهو
وجه في المذهب — أنه يلزمه أجره إذا جرت العادة بذلك ، وكان القيم معروفاً
به . وسئل شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام : هل يجوز تدليك الأجسام ،
وغسل الأيدي بالعدس ؟ فأجاب في الفتاوى الموصلية : العدس طعام يحترم كما
يحترم الطعام ؛ فإن استعمل لغير ذلك بسبب مرض يداوى به مثله فلا بأس .

المثال الثامن والثمانون

الدَّهَان

وعليه ألا يصور صورة^(١) حيوان ، لا على حائط ولا سقف ولا آلة
من الآلات ، ولا على الأرض . وأجاز بعض أصحابنا التصوير على الأرض
ونحوها ؛ والصحيح خلافه . وقد لعن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
المصورين ، وقال : إنهم من أشد الناس عذاباً يوم القيامة .

المثال التاسع والثمانون

الخيَّاط

ومن حقّه ألا يخيّط حريراً ، ولا يجعله بطانة لمن يحرم عليه استعماله ؛
كالرجال . أمّا النساء والصبيان فاستعماله لهم غير حرام : وإن جاوز الصبي سنّ

(١) كذا في ف ، ط ، و ، د ، ل ، ز (بصورة) .

التمييز ؛ خلافا للرافعي في الشرح . وعلى الخياط أن يحترز عند قطع القماش ،
ويقدّر ، ويستأذن ، فيكون ^(١) على بصيرة . فلو قال الرجل للخياط : إن كان
هذا الثوب يكفيني قياساً فاقطعه ، فقطعه ، فلم يكفه ، ضمن الأرض ، لأن
الأذن مشروط بما لم يوجد . وإن قال : هل يكفيني قياساً ؟ فقال : نعم ، فقال :
اقطعه ، فقطعه ، فلم يكف ، لم يضمن ؛ لأن الأذن مطلق وإن تقدمته
قرينة ؛ لكن كان من حق الخياط ألا يتكلم على جهالة ، ويجوز للخياط
أن يخط بالحري .

المثال التسعون

الصباغ

ومن حقه ألا يصبغ بمحرم . ولقد كثر منهم الصبغ بالدماء ؛ وذلك محرم ؛
فإن صبغ بالدم ، وغسل بعد ذلك ، فذهب الريح والطعم ، وبقي اللون ،
وعُسرت إزالته ، فالأصح أنه لا يضر . ويقال : إن الثياب الحمر الصوف
المربّعة كلها من هذا القبيل . والصحيح أنه يحرم على الرجل لبس الثوب
المزعر والمعصر . ولو دفع الرجل خرقه إلى صباغ فصبغها حمر ، وقال :
كذا أمرتني ^(٢) ، فقال الدافع : لم أقل لك : اصبغ إلا بالأسود ، أو دفع خرقه
إلى خياط ، غطاطها قباء ، فقال : ما أمرتك إلا بقميص ، فالأصح أن القول
قول المالك ، فيحلف ، ويلزم الصباغ والخياط أرشُ النقص .

(١) كذا في ز و هاشم ل . وفي باقي النسخ (ويستأذن على بصيرة) .

(٢) كذا في كل النسخ ما عدا ف فيها (أذنتني) .

المثال الحادى والتسعون

الناطور^(١)

ومن حقّه ملاحظة الثياب ، استُحْفِظْ أَمْ لَمْ يُسْتَحْفَظْ . وحكى القاضى عن
الاصحاب أنّه لا يجب عليه إذا لم يستحفظ الحفظ ؛ قال : وعندى أنّه يجب^(٢) .
ولو سرقت الثياب من مَسْلَخِ الحَمَّام ، والناطور^(٣) جالس فى مكانه مستيقظ
فلا ضمان عليه ؛ وإن نام ، أو قام من مكانه ، ولم يستنبأ أحدا موضعه ضَمِنَ .

المثال الثانى والتسعون

الفرّاشون

ومن وظائفهم^(٣) ضرب خيام الأمراء .
وحقّ عليهم ألا يحتجروا^(٤) على الناس ويمنعوهم أرض الله الواسعة ؛
فما أظلم فرّاش الأمير وغيره^(٥) إذا جاء إلى ناحية من الفضاء ، فوجد فقيراً
قد سبق إليها ، ونزل فيها ، فأقامه منها ، لينخيم للأمير مكانه . وحكم الله أن
السابق أولى ، والأمير والمأمور فى ذلك سواء .

(١) كذا فى كل النسخ ماعدا ف فقيها (الناطور) بالفاء المعجمة والناطور : حارس الحمام .

(٢) كذا فى ف . وفى د (تجب للعادة) وفى ل (يجب للعادة) وفى ز (وعندى بحسب العادة)

وفى ط (يجب بحسب العادة) .

(٣) كذا فى ف ، د ، ل ، ز . وفى ط (ومن حقهم ضرب) .

(٤) كذا فى كل النسخ ماعدا ط فقيها (يحتجروا) .

(٥) كذا فى ف ، ل ، ز . وفى ط ، د (أو غيره) .

المثال الثالث والتسعون

البابا^(١)

ومن حقّه أن يحرص على إزالة نجاسة الثياب عند غسلها ، فيحترز من البول والغائط والمذى والدم ونحو ذلك ؛ فإنه متى لاقى شيء منها بدن الإنسان أو ثوبه لم تصح معه صلاته . فإن علمه البابا في ثوب شخص ولم يُزله بقي ذلك في ذمّته . فعليه إفاضة الماء في محل النجاسة ، بحيث تضمحل ، ويذهب طعمها ، وكذلك لونها وريحها ، إلّا أن يعلّق اللّون بالمحلّ كالدم ، فيعفى عنه . وأمّا بول الغلام الرضيع فيكفى فيه رش الماء . وأمّا دم البراغيث والجراحات البدنية ، والدمامل واليسير من طين الشوارع فمغفوّ عنه . وإذا غسل البابا ذلك كله فهو أولى وأحرى .

المثال الرابع والتسعون

الشرّيدار

ومن حقّه^(٢) أن يحترز فيما يسقيه لمخدومه من وصول شيء إليه ينجّسه أو يقدّره . وإيّاّه أن يسقيه محرّماً . وياويحه إن سقاه سمّاً قاتلاً . ويحافظ على النظافة في أوانيّه وثيابه ، والرائحة الطيبة فيها ما أمكنه .

(١) البابا لقب لمن يتعاطى الغسل والصلل للثياب وغير ذلك . وهو لفظ روى معناه الأب . وكأنّه لقب بذلك لأنه لما تعاطى ما فيه ترفيه لمخدومه ، من تنظيف قاشه وتحسين هبّته أشبه الأب الشفيق . عن صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٧٠ .

(٢) كذا في ط ، ل . وأمّا ف ففيها الزيادة الآتية :

الشرّيدار : من كتاب بذل النعائم الشرعيّة للامام شمس الدين محمد المفسدى قال : وعليه فيها يسقيه الخ . وسقط هذا كله في د غير أنه قال : وسبق حكمه في السقاة .

المثال الخامس والتسعون

الطشتدار

اسم لمن يصب الماء على يد المخدم . وهو من أقبح التنطع والبدع . ومن أدبه الاحتراز من ملاقة ماء الوضوء ماء^(١) طهوراً أو غيره . أما الاستعانة في الوضوء بغيره فإن استعان بمن يحضر له الماء للطهارة فلا يكره . وإن استعان به ليصب^(٢) عليه الماء — وهو ما يفعله الطشتدار — ففي كراهته خلاف للأصحاب ؛ والأصح أنه لا يكره . وإن استعان به ليغسل أعضائه فهو مكروه بلا خلاف ؛ إلا أن تدعو إليه^(٣) ضرورة ؛ كما إذا كان أقطع ، فتجب الاستعانة . وما يفعله أهل الدنيا من نصب أناس بالمرصاد لصب الماء على أيديهم عقيب الطعام ليس بمكروه ؛ ولكنه زيادة في الدنيا . وكان الشيخ الإمام لا يفعله . وأما الاستعانة في الوضوء فلما طعن في السن كنت أراه يمكن من يصب^(٤) الماء على يديه ، ولا يمكن من صبه على رجله . وكنت أفهم لذلك منه سرين : أحدهما أنه والحالة هذه لا يكون قد استعان في وضوئه بأحد بل في بعض وضوئه ، والثاني أن في الصب على الرجلين من الرعونة والتنطع أكثر مما في الصب على غيرهما .

المثال السادس والتسعون

الصيرفي

ومن حقه ألا يخلط أموال الناس بعضها ببعض . وأكثر الصيارف يخلطون فيصيرون عامة أموال الخلق حراما ، والناس لا يدرون . فهم إذا في ذمة

(١) كذا في ف ، د . وفي ط (ماء غير طهور أو غيره) .

(٢) كذا في د ، ل ، ز . وفي ف غير واضحة وفي ط (وإن استعان بمن يصب) .

(٣) كذا في كل النسخ ماعدا ف ففيها (إلا أن تدعو له ضرورة) .

(٤) في نسخة على هامش ل (صب) .

الصيارف . ومن حقه أيضاً معرفة عَقْد الصرف ، وألا يبيع أحد النقيدين بالآخر نسيئة بل نقدا . ولو سلم صبي درهما إلى صير في لينقده لم يحل للصير في رده إليه ، وإنما يرده إلى وليّه . ولو تلف في يد الصير في لزمه ضمانه . ولا يجوز تولية الذمّي صيرقيا في بيت المال .

المشال السابع والتسعون

المُكاري

ومن حقه التحقق فيمن يُركبه الدواب . ولا يحل لمكار يؤمن بالله واليوم الآخر أن يُكاري دابته من امرأة يعرف أنها تمضي^(١) إلى شيء من المعاصي ؛ فإنه إغانة على معصية الله تعالى . وكثير من المكارية لا يعجبه أن يكاري إلا الفاجرات من النساء ، والمغاني منهن ؛ لمغالاتهن في الكراء ؛ فإنهن يعطين من الأجرة فوق ما يعطيه غيرهن فتغره الدنيا . فيلبيغي أن يعلم أن فلساً من الحلال خير من درهم من الحرام . ومما تعم به البلوى مكار يكاري امرأة جميلة إلى مكان معين ، ويمشي معها ، وفي الطريق^(٢) مواضع خالية من الناس كما بين البساتين ؛ فإن في معاطفها أماكن لو شاء^(٣) الفاسق لفعل فيها ما شاء الله من الفجور . والذي أراه أن حكم ذلك حكم الخلوة بالاجنبية ، فلا يجوز . ومن كان مع دابة أو دواب ضمن ما تُتلفه من نفس أو مال ، ليلا كان أو نهاراً . أمّا^(٤) إذا بالت في الطريق فتلف به نفس^(٥) أو مال فلا ضمان

(١) كذا في ف ، ط ، د . وفي ز ، وهامش ل (تمشي) .

(٢) كذا في ف ، د ، ز . وفي ط (ويمشي معها إلى مواضع خالية) . وفي ل (ويمشي معها في الطريق مواضع خالية) .

(٣) كذا في د ، ط . وفي ف (لو شاء الله لفعل الفاسق فيها ما شاء الله) .

(٤) كذا في ف ، د . وفي ط (وأما) .

(٥) كذا في كل النسخ ماعدا ف ففيها (من نفس ومال) .

وعلى الراكب الاحتراز عما لا يعتاد^(١) : كسوق شديد في الوحل . فإن خالف وجب عليه ضمان ما تولد من ذلك . ومن حل حطباً على بهيمة ، أو على ظهره فحكّ جداراً فسقط الجدار ضمنه . وأما ما ترضعه المكارية من الجلاجل في رقاب الخير فإنه مكروه ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تصحب^(٢) الملائكة رفقة فيها كلب أو جرس ؛ وقال صلى الله عليه وسلم : الجرس من أمار^(٣) الشيطان ؛ رواهما مسلم .

المثال الثامن والتسعون

العريف

المثال التاسع والتسعون

النقاشون

المثال المائة

غاسيل الموتى

وعليه استيعاب البدن بالماء ، بعد أن يزيل ما عليه من نجاسة^(٤) . ولا يجب عليه نيّة الغُسل على الأصح^(٥) ، ولكن الأولى أن ينوى ؛ خروجاً من الخلاف . ويستحب أن يغسل في موضع مستور لا يدخله سواه وسوى من

(١) كذا في ف . وفي ط (الاحتراز عما لا يعتاد) وفي د (وعلى راكب الدابة الاحتراز عما لا يعتاد) .

(٢) كذا في ف ، د ، ل ، ز . وفي ط (إن الملائكة لا تصحب رفقة) .

(٣) كذا في النسخ ما عدل ، ز ففيها (من أمار الشيطان) .

(٤) كذا في ف ، ط . وفي ل ، د (من النجاسة) .

(٥) كذا في ط ، د . وفي ف : (على الصحيح) .

يعينه وولى الميت إن شاء . ويكره أن ينظر إلى شيء من بدنه إلا الحاجة .
ويُغسل في قميص بال أو سخيّف ، فيُدخلُ الغاسل يده من تحت القميص
ويغسله . وحمل الميت برّ وإكرام لا شيء فيه من الدناءة .

المثال الحادى بعد المائة

السِّجَّان

ومن حقه الرفق بالمحبوسين ، ولا يمنعهم من الجمعة إلا إذا منعهم القاضى
من ذلك . وقد أفتى الغزالي بأن للقاضى المنع من ^(١) الجمعة إذا ظهرت المصلحة
في المنع . ولا يمنع المحبوس من شمّ الرياحين إن كان مريضاً . ويمنع من
استمتاعه بزوجه ، دون دُخُولها لحاجة له . وإذا علم السِّجَّان أن المحبوس
حُبِسَ بظلم كان عليه تمكينه بقدر استطاعته ، وإلا يكون شريكاً لمن حَبَسَه
في الظلم

المثال الثانى بعد المائة

الجرّار

ويجب عليه إذا ذبح قطعُ الحلقوم — وهو مجرى النفس — والمرى —
وهو مجرى الطعام وهو تحت الحلقوم — ولا يكفي قطع واحد منهما ؛
خلافاً للاصطخري . ولو ترك من الحلقوم والمرى شيئاً يسيراً ومات
الحيوان فهو مَيِّتة ؛ ولا بدّ أن يصادف الذبح حيواناً فيه حياة مستقرّة
ولّا فلا يحلّ ؛ وذلك يعرف بالعلامات كالحركة الشديدة ونحوها . وكثيراً
ما يصادف الإنسان حيواناً يضطرب فيشكّ هل فيه حياة مستقرّة أولاً ؛
فإذا شك فالأصحّ أنه حرام . ولا يجوز الذبح بظفر ولا عظم . وتستحب

(١) فل (فى) .

التسمية على الذبح^(١) خلافاً لأبي حنيفة : فإنه قال : تجب ، ولا يحل المذبوح إلا بالتسمية . وتستحب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عند الذبح . ولا يحل الذبح باسم غير الله تعالى ؛ وأقوى أهل بخارى بتحريم ما يذبحه أهل القرى عند استقبال السلطان تقرّباً إليه ؛ لأنه مما أهل به لغير الله .

المثال الثالث بعد المائة

المشاعلية

وهم الذين يحملون مشعلاً يقد بالنار بين يدي الأمراء ليلاً . وإذا أمر بشنق أحد أو تسميره أو النداء عليه تولّوا ذلك . ومن حق الله عليهم إذا أرادوا قتل أحد أن يحسنوا القتلة ، وأن يمكّنوه من صلاة ركعتين قبل القتل لله تعالى ؛ فهي سنة . ومتى أمر ولي الأمر مشاعلياً بقتل إنسان بغير حق ، والمشاعلي يعلم أن المقتول مظلوم ، فالمشاعلي قاتل له ، يجب عليه القصاص . وإن كان ولي الأمر أكرهه ، أو جعلنا أمره إكراها ، فالقصاص حينئذ عليهما جميعاً عند الشافعي رحمه الله على الصحيح من مذهبه .

المثال الرابع بعد المائة

الدّلالون

فمنهم دلال الكتب . ومن حقه ألا يبيع كتب الدين ممّن يعلم أنه يضيعها ، أو ينظرها لا انتقادها والطعن عليها ، وألا يبيع شيئاً من كتب أهل البدع والأهواء ، وكتب المنجمين ، والكتب المكذوبة ؛ كسيرة عنتر وغيره . ولا يحل له أن يبيع كافراً لا^(٢) المصحف ولا شيئاً من كتب الحديث والفقه .

(١) كذا في د . وفي ف : المذبح .

(٢) كذا في ف . د . وسقط فيها (لا) من نسخة د .

ومنه دلال الرقيق ؛ فلا يحل له بيع عبد مسلم من كافر ، وبيع المملوك الحسن الصورة ممن اشتهر باللواط ، وبيع العصير ممن يتخذ الخمر ؛ وكلاهما مكروه . وأما^(١) بيع المغاني فيجوز ؛ ولكن إذا كانت جارية فباعها بألفين ، ولولا الغناء لما ساوت إلا ألفا ، فالأصحاب مختلفون في صحة هذا البيع ؛ والأصح الصحة .

ومنه دلال الأملاك ؛ وعليه التحفظ في ذلك ؛ خشية أن يقع في بيع شيء موقوف ؛ فإن^(٢) هو باع موقوفا فقد شارك البائع في الإثم .

المثال الخامس بعد المائة

بواب المدرسة والجامع ونحوهما

ومن حقه المبית بقرب الباب ، بحيث يسمع من يطرقه عليه ، والفتح لساكن في المكان أو قاصد مقصداً دينياً : من صلاة أو اشتغال أي وقت جاء من أوقات الليل . وما يفعله بعض البوابين من غلق الباب في وقت معلوم من الليل ، إما بعد صلاة العشاء الآخرة ، أو في وقت آخر بحيث إذا جاء أحد السكان أو المريدين للصلاة بعده لا يفتح له ، غير جائز ؛ إلا إن تكون مدرسة شرط واقفها ألا يفتح بابها إلا في وقت معلوم . وفي صحة مثل هذا الشرط نظر واحتمال . وأما لو شرطه في مسجد أو جامع فواضح أنه لا يصح .

المثال السادس بعد المائة

سائس الدواب

ومن حقه النصح في خدمتها ، وتنقية الغليق لها ، وتأدية الأمانة فيه ؛ فإنه لالسان لها يشكوه إلا إلى الله تعالى . وقد كثر من السؤاس تعليق خرز

(١) كذا في ف . وفي د ، ط (أ) .

(٢) في ل (وإن) .

مشمول^(١) على بعض آيات القرآن على الخيل رجاء الحراسة ، مع أنها تتمرغ في النجاسة . وأفتى الشيخ عز الدين بن عبد السلام بأن ذلك^(٢) بدعة وتعرض للكتاب^(٣) العزيز للأهانة .

المثال السابع بعد المائة

الكلاب

لله^(٤) عليه نعمة : أن جعله خادم الكلاب ، ولم يجعله عاصر خمر ، أو غير ذلك ، ثم ابتلى به بعض عباده فن شكر هذه النعمة أن ينصح في خدمة كلاب الصيد ، وأن يعلم أن في كل كبد حرى أجراً ، وإذا كان له على خدمتها جُعل فهذه نعمة ثانية ، عليه أن يوفى حق شكرها ؛ فإن كان في باب ذى جاه فهذه نعمة ثالثة ، عليه شكر ثالث لأجلها . وعلى هذا فاعتبر .

المثال الثامن بعد المائة

حارس الدرب

وحق عليه أن ينصح لأهل الدرب ، ويسهر عينه إذا ناموا ، يذنبه النوام إذا اغتيلوا بحريق أو غيره ، ولا يدل على عوراتهم والياً ولا غيره .

(١) في ل (يشتمل) .

(٢) كذا في كل النسخ ، معدا ط وهامش ل ففيها (بأن ذلك لا يجوز وهو بدعة) .

(٣) كذا في ف . وفي د (وتعرض الكتاب) .

(٤) كذا في كل النسخ ما عدا ف ففيها (فله) .

المثال التاسع بعد المائة

الطَوْفِيَّة

وهم بين البساتين والمسكن^(١) الخارجة عن البلد كالحارس بين الدروب في وسط البلد . ومن أقبح صنع هؤلاء المداجاة على جلب الخنز لمن يرضيهم بحُطام الدنيا ، فلا ينكرون عليه المنكر مع إنكارهم زائداً على الحاجة على من لا يرضيهم ، وإذا وجدوا قتيلاً في مكان نقلوه إلى مكان آخر ؛ فتارة يجدونه في مكان يقرب من دار من له عندهم يد ، فينقلونه إلى دار من لا يد له عندهم ، أو بينه وبينهم شئان ؛ وتارة تنقله طائفة من الأماكن التي هو في تسليمهم إلى مكان آخر ؛ دفعاً للثَّهْمَة عن أنفسهم ، وإلقاء لغيرهم فيها ، وكل ذلك قبيح ؛ والواجب إبقاؤه في مكانه ، ورفع أمره إلى ولي الأمر ليعتد عنه .

المثال العاشر بعد المائة

الكاسح^(٢)

المثال الحادى عشر بعد المائة

الإسكاف

ومن حقّه ألا يخرج بنجس : من شعر خنزير أو غيره ؛ فإن الصلاة في النعلين جائزة ؛ صحّ أنه صلى الله عليه وسلم صلى في النعلين . وإنما فعل

(١) كذا في كل النسخ ما عدا ف فيها (الأماكن) .

(٢) ليس في الأصول المعتبرة كتابة على هذا المثال . وفي هامش ف ما يأتي « من كتاب بذل النصاب » انشريعة للإمام شمس الدين محمد المقدسى قال : ويسمى السراباقى . قلت : عليه بذل الاجتهاد في تنظيف الأسربة والقنى ونحوها ، والإخبار عن ما بها و فراغها ، وتنظيفها بصدق ، لأنها مغيبة عن ملاكها ، ولا يمكنهم كشف ذلك وتعاطيه بأنفسهم غالباً » وفي ط (عليه بذل الاجتهاد الخ) .

ذلك بيانا للجواز ، وكان أغلب أحواله صلى الله عليه وسلم الصلاة حافياً ؛ فلو أن الإسكاف استعمل في النعل نجاسة لحان الله والمؤمنين .

المثال الثاني عشر بعد المائة

رماة البندق

وقد أفق الشيخ تاج الدين بن الفركاح بحلّه ، وهو ما ذكره النووي في كتاب المشورات ، ويوافقهما قول الرافعي : أمّا الاصطياد بمعنى إثبات اليد على الصيد وضبطه فلا يختص بالجوارح ، بل يجوز بأيّ طريق يتيسر ، فإنّه يتناول الرمي بالبندق ؛ لكن قال ابن يونس في شرح التنبيه : وذكر في الذخائر أنّ الاصطياد بما لا حدّ له كالدّبّوس والبندق لا يجوز ولا يحل . قلت : ويدل له ما في مسند الإمام أحمد من حديث عدّى أن النبي صل الله وسلم قال : « ولا تأكل من البندقة إلا ما ذكّيت » ، لكن في سنده انقطاع ؛ وروى البيهقي أن ابن عمر كان يقول في المقتولة بالبندقة : تلك الموقودة . وقد صرح أصحابنا أن المحدّد إذا قتل بثقله لا يحل ، بل لا بد من الجرح . قالوا : فيحرم الطير إذا مات ببندقة رمى بها ، خدشته أم لا ، قطعت رأسه أم لا .

المثال الثالث عشر بعد المائة

الشحاذ في الطرقات

الله عليه نعمة أنه أقدره على ذلك ، وكان من الممكن أن يُخرس لسانه فيعجز عن السؤال ، أو يقعده فيعجز عن السعي ، أو يقطع يديه فيعجز عن مدّهما ، إلى غير ذلك . فعليه ألا يُلحّ في المسألة ؛ بل يتق الله تعالى ، ويُجمل في الطلب . وكثير من الحرافيش اتخذوا السؤال صناعة : فيسألون من غير حاجة ، ويقعدون على أبواب المساجد يشحذون المصلّين ، ولا يدخلون للصلاة معهم . ومنهم من يقسم على الناس

في سؤاله بما تقشعرّ الجلود عند ذكره . وكل ذلك منكر . وبعضهم يستغيث بأعلى صوته : لوجه الله فأس . وقد جاء في الحديث « لا يسأل بوجه الله إلا الجنة » ، وبعضهم يقول : بشيئة أبي بكر فأس . فانظر ماذا يسألون من الحقير ، وبماذا يستشفعون^(١) من العظيم ، ويراهم اليهود والنصارى ، ويرون المسلمين ربّما لم يعطوهم شيئا ، فيشتمّون ويسخرون ؛ وربّما كان المسلم معذورا في المنع ، والكافر لا يفهم إلا أنّ المسلمين لا يكثرثون بذلك . فرأى في مثل هذا الشحاذ أن يؤدّب^(٢) حتى يرجع عن ذكر وجه الله تعالى ، وذكر شيئة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، ونحو ذلك ، في هذا المقام . ومنهم من يكشف عورته ويمشى عُريانا بين الناس ، يوهّم أنّه لا يجد ما يستر^(٣) عورته ، إلى غير ذلك من حيالهم ومكرهم وخديعتهم .

ولقد أطلنا في ذكر هذه الأمثلة بحيث^(٤) إنها تحتل مصنفا مستقلا .

والحاصل — وهو المقصود — أنه ما من عبد إلا والله تعالى عنده نعمة ، يجب عليه أن ينظر إليها ، ويشكرها حقّ شكرها بقدر استطاعته ، حسب ما وصفناه ، ولا يستحقّرها ، ولا يربأ بنفسه عليها . وذلك ميزان يستقيم في كلّ الوظائف^(٥) ؛ فليعرض كل ذي وظيفة تلك الوظيفة على الشرع ؛ فإنّ سيّدنا ومولانا ونبيّنا وحبيبنا وشفيعنا محمدا المصطفى صلى الله عليه وسلم بين لنا أمر ديننا كلّّه ؛ فما من منزلة إلا وأبان لنا عمّا ربطه الشارع بها من التكاليف ؛ فليبادر صاحبها إلى امثاله ، مشرح الصدر ، راضيا ، ويُبشّر عند ذلك بالمزيد . وإلا فإنّ هو تلقّاها بغير قبول ، ولم يعطها حقّها خُشي عليه زوالها عنه ،

(١) كذا في ف ، د ، ل . وفي ط (يستغيثون) . وفي هامش ل (ينسون) . وقد سقط هذا اللفظ من ز .

(٢) كذا في ف ، د ، ز . وفي ل ، ط (يضرب بالسياط) .

(٣) كذا في ف ، ز ، ل . وفي د ، ط (ما يستر به عورته) .

(٤) كذا في النسخ كلها ماعدا د ففيها (وهي تحتل) .

(٥) كذا في ف ، د ، ل ، ط . وفي ز و هامش ل (الوظائف) .

واحتياجه إليها ، ثم يطلبها ، فلا يجدها . وإذا زالت فليعلم أن سبب زوالها
تفريطه في القيام بحقها ، وأنا أضرب لك مثلاً ، فأقول : إذا كنت أميراً ،
قد خولك الله نعماً هائلة ، لو استحضرت نفسك لوجدتها لا تستحق منها ذرة ،
وبت في بيتك تتقأب في أنعم الله ، بين يدك الدراهم والذهب ، والممالك ،
والجوارى ، وأنواع الملابس الفاخرة ، وأصناف الملاذ ، ثم أصبحت ركبت
الخيول المسومة ، ولبست الثياب الحسنة ، ثم جلست في بيتك لا بساً قباء
عظيماً ، مطرّزا بالذهب الذي حرّمه الله تعالى على الرجال ، مطرقاً مصمماً بوجه
عبوس ، تبرق وترعد كأنك طالب^(١) ثأر من الخلق ، وأخذت تحكم فيهم
بخلاف^(٢) ما أمرك الله به ، الذي بت تتقلب في أنعمه ، معتقداً أن ما تحكم به
هو الأصلح ، وأن حكم الله تعالى لا ينفع ، فما جزاؤك ! ولم لا تزول عنك
هذه النعمة ! فإن ضمنت إلى هذا أنواعاً آخر من المعاصي ، فأنت بنفسك
أخبر ، والله عليك أقدر . فاحفظ الله يحفظك . احفظ الله تجده تجاهك ؛
تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة ؛ خف الله ، الذي يمهل الظالم ،
حتى إذا أخذه لم يفله . واعلم أنه مامن عبد إلا وعليه حقوق للمسلمين ،
يتعين عليه توفيتها ، والشكر عليها ، حيث أقامه الله فيها ، واستأهله لها ؛ فإنها
خادمة من خدم الله تعالى . ولا يخفى عليك أن ملكاً لو استخدمك في أيسر
حاجة لسررت بذلك ؛ فكيف بملك الملوك ! ومامن وظيفة إلا والمسلمين حقوق
على صاحبها . سمعت الشيخ الإمام رضى الله عنه يقول : لكل مسلم عندي ،
وعند كل مسلم حق في أداء هذه الصلوات الخمس . ومتى فرط مسلم في صلاة
واحدة كان قد اعتدى على كل مسلم ، وأخذ له حقاً من حقوقه ؛ لعدوانه
على حق الله تعالى . قال : ولذلك أسمع^(٣) دعوى من يدعى على تارك صلاة

(١) في ل (كأن لك ثأراً على الناس) .

(٢) كذا في ف ، د ، ط (بخلاف القصر الذي) .

(٣) كذا في ف ، د ، ط . وفي ل (لم أسمع دعوى على من يدعى) وفي ز وهامش ل (ولذلك
أسمع دعوى على كل من يدعى) .

واجبة ، وإن لم يدع على وجه الحسبة ؛ لأن لكل مسلم فيها^(١) حقاً ؛ فيقول : أدعى على هذا أنه ترك الصلاة الفلانية ، أو اعتمد فيها ما يُفسدها ، وقد أضرت بي في ذلك ، فأنا مطالبه بحقّ . قلت : ولم ؟ قال : لأن المصلّي يقول : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، والنبيّ صلى الله عليه وسلم يقول : إن المصلّي إذا قال هذا أصاب كل عبد صالح في السماء والأرض . قلت : ورأيت للفقهاء ما يقتضى ذلك .

إذا فهمت أيّها العاقل — وفقنا الله وإياك لمرضاته وأحلنا وإياك بكرامته بمجبوحه جنّاته — ما شرّ حناه لك ، فإذا انزوت عنك نعمة ، فأول متعين عليك ، إن كنت باغياً عودها^(٢) ، البحث عن سبب انزوائها : بأن تنظر إلى وظيفتك ، وتفريطك فيها ، بالإخلال بواحدة من وظائف الشكر ، وتعلم أنك أتييت منها ، فتذكر ذلك . فتي ذكرته وكان تعلّق قلبك بها صادقاً ، وعلمت أنه السبب في زوالها ، ندمت — ولا بد — عليه وتبت عنه^(٣) ، وعقدت النية على أنك إن عادت إليك النعمة لم تعد إليه . فإن قلت : لا أذكر تفريطاً ، فأنت إذا جاهل . واعلم أن للشيطان وساوس وتخيلات^(٤) ، وأنه يجري من ابن آدم مجرى الدم ، وأن أعدى عدو^(٥) لك نفسك التي بين جنبيك ، وأنها — أعنى نفسك والشيطان — ربما أرياك الباطل حقاً ، واسترقاك من حيث لا تدري ، واسترقاك^(٦) وأنت تظن أنك حر ، فاقطع واجزم بأنك مفرط لا محالة ، واستغفر الله تعالى ، واضرع إليه . وإن لم تدر وجه التفريط بخصوصه ، فاعلمه على الجملة . ولا يكن عندك شك في أن هناك تفريطاً ، فهمته ، أم جهلته ،

(١) كذا في د ، ط . وفي ف (لكل مسلم حقاً) .

(٢) كذا في ف ، د ، ل ، ز . وفي هامش ل (إن كنت ترجو عودها عليك) وفي ط (ترجو عودها) .

(٣) كذا في ف ، د ، ل ، ز . وفي ط (وتبت منه) .

(٤) كذا في ف ، د وهامش ل ، ط . وفي ز (وتخيلات) .

(٥) كذا في ف ، د ، ل . وفي ز ، ط (أعدى عدوك) .

(٦) كذا في ف ، د ، ل ، ز . وفي ط (واسترقاك من حيث لا تدري واستعبداك) .

وأنتك منه أريت . فإنك إذا علمت ذلك ، وأيقنت به ، فهمت أن الحق تعالى عادل فيك ، غير ظالم لك ، بل محسن إليك ، أسداك نعمة بلا استحقاق ، فما رعيها حق رعايتها ، فزواها [عنك^(١)] . فعليك شكر تلك الأيام التي كنت متلبساً بها فيها ، والاستغفار من تقريطك . أرايت رجلاً أجلسك في داره يطعمك ويسقيك عشرة أيام ، ثم قال لك : انصرف ، أياكون مسيئاً إليك ، أم محسناً ؟ إن قلت : مسيئاً^(٢) إليك ، فأنت مجنون ؛ فإنه لم يكن عليه حق لك ، وقد أحسن إليك هذه المدة . فبأى طريق يجب عليه أن يديمها ؛ وإن قلت : يكون محسناً ، وقد أزالها بلا سبب ، فما ظنك برب لا يزيل النعمة إلا بسبب منك ! ألسنت أنت الظالم ! حكى أن ملكاً مات له ولد ، فأفحش في إظهار الحزن عليه ، والتسخط بسبب ما أصابه . فأتاه آت ، فقال : أيها الملك ، إن لي صاحباً أودعني جوهرة ، فكانت عندي مدة . أتلذذ برويتها . ثم إنه استرجعها ، وأنا أسألك طلبه ، وإلزامه بإعادة الإيداع . فقال : له : كيف ألزمه بأن يودع ما له عندك ؛ فقال له : قالته أودع عندك ولداً لك هذه المدة ، ثم استردّه ، فلم هذا التسخط ، فانشرح صدر الملك ، ورفع العزاء . [وأنشد بعضهم^(٣)] :
وما المال والأهلون إلا وديعة ولا بد يوماً أن تُرد الودائع
فإن قلت : قد يزيلها زيادة في رفع الدرجات ، فاعلم أن هذا مقام عسير ، لم تصل أنت إليه ، فليس كلامي مع أهل هذه الطبقة ؛ إنما كلامي مع جمهور أهل هذا الزمان ، الذي اندفعنا إليه . ولو كان كلامي مع أهل هذا المقام لقلت لهم : تلك نعمة تبدلت بأعظم منها ؛ ولا يقال : إنها زالت . ولهذا شرح طويل ليس من غرض هذا الكتاب .
فهذه واحدة من الأمور الثلاث ، التي يمجعوها تعود النعمة وتزول النعمة .

(١) كذا في ط . ولم تذكر هذه الزيادة في ف ، د .

(٢) كذا في ف ، د ، ط ، ل . وفي ز وهامش ل (إن قلت يكون مسيئاً) .

(٣) كذا في ل . وفي ط (قال الشاعر) . وفي باقي النسخ لم تذكر هذه الزيادة .

الأمر الثاني في فوائد انزواتها ؛ فنقول : قد تعترف بالأمر الأول ، وتذعن له ، ولكن تقول في نفسك : إنه لا خير لي في هذه المحنة ، وليت النعمة لم تزل ، وإن كنت أنا السبب في زوالها . فإن أنت اختلج في ضميرك هذا ، فاعلم أنك لم توف الشكر حقه ، ولم تحسن السعى في عودها ، وكنت كمن يأتي البيوت من غير أبوابها ، ويلج الدور بدون حُجَّابها ، فاح ما في نفسك ، وارجع إلى حَسِّك ، واعلم أن المحنة من الله تعالى ، ليست من أحد غيره . وهذا كما عرفاك في النعمة سواء . فأول ما تعتقده أن الله تعالى هو الفاعل بك ذلك ؛ لتمرّدك ، وطغيانك . وإن أنت ظننت في أحد من الخلق أنه الفاعل بك هذا فهذه زَلَّة عظيمة يُخشى عليك منها دوام المحنة . فإذا اعتقدت ذلك ، وتلقّيت المحنة من الله تعالى فهذه نعمة تورث عندك الفرح بالمصيبة . ثم انظر في نفسك : أمؤمن أنت أم كافر ؟ فإن كنت كافراً فصيبتك بالكفر أشد من سائر المصائب ، فابك على تلك المصيبة ، وبادر إلى زوالها ودع عنك الفكرة فيما عداها . وإن كنت مؤمناً فاعلم أن ما لا قاك به الدهر هو ديدنه وعادته في حقّ المؤمنين ؛ فإن دار الدنيا مملكة أعدائك ، ومحلة بلائك ؛ والإنسان لا يكون في مملكة عدوّه مستريحاً ، وإنّما يكون مصاباً معذباً بأنواع الانكاد والمتاعب . فلا تستغرب ما أصابك ، بل اعلم أنه القاعدة المستقرّة في حقك ، والغريب ما جاء على خلافها . ولهذا كان سيّد الطائفة الجنيد رحمه الله يقول : لا أستنكر شيئاً مما يقع من العالم ؛ لأنّي قد أصّلت أصلاً ؛ وهو أن الدار دار غمّ وهمّ وبلاء وفتنة ، وأنّ العالم كلّهُ شرٌّ ، من حقه^(١) أن يتلقاني بكل ما أكره . فإن تلقاني بما أحبّ فهو فضل ؛ وإلاّ فالأصل الأوّل . وإنما قلنا : إنّ الدنيا مملكة أعدائنا ، ودار أحزانتنا ، لما ثبت وصحّ في صحيح مسلم وغيره : من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(١) كذا في ط . وفي ف (من حكمه) . وفي د (ومن حكمه) .

إن الدنيا سجن المؤمن ، وجنة الكافر . فأوضح أن الكافر فيها منعم ، والمؤمن فيها مسجون ، وهل يكون المسجون إلا حزيناً مصاباً ؟ فالأصح أن المؤمن مع الكافر في هذه الدار كأهل السجن مع السلطان . فانظر واعتبر وتأمل قوله تعالى : « ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ، ومعارج عليها يظهرون . وليبوتهم أبواباً وسروراً عليها يتكثرون . وزخرفاً وإن كل ذلك لمتاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين ، فإذا تأملت هذا انشرح صدرك لما يصيبك ، وعلمت أنه دليل على أنك من أهل الإيمان ، المقربين عند الرحمن ، الذين يريد تطهيرهم من الأدناس ، ويحب تصفية قلوبهم من الوسواس . ولذلك كان السلف رحمهم الله تعالى يخشون تتابع النعم ، ويخافون أن يكون [ذلك]^(١) استدراجاً . وأنا قد اعتبرت ، فوجدت القاعدة المستمرة في هذه الأمة أن كل من كان أكثر إيماناً ، كانت الدنيا عنه أكثر انزواءً ، والأكدار عنده أكثر بمن دونه ، ولذلك كان أشد الناس بلاء الأنبياء ، ثم الأمثل ، وما أودى نبي أكثر مما أودى سيد الأنبياء نبينا محمد صلى الله عليه وسلم : وانت فانظر تر الكفار أكثر دنيا من المسلمين ، ثم انظر المسلمين تر الجهال منهم والفسقة أكثر دنيا من أهل العلم وأهل التقوى . ثم انظر أهل العلم والتقوى تر كل من زاد فيهما نقص في الدنيا بحسب ذلك . وإن عددت من جمع له العدل والملك ، أو العلم والمال ، أو التقوى والمال ، لم تر إلا آحاداً محصورين ، وأناساً كانت الدنيا في أيديهم لا في قلوبهم ، وكان^(٢) ذلك لمصلحة اقتضتها حكمة الرب تعالى ، خرجوا بها عن القاعدة . قيل للحسن البصري رحمه الله : أليس قد قال النبي صلى الله عليه وسلم (لا يزداد الأمر إلا شدة ، ولا الدنيا إلا إدباراً) ، فما بال عمر

(١) كذا في ط . وفي ف ، د (أن يكون استدراجاً) .

(٢) كذا في ط . وفي ف ، ل (وكان مع ذلك لمصلحة اقتضتها) . وفي ز (وكان مع ذلك

لمصلحة) . وفي د (وكان مع ذلك مصلحة) .

ابن عبد العزيز — وهو سيد أهل زمانه — ولي بعد الحجّاج وهو خبيث هذه
الأمّة ! فقال : لا بدّ للزمان أن يتنقّس . فإذا علمت أن إنكاد المؤمنين طبع
الزمان ؛ كما قال التّهامي :

حكم المنيّة في البرية جار ما هذه الدنيا بدار قرار
بيننا ترى الانسان فيها مخيراً ألفيته خيراً من الأخبار
طبعت على كدر ، وأنت تريدها صفواً من الأقدار ^(١) والأكدار
ومكّلف الأيام ضدّ طباعها متطلب في الماء جذوة نار
وإذا رجوت المستحيل فإنما تبنى الرجاء على شفير هار
والعيش نوم والمنيّة يقظة والمرء بينهما خيال سار
فاقضوا مآربكم عجالاً ، إنّما أعماركم سفر من الأسفار
وتركّضوا ^(٢) خيل الشباب وبادروا أن تُسترد فإنهنّ عوار
ليس الزمان وإن حرّصت مسالماً طبع ^(٣) الزمان عداوة الأحرار
فما أجهل من يقول : ما بال فلان المستحقّ خاملاً ، وفلان غير المستحق
غير خامل ! أما علم أن هذه عادة الزمان ، وأن ذلك عدل من الله تعالى ؛
إذ كونه مستحقّاً فضل من الله عليه ، يربو ويزيد على ذلك الحطّام الذي هو
حظ من لا يستحقّ . أليس إذا عادل العالم بين العلم مع الفقر ، والجهل مع الغنى
وجد علماً بفقر خيراً من جهل بغنى ، وتقوى بانكسار خيراً من فجور باستكبار !
أنشدنا أبو عبد الله الحافظ إجازة عن شيخ الإسلام أبي الفتح بن دقيق العيد
أنه أنشد لنفسه :

أهل المناصب في الدنيا ورفعها أهل الفضائل مرذولون بينهم
قد أنزلونا لأننا غير جلسهم منازل الوحش في الإهمال عندهم

(١) كذا في كل النسخ ماعدا ف ففها (من الأقداء) .

(٢) في نسخة في هامش ل (تراكضوا) .

(٣) كذا في ف ، د ، و في ط (خلق الزمان) .

فألهم في توقيّ ضَرنا نظـر ولا لهم في ترقّـي قدرنا هـم
فليتنا لو قدرنا أن نعرّفهم مقدارهم، عندنا أو لو دروه هم !
لهم مُريحان : من جهل وفرط غنى وعندنا المتعبان : العلم والعَدَم

وهذه الآيات ناقضها أبو الفتح ^(١) الثقيّ فأجاد وأحسن حيث قال :

أين المراتب في الدنيا ورفعتها من الذي حاز ^(٢) علما ليس عندهم ؟
لا شك أنّ لنا قدراً رأوه ، وما لقدروهم عندنا قدر ، ولا لهم
هم الوحوش ونحن الإنس حكمتنا تقودهم حيث ما شدنا وهم نعم
وليس شيء سوى الإهمال يقطعنا عنهم ، فإنهم وجدانهم عـدم
لنا المريحان : من علم ومن عَدَم وفيهم المتعبان : الجهل والحـم

فإذا استقرّت هذه القاعدة عندك ازددت انشراحاً بالمصيبة وتسلياً
عنها ؛ ثم ابحث تجده أيضاً بقضاء الله وقدره وإرادته واختياره ؛ وقضاؤه لك
خير من قضائك لنفسك . وكم من محنة في طيها نعمة لا يدرها إلا من يعلم
العواقب . فكن مع الله كالميت بين يدي الغاسل ، واعلم أنه حينئذ لا يفعل
بك إلا ما هو خير لك ؛ وكن كما قال الشاعر :

وقف الهوى بي حيث أنت ؛ فليس لي متأخر عنه ولا متقدّم
أجد الملامة في هـواك لذيذة حباً لذكرك فليكني اللـوم
أشبهت أعدائي فصرت أحبهم إذ كان ^(٣) حظي منك حظي منهم
وأهنتني فأهنت نفسي عامداً ما من يهون عليك بمنّ يكرم

فإذا استقرّت هذه القاعدة الأخرى عندك ازددت سروراً على سرور .
ثم ابحث عن فوائد المحنة تلقها كثيرة ، وافهم أنها لولا المحنة لم تحصل هذه

(١) كذا في ف . وفي ط (ناقضها الفتح الثقي) وفي د (ناقضها الفتح البقي) .

(٢) في ل (جاز) .

(٣) كذا في د . وفي ف (سار) .

الفوائد . فإذا المحنة نعمة ، والبليّة عطيّة ، وعند هذا يتم انشراحك وسرورك ،
وتصل إلى درجة الرضا بالمقدّر ، كما كان السلف رحمهم الله :

يستعذبون بلاياهم كأنهم لا ييئسون من الدنيا إذا قتلوا
ولسنا نقول ذلك حتّى على حبّ البلاء ، وحباله ، نعوذ بالله منه ، ولكن
نقوله تسلية لمن حل به ؛ فتعريف دواء المرض لا يوجب حبّ المرض ،
ولا طلبه . نسأل الله العافية ؛ فإنّ عافيته أوسع لنا . وإذا فهمت هذا وتأملت مع
قوله صلى الله عليه وسلم (كل قضاء الله للبؤ من خير) الحديث وانشرح
لذلك تمّ لك نوع من الأمور التي يرجى باعتمادها^(١) عود النعمة ، وزوال
النقمة . فإن قلت : أين لي هذه الفوائد ؟ وعدّها ؛ ليتّ سروري . قلت : حظ
هذا الكتاب منها تنبيهك من سِنَةِ الغفلة ؛ فإنّا قد بيّنا لك أنك من قبل
تفريطك أتيت ؛ فلو لم يتداركك الله بلطفه ، ويزوى عنك تلك النعمة لتتذكر ،
وتتلبه من منامك لبقيت طائشاً في غيّاك ، مُتَحَيِّراً^(٢) في طغيانك . وذلك يؤول إلى
فساد حالك بالسكينة . فلول المحنة — والحالة هذه — نعمة . وإن أردت حصر
الفوائد التي فيها فلن تجد إلى ذلك سيلاً ، لكثرة ، وخروج بعضه عن إدراك
أفهامنا ؛ فإن حكم الربّ تعالى منها ما ندركه ، ويُتفاوت فيه^(٣) بقدر تفاوتنا في العلوم
والمعارف ؛ ومنها ما تقصّر العقولُ عن إدراكه . ولسلطان العلماء شيخ الإسلام
عز الدين محمد بن عبد السلام رضى الله تعالى عنه كلام على فوائد المحن والزايّا ،
أنا أحكيه لك بجملة . قال رضى الله عنه : للمصائب والبلايا ، والمحن والزايّا
فوائد ، تختلف باختلاف رُتَب الناس . إحداها^(٤) معرفة عزّ الريويّة وقهرها .

(١) كذا في ف . وفي ط ، د (باجماعها) .

(٢) كذا في د . وفي ف ، ل (متبغّراً) . وفي ز (مستهراً) .

(٣) كذا في ف . وفي د (ويتفاوت فهمه بقدر تفاوتنا) . وفي ط (وتتفاوت فيه مقدرتنا

في العلوم) . وفي ز (ما تدركه وتتفاوت فيه بقدر تفاوتنا) .

(٤) كذا في ف ، د ، ز ، ط . وفي ل (واحدتها) .

والثانية^(١) معرفة ذلة^(٢) العبودية وكسرها . وإليه الإشارة بقوله تعالى « الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون » اعترفوا بأنهم ملكه وعبيده ، وأنهم راجعون إلى حكمه وتديره ، وقضاءه وتقديره ، لا مفر لهم منه ، ولا محيد لهم عنه . والثالثة الإخلاص لله تعالى ؛ إذ لا مرجع في دفع الشدائد إلا إليه ، ولا معتمد في كشفها إلا عليه ، « وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو » ، « فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين » . الرابعة الإنابة إلى الله ، والإقبال عليه ، « وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيباً إليه » . الخامسة التضرع والدعاء « وإذا مس الإنسان ضر دعانا » « وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه » « بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء » « قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية » . السادسة الحلم عمن صدرت عنه المصيبة « إن إبراهيم لأواه حلیم » « فبشرناه بغلام حلیم » (إن فيك خصلتين يحبهما الله : الحلم والأناة) وتختلف مراتب الحلم باختلاف المصائب في صغرها وكبرها . فالحلم عند أعظم المصائب أفضل من كل حلم . السابعة العفو عن جانبيه « والعافين عن الناس » « فمن عفا وأصلح فأجره على الله » والعفو عن أعظمها أفضل من كل عفو . الثامنة الصبر عليها . وهو موجب لمحبة الله تعالى ؛ وكثرة ثوابه « والله يحب الصابرين » « إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب » (وما أعطى أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر) . والتاسعة الفرح بها ، لأجل فوائدها ؛ قال عليه الصلاة والسلام (والذي نفسى بيده إن كانوا ليفرحون بالبلاء كما يفرحون^(٣) بالرخاء) وقال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه حبذا المكروهان : الموت والفقر . وإنما فرحوا بها ؛ إذ لا وقع لشدتها ومرارتها ، بالنسبة إلى ثمرتها وفائدها ؛ كما يفرح من عظمت أدواؤه بشرب الأدوية الحاسمة

(١) كذا في ف . وفي باقي النسخ (والثاني) .

(٢) كذا في د ، ط . وفي ف (ذل) .

(٣) كذا في كل النسخ ما عدا ط ففيها (كما يفرحون) .

لها ، مع تجربته لمرارتها . العاشرة الشكر عليها ؛ لما تضمنته من فوائد ؛ كما يشكر المريض الطبيب القاطع لأطرافه ، المانع من شهواته ، لما يتوقع في ذلك من البرء والشفاء . الحادية عشرة تمحيصها للذنوب والخطايا ، وما أصابكم من فيها كسبت أيديكم ، (ولا يصيب المؤمن وصَب ولا نصب حتى ألهم يَهْمُهُ ^(١)) والشوكة يُشاكها إلا كفر به من سيئاته) الثانية عشرة رحمة أهل البلاء ومساعدتهم على بلوهم ؛ فالناس معافي ومبتلى ، فارحموا أهل البلاء ، واشكروا الله تعالى على العافية .

ولنما يرحم العشاق من عشقا .

الثالثة عشرة معرفة قدر نعمة العافية والشكر عليها ؛ فإن النعم لا تعرف أقدارها ^(٢) إلا بعد فقدها . الرابعة عشرة ما أعدّه الله تعالى على هذه القوائد : من ثواب الآخرة على اختلاف مراتبها . الخامسة عشرة ما في طيها من القوائد الخفية ؛ « فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً » ، وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ، « إن الذين جاءوا بالآفك عصبه منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم » ، ولما أخذ الجبار سارة من إبراهيم كان في تلك ^(٣) البلية ^(٤) أن أخدمها هاجر ، فولدت إسماعيل لإبراهيم عليهما الصلاة والسلام ، فكان من ذرية إسماعيل سيّد المرسلين وخاتم النبيين ، فأعظم بذلك من خير كان في طي تلك البلية ؛ وقد قيل :

كم نعمة مطوية لك بين أثناء المصائب
وقال آخر :

ربّ مبغوض كرهه فيه لله لطائف ^(٥)

(١) كذا في د ، ط . وفي (يصيه) .

(٢) كذا في النسخ ماعداً ففيها (لا يعرف مقدارها) .

(٣) كذا في ف ، د . وفي ط (كان في طي تلك) .

(٤) كذا في ل ، ز ، ط . وفي ف ، د (البلية والمصيبة) .

(٥) سقط هذا البيت من ف ، د .

السادسة عشرة أن المصائب والشدائد تمنع من الأشر والبطر والفخر والخيلاء والتكبر والتجبر ، فإن نمرود لو كان فقيراً سقيماً فاقد السمع والبصر لما حاج إبراهيم في ربه ، لكن حمله بطر الملك على ذلك ، وقد علل الله سبحانه وتعالى حاجته بإيثاره الملك فقال : « ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك » ولو ابتلى فرعون بمثل ذلك لما قال أنا ربكم الأعلى « وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله » ، إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى ، « ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض » ، « واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه » ، « لأسقيناهم ماء غدقاً لنفتنهم فيه » ، « وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون » ، والفقراء والضعفاء هم الأولياء وأتباع^(١) الأنبياء . ولهذه القوائد الجليلة كان أشد الناس بلائاً الأنبياء ثم الصالحون^(٢) الأمثل فالأمثل ؛ نسبوا إلى الجنون والسحر والكهانة ، واستهزئ بهم ، وسخر منهم ، فصبروا على ما كذبوا وأوذوا ، وقيل لنا « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله (ألا إن نصر^(٣) الله قريب) » ، « ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين » ، « لنبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً ، الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم ، وتغربوا عن أوطانهم ، وكثر عناؤهم واشتد بلاؤهم ، وتكاثر أعداؤهم ، فغلبوا في بعض المواطن ، وقتل منهم بأحد وبئر معونة وغيرهما من قتل ، وشج وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكسرت رباعيته ، وهشمت البيضة على رأسه ، وقتل أعزّؤه ،

(١) كذا في كل النسخ ما عدل فيها (هم الأنبياء وأتباع الأنبياء) .

(٢) كذا في ف ، د . وفي ط (الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل) .

(٣) لم يذكر في ف ، د (تمة الآية وهو ما بين القوسين) .

ومثل بهم ، فشمت^(١) أعداؤه ، واغتم أولياؤه ، وابتلوا يوم الخندق ، وزلزلوا زلزالاً شديداً ، وزاغت الأبصار ، وبلغت القلوب الحناجر ، وكانوا في خوف دائم ، وعُرى لازم ، وفقر مُدقع ؛ حتى شدّوا الحجارة على بطونهم ، من الجوع . ولم يشجع سيّد الأولين والآخرين من خبز بُرّ في يوم مرتين . وأوذى بأنواع الأذى حتى قدّفوا أحبّ أهله إليه ، ثم ابتلى في آخر الأمر بمسيئة وطيحة والعُسى . ولقى هو وأصحابه في جيش العسرة ما لقوه . ومات ودرعه [مرهونة^(٢)] عند يهودى على آصع من شعير . ولم تزل الأنبياء والصالحون يُتَهَدون^(٣) بالبلاء الوقت بعد الوقت ، يبتلى الرجل على قدر دينه : فإن كان صليباً^(٤) في دينه شدّد في بلائه . ولقد كان أحدهم يوضع المِشَار^(٥) على مفرقه فلا يصده ذلك عن دينه . وقال عليه الصلاة والسلام (مثل المؤمن مثل الزرع^(٦) لا تزال الريح تميله) ، ولا يزال المؤمن يصيبه البلاء وقال عليه الصلاة والسلام (مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع تفيئها^(٧) الريح ، تصرعها مرّة وتعدلها مرّة^(٨) حتى تهيج) فحال الشدّة والبلوى مقبلة بالعبد إلى الله عز وجل ، وحال العافية والنعماء صارفة للعبد عن الله تعالى ، وإذا مسّ الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً فلما كشفنا عنه ضره مرّ كأن لم يدعنا إلى ضره مثمه ، فلأجل ذلك تقلّلوا في المآكل والمشارب [والملابس^(٩)] والمناكح والمجالس والمساكين^(١٠) والمراكب وغير ذلك ؛

- (١) كذا في ف ، د . وفي ط (فشمت) .
- (٢) كذا في ف . ولم تثبت هذه اللفظة في باقي النسخ .
- (٣) كذا في كل النسخ ماعدا ز وهامش ل ففيها (يتفقدون) .
- (٤) كذا في كل النسخ ماعدا ف ففيها (صليباً) .
- (٥) كذا في ف ، د . وفي ط (المِشَار) .
- (٦) كذا في كل النسخ ماعدا ف ففيها (مثل الخامة من الزرع) .
- (٧) كذا في د ، ل ، ط . وفي ز (تقلبها) وفي هامش ل (يأتينا) .
- (٨) كذا في كل النسخ ماعدا ل ففيها (وتعدلها أخرى) .
- (٩) كذا في د ، ل ولم تذكر هذه اللفظة في باقي النسخ .
- (١٠) كذا في ف ، د . وفي بقية النسخ تفاوت في ترتيب هذه الأشياء .

ليكونوا على حالة توجب لهم الرجوع إلى الله تعالى والإقبال عليه .
السابعة عشرة الرضا الموجب لرضوان الله تعالى ؛ فإن المصائب تنزل
بالبرِّ والفاجر ؛ فمن سخطها فله السخط وخسران الدنيا والآخرة ، ومن
رضيها فله الرضا ، والرضا أفضل من الجنة وما فيها ؛ لقوله تعالى :
« ورضوان من الله أكبر ، أى من جنات عدن ومساكنها الطيبة .
فهذه نبذة ^(١) مما حضرنا ^(٢) من فوائد البلوى . ونحن نسأل الله تعالى
العفو والعافية في الدنيا والآخرة ؛ فلسنا من رجال البلوى . وفقنا الله تعالى
للعمل بما يحب ^(٣) ويرضى ، وبرأنا من المحن والزايأ .
اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله عوداً على بدء ومختماً على مفتتح
وسلم تسليماً دائماً باقياً إلى يوم الدين آمين ^(٤) وحسبنا الله ونعم الوكيل
ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وسبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم .

(١) كذا في كل النسخ ماعدا ف ، ز ففيها (نبذ) .

(٢) سقط هذا اللفظ من د .

(٣) كذا في ف . ز . وفي ل (للعمل الصالح بما يحب) وفي د (لما يحب) وفي ط (للعمل

الصالح بما يحب ويرضى) .

(٤) لم تثبت هذه اللفظة في ف ، د

1

فهرس الأعلام

فهرس الأعلام

مع تمييز الأعلام الواردة في تعليقات اللجنة بحرف « ت » وما جاء في المقدمة ،
فبحرفه الأبجدي المقابل للرقم في صفحات الكتاب .

- | | |
|---|---|
| <p>ابن بNDAR (على بن بNDAR) : ١٢٠ ، ١٢٠ « ت » .
ابن تيمية (أبو العباس أحمد تقى الدين
ابن عبد الحليم بن عبد السلام) :
ز ، ٢٤ ، ٢٤ « ت » .
ابن الجصاص : ٩٤ .
ابن الجلال (الحسن بن على بن أبي بكر) :
٦٩ « ت » .
ابن الجوزى : ١١٤ .
ابن الحاجب : ل ، ٧٨ .
ابن حبيب : ط .
ابن حجر (الحافظ العسقلانى) : ٥٠ « ت » ،
٩٦ « ت » ، ١٢٢ « ت » .
ابن الخلال = الحسن بن على بن أبي بكر
محمد بن الخلال .
ابن خلكان (شمس الدين أبو العباس أحمد
ابن ابراهيم بن على بن أبي بكر
الشافعى) : ١١ « ت » ، ٢٣ « ت » ،
٦٩ « ت » ، ٧٩ .
ابن خيران (أبو على الحسين بن صالح) :
٧٢ ، ٧٢ « ت » .
ابن دحية (الإمام أبو عمرو عثمان بن الحسن
السبتى) : ٩٦ ، ٩٦ « ت » .</p> | <p>(١)
الآبارى = دواد بن سليمان بن داود
الآبارى .
الآبارى : ٧ « ت » .
آدم (أبو البشر) : ١٥٠ .
ابراهيم بن محمد الشيرازى = أبو اسحاق
ابراهيم بن مقسم (أبو ابن عليه) فى :
ابن عليه .
ابراهيم الجبلى ، فى : داود بن بNDAR .
ابراهيم الخشوعى (أبو بركات) فى : بركات .
ابراهيم (الخليل) عليه السلام : ١١٧ ،
١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ .
ابراهيم المصرى (أبو ذى النون) فى :
ذو النون .
ابراهيم الوراق (أبو احمد) فى : الوراق .
ابن الأثير (المبارك بن محمد الجزرى) :
٨٢ ، ٨٢ « ت » .
ابن الأكفانى = هبة الله بن الأكفانى .
ابن الإمام : ١١٤ .
ابن بنت الأعز (قاضى القضاة) : ح ، ط .
ابن بNDAR (داود بن بNDAR) = داود
ابن بNDAR .</p> |
|---|---|

ابن دريد : ٩٣ .
 ابن دقيق العيد (شيخ الاسلام تقي الدين محمد بن علي القشيري) : ٧٠ ، ٧٠ .
 « ت » : ١٥٤ ، ١٥٤ .
 ابن رافع : ٩٦ « ت » .
 ابن الرفعة : ٦٤ ، ٦٥ .
 ابن الرومي (الشاعر) : ١٣٣ .
 ابن زعيم = سارية .
 ابن سبكتكين (يمين الدولة محمود) : ١١٩ .
 ابن السلموس : ط .
 ابن السمعاني (الإمام أبو مظفر) : ١٢٥ .
 ابن سيرين (محمد الإمام التابعي) : ٧٣ .
 ابن سينا (الشيخ الرئيس أبو علي بن الحسين) : ٧٧ ، ٨٠ .
 ابن شيخ الشيوخ = عبد اللطيف بن شيخ الشيوخ .
 ابن الصفار = أبو القاسم بن الإمام أبي سعد عبد الله بن عمر الصفار .
 ابن الصلاح (تقي الدين عثمان بن الصلاح الكردى) : ٢١ ، ٨٢ ، ٨٢ .
 « ت » : ١١٠ ، ١١٠ .
 ابن عباس = عبد الله بن عباس .
 ابن عبد البر (أبو عمر المحدث الأندلسي) : ٧٤ .
 ابن عرفة : ٨٩ .
 ابن عساكر : ٨٣ « ت » .
 ابن علي (اسماعيل بن ابراهيم بن مقسم) : ٧٣ ، ٧٣ « ت » .
 ابن عمر = عبد الله بن عمر .
 ابن عون : ٧٣ .

ابن الفراء (الحافظ المحدث الحسين بن مسعود البغوي) : ٨٢ ، ٨٢ « ت » .
 ابن الفركاح (الشيخ تاج الدين) : ١٤٧ .
 ابن فضل الله العمري : و .
 ابن الفيل : ٨٩ .
 ابن قاضي الجبل (العباس احمد بن الحسن الحنبلي) : ر ، ح « ت » .
 ابن قاضي الين (جد بشقراء بنت يعقوب) : ٧٢ .
 ابن قطر السمسار : ٩١ .
 ابن القوبع = ركن الدين بن القوبع .
 ابن ماجه : ٨٢ « ت » .
 ابن المبارك = عبد الله بن المبارك .
 ابن مرداس = العباس بن مرداس .
 ابن مسعود = عبد الله بن مسعود .
 ابن المظفر الأشعري = أبو العباس ابن المظفر .
 ابن مقسم (جد ابن علي) في : ابن علي .
 ابن النقيب (محمد بن أبي بكر) : ٥ ، ٥ « ت » .
 ابن هبيرة (الوزير) : ٩٢ .
 ابن الوردى : و .
 ابن يزيد : ٩٣ « ت » .
 ابن يونس : ١٤١ .
 أبو الأسود الدؤلي (ظالم بن عمرو) : ٨٤ « ت » .
 أبو اسحاق الشيرازي (الإمام ابراهيم ابن محمد) : ٨٤ ، ٨٤ « ت » .

أبو اسحاق المروزي : ١٢٨ .
 أبو البركات اسماعيل بن أبي سعد بن أحمد
 النيسابوري = شيخ الشيوخ .
 أبو بكر بن أيوب (أبو السلطان الكامل)
 في : السلطان الكامل .
 أبو بكر أحمد بن الحسن = البيهقي .
 أبو بكر الباقلاني (القاضي) : ٧٩ ، ٧٩٠
 « ت » : ٨٠ ، ١٣٧ .
 أبو بكر الشاشي (محمد بن أحمد بن الحسين
 بن عمر) : ٨٥ « ت » .
 أبو بكر الشبلي (دلف بن جندر) :
 ١٢٠ ، ١٢٠ « ت » .
 أبو بكر (الصديق عبد الله بن أبي قحافة
 الخليفة الراشد) : ٢٣ ، ٤٤ ، ٧٥ ، ٨٠ ،
 ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٤٨ .
 أبو بكر محمد بن أحمد بن عثمان بن أبي
 الحديد : ٧ ، ٧ « ت » .
 أبو بكر محمد بن جعفر الخرائطي السامري :
 ٧ ، ٧ « ت » .
 أبو بكر محمد بن الخلال في : الحسن بن علي
 بن أبي بكر الخ .
 أبو بكر محمد بن يحيى العدوي : ٧٢ ، ٧٣ .
 أبو جعفر الطحاوي (أحمد بن محمد بن
 سلامة) : ٢٢ ، ٢٢ « ت » : ٢٣ ،
 ٢٣ « ت » : ٧٥ .
 أبو حامد الإسفرايني (القاضي) : ٤٤ ، ٤٤
 « ت » : ٧٩ .
 أبو حامد الغزالي (حجة الإسلام) =
 الغزالي .

أبو الحديد = أبو بكر محمد بن أحمد بن
 عثمان .
 أبو الحسن الأشعري : ٢٣ ، ٢٣ « ت » .
 ٧٥ ، ٧٩ « ت » : ٨٠ ، ٩٦٠ « ت »
 أبو الحسن علي بن أحمد البصري : ٧٢ « ت »
 أبو حفص بن الصفار = عصام الدين
 أبو حفص الخ .
 أبو حنيفة (النعمان الإمام) : ٣٩ ، ٤٤ ،
 ٧٤ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٨٠ ، ٨٧ ، ١٠٢ .
 ١٠٣ ، ١٤٣ .
 أبو حيان التوحيدى (علي بن محمد بن العباس) :
 ٤٤ ، ٤٤ « ت » : ٩٧ ، ١٢٥ .
 أبو خالد ، في : إسماعيل بن أبي خالد .
 أبو داود (صاحب السنن) : ٥ ، ٤٣ ، ٤٣٠
 « ت » : ٥٢ ، ٥٢ « ت » : ٨٢ ، ١١٦ .
 أبو زرعة : ٩٥ .
 أبو سعد بن أحمد النيسابوري (أبو شيخ
 الشيوخ) في : شيخ الشيوخ .
 أبو سعد المحسن بن محمد الجشمي : ٦٩ .
 أبو سليمان الجيلي = داود بن بNDAR .
 أبو طالب ؛ في : علي بن أبي طالب .
 أبو طالب ؛ في : يحيى بن أبي طالب
 أبو طاهر السلفي (الحافظ) أو (الحافظ بن
 طاهر) أو (الحافظ بن أبي طاهر) :
 ٦٩ ، ٦٩ « ت » : ٩١ .
 أبو الطاهر يوسف بن عمر بن يوسف : ٧
 أبو الطيب المتنبي = المتنبي .
 أبو العباس المظفر = أبو العباس بن المظفر
 الأشعري .

أبو اسحاق المروزي : ١٢٨ .
 أبو البركات اسماعيل بن أبي سعد بن أحمد
 النيسابوري = شيخ الشيوخ .
 أبو بكر بن أيوب (أبو السلطان الكامل)
 في : السلطان الكامل .
 أبو بكر أحمد بن الحسن = البيهقي .
 أبو بكر الباقلاني (القاضي) : ٧٩ ، ٧٩٠
 « ت » : ٨٠ ، ١٣٧ .
 أبو بكر الشاشي (محمد بن أحمد بن الحسين
 بن عمر) : ٨٥ « ت » .
 أبو بكر الشبلي (دلف بن جندر) :
 ١٢٠ ، ١٢٠ « ت » .
 أبو بكر (الصديق عبد الله بن أبي قحافة
 الخليفة الراشد) : ٢٣ ، ٤٤ ، ٧٥ ، ٨٠ ،
 ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٤٨ .
 أبو بكر محمد بن أحمد بن عثمان بن أبي
 الحديد : ٧ ، ٧ « ت » .
 أبو بكر محمد بن جعفر الخرائطي السامري :
 ٧ ، ٧ « ت » .
 أبو بكر محمد بن الخلال في : الحسن بن علي
 بن أبي بكر الخ .
 أبو بكر محمد بن يحيى العدوي : ٧٢ ، ٧٣ .
 أبو جعفر الطحاوي (أحمد بن محمد بن
 سلامة) : ٢٢ ، ٢٢ « ت » : ٢٣ ،
 ٢٣ « ت » : ٧٥ .
 أبو حامد الإسفرايني (القاضي) : ٤٤ ، ٤٤
 « ت » : ٧٩ .
 أبو حامد الغزالي (حجة الإسلام) =
 الغزالي .

أبو القاسم محمود بن عمر الزنجشري =
الزنجشري .

أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن يحيى
العثماني الديباجي = الديباجي .

أبو محمد الجويني (عبد الله بن يوسف
الشافعي أبو إمام الحرمين) : ١١٩ ،
١١٩ « ت »

أبو مسعود القاضي = القاضي أبو مسعود .
أبو مسهر : ٨٩ .

أبو مشر = مشر .
أبو مظفر بن السمعاني = ابن السمعاني .

أبو المعالي إمام الحرمين الجويني ؛ عبد الملك
ابن الشيخ أبي محمد : ٧٩ ، ٧٩

« ت » ٨٠ ، ١١٩ ، ١١٩ « ت » .
أبو منصور الدمياطي = فتح الدين بن علي

أبو موسى الأشعري : ٢٣ « ت »
أبو نصر تاج الدين السبكي = تاج الدين

السبكي .
أبو نصر الفارابي = الفارابي .

أبو نواس : ١٠٣ .
أبو هريرة : ٥٢ ، ٥٢

أبو هند في : سعيد بن أبي هند
أبو يزيد : ٩٨ .

أحمد بن إبراهيم الوراق = الوراق .
أحمد بن الحسن البيهقي = البيهقي .

أحمد بن الحسن الحنبلي = ابن قاضي الجبل .
أحمد بن حنبل (الإمام الحافظ أبو عبد الله) :

ص ٧ ، « ت » ٣٩ ، ٧٦ ، ٨٢ ، ٨٧ ،
١٠٢ : ١٤٧ .

أبو العباس بن المظفر الأشعري : ٦٩ ، ٨٥
أبو العباس الوراق = الوراق .

أبو عبد الله الحافظ : ١٥٤ .
أبو علقمة الواسطي : ٩٢ ، ٩٣ .

أبو علي بن سينا (الرئيس) = ابن سينا
أبو علي الروذباري = الروذباري .

أبو علي الدقاق : ٨٥ .
أبو عمر بن عبد البر = ابن عبد البر .

أبو عمر الأوزاعي .
أبو عمرو بن دحية = ابن دحية .

أبو عمرو بن العلاء : ٩١ ، ٩١ « ت » .
أبو عمرو إسحاق بن مرار الشيباني : ٧ ،

٧ « ت » .
أبو الفتح الثقفي : ١٥٥ .

أبو الفداء : ٧٩ « ت » .
أبو فراس بن حمدان : ١١٨ .

أبو الفرج البغدادي : ٩٧ .
أبو الفتح بن دقيق العيد = ابن دقيق العيد .

أبو الفضل إسماعيل الحاكم = الحاكم
أبو الفضل .

أبو القاسم بن الإمام أبي سعد عبد الله بن
عمر الصفار : ٨٥ .

أبو القاسم الجنيد = الجنيد .
أبو القاسم الراغب : ٩٥ .

أبو القاسم سليمان بن أحمد = الطبراني .
أبو القاسم عبد الله بن هوازن القشيري :

١١ ، ١١ « ت » ٧٥ ، ٨٥ ، ١٢٠ .
أبو القاسم علي بن محمد بن علي النيسابوري

السكوني : ٧٢ .

أحمد بن صالح المصري : ٧٤ .
 أحمد بن عبد الواحد بن محمد : ٧ .
 أحمد بن عثمان بن أبي الحديد في : أبو بكر
 محمد بن أحمد .
 أحمد بن عثمان الذهبي (أبو الحافظ شمس
 الدين) في : الذهبي .
 أحمد بن علي الجزري = الجزري .
 أحمد بن علي الحنبلي : ٦٩ .
 أحمد بن القاسم الصوفي (أبو محمد الروذباري)
 في : الروذباري .
 أحمد بن فطر السمسار (أبو محمد) في :
 ابن فطر .
 أحمد بن محمد بن إسحاق الخوارزمي : ٦٩ .
 أحمد بن محمد بن سلامة = أبو جعفر
 الطحاوي .
 أحمد بن محمد الغزالي (أخو أبي حامد محمد
 حجة الاسلام) : ٨٦ .
 أحمد بن منصور بن الصفار (أبو عمر بن
 أحمد) في : عصام الدين أبو حفص .
 أحمد بن منيع : ٦ .
 أحمد بن هبة الله بن عساكر : ٨٥ .
 إسحاق بن عبد الله بن عمر قاضي اليمن : ٧٣ .
 إسحاق بن مرار الشيباني = أبو عمر
 إسحاق الخ .
 إسحاق الخوارزمي في : أحمد بن محمد بن
 إسحاق .
 إسحاق الكندي (أبو يعقوب) في :
 يعقوب .
 الاسفرائني = أبو حامد الاسفرائيني .

أسماء بنت أبي بكر : ١٢٢ .
 إسماعيل بن أبي خالد : ٧ .
 إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم = ابن عليّة
 إسماعيل بن إبراهيم (النبي عليهما السلام) .
 ١٥٨ .
 إسماعيل بن أبي سعد شيخ الشيوخ
 النيسابوري = شيخ الشيوخ .
 إسماعيل بن سعد العدل : ٩١ .
 إسماعيل بن عبد الله بن عمر بن قاضي
 اليمن : ٧٢ .
 إسماعيل الحاكم : في : الحاكم أبو الفضل
 الأشرف = السلطان الأشرف .
 الأشعث بن قيس الكندي : ٦ .
 الأشعري = أبو الحسن الأشعري .
 الأشموني : ٩٧ « ت » .
 الاصطخرى : ١٤٢ .
 الأصمعي : ٩٣ .
 أعين (الطيب) : ٩٢٠ ، ٩٣ .
 الأكفاني = هبة الله بن الأكفاني .
 الإمام إبراهيم بن محمد الشيرازي =
 أبو إسحاق .
 الإمام أبو سعد عبد الله بن عمر الصفار : ٨٥ .
 الإمام أبو عمرو بن دحية = أبو عمرو
 ابن دحية .
 إمام الحرمين = أبو المعالي (إمام الحرمين)
 الجويني .
 الإمام الشافعي = الشافعي .
 الإمام شمس الدين القدسي = شمس الدين
 محمد القدسي .

(ت)

ميرس = الظاهر بيبرس .
البيضاوى (القاضى صاحب المنارج) : ى .
البيهقى (الإمام أبو بكر أحمد بن الحسن
الشافعى الحافظ) : ٨٢ ، ٨٣ «ت» ٨٣٠
«ت» ١٤٧٠ .

تاج الدين السبكى الشافعى (شيخ الإسلام) :
المؤلف .

تاج الدين المراكشى (محمد بن ابراهيم) :
٩٦ ، ٩٦ «ت» .

الترمذى (صاحب السنن وهو أبو جعفر
محمد بن أحمد بن نصر الشافعى) : ٨٢ ، ٥٠ .
تقى الدين بن تيمية = ابن تيمية .

تقى الدين بن دقيق العيد — ابن دقيق العيد .
تقى الدين السبكى = السبكى .

تقى الدين عثمان بن الصلاح = ابن الصلاح .
التمار (أبو الحسن على بن أحمد بن صالح
البصرورى) : ٧٢ ، ٧٢ «ت» .

التوحيدى = أبو حيان التوحيدى .
التهامى (الشاعر الأندلسى هو أبو الحسن
ابن على بن محمد) : ١٥٤ .

(ث)

ثمود : ١٠٠ .
ثوبان بن ابراهيم المصرى = ذو النون .
الثورى = سفيان الثورى .

أم المؤمنين = عائشة .

أمير على الماردنى : د ، ز ، ص .

الأنبارى : ٧ «ت» .

أنس بن مالك (الصاحب) : ٨٣ «ت» .

الأنصارى (فى شاهد) : ٨٩ .

الأوزاعى : ١١٧ .

أيوب رأس الأمرة الأيوبية : فى : السلطان
الكامل .

(ب)

الباقلانى = أبو بكر .

البخارى «الإمام أبو عبد الله محمد بن
اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن
بردزبه»

الحافظ صاحب الجامع الصحيح : ٢٤

«ت» ٨٢ ، «ت» .

بركلان (المستشرق الألمانى) : ى ، ن .

بركات بن ابراهيم الخشوعى : ٧ ، ٧ «ت»

البرمكى = يحيى بن خالد البرمكى .

برهان الدين الرسعى : و

برهان الدين السنجارى (الخضر بن حسن

ابن على : و

البغوى الحافظ الحسين بن مسعود =

ابن الفراء .

بكار (أبو الزبير) فى : الزبير .

البلقىنى = سراج الدين .

بنت الأعز : فى : ابن بنت الأعز .

بهاء الدين بن حنا : ن .

البهاء السبكى : و

الحريري : ٩١ « ت » .

الحسن بن علي ، أو : (الحسن بن أبي بكر

محمد بن الخلال) : ٦٩ ، ٦٩ « ت » .

الحسن البصري : ١٥٣ .

الحسين بن مسعود البغوي = ابن الفراء .

حفص (الإمام القاري) : ٨ « ت » .

الحناط ، أو : (الحنيطي) : ٩٠ ، ٩٠ « ت » .

الحنبلي = أحمد بن علي الحنبلي .

الحياط : ٩٠ « ت » .

(خ)

خالد البرمكي (أبو يحيى بن خالد) في : يحيى
ابن خالد .

الخطاط : ٩٠ « ت » .

الخرايطي = أبو بكر محمد بن جعفر

الخرايطي السامري .

الخشوعي = بركات بن ابراهيم الخشوعي .

الخضر بن حسن بن علي = برهان الدين

السنجاري .

الخطاب (أبو عمر بن الخطاب) في : عمر

خواجا نصير = نصير الدين الطوسي .

الخوارزمي = أحمد بن محمد بن إسحاق

الخوارزمي .

الخطاط : ٩٠ ، ٩٠ « ت » .

(د)

داود بن بندار بن ابراهيم الجيلي أبو

سليمان : م .

(ج)

جبريل (عليه السلام) : ٨٠ ، ٨١ « ت » .

الجراح بن مليح : ٦

الجرجاني (القاضي أبو الحسن علي بن

عبد العزيز) : ٦٩ ، ٦٩ « ت » .

الجزري (أحمد بن علي) : ٩١

الجزري = ابن الأثير .

جعفر الخرايطي : في : أبو بكر محمد بن

جعفر الخرايطي .

جعفر الهمداني : ٦٩ .

جمال الدين الإسنوي : ز .

الجنيد بن محمد (أبو القاسم شيخ الصوفية

وإمامهم) : ١١٩ ، ١١٩ « ت »

١٢٠ « ت » ، ١٢١ ، ١٥٢ .

الجهشياري : ٢٨ « ت » .

الجويني = أبو محمد .

الجويني = أبو للمالي .

الجلي = داود بن بندار .

(ح)

الحاكم أبو الفضل اسماعيل بن محمد بن

الحسن : ٦٩ .

الحافظ بن طاهر : أو : ابن أبي طاهر =

أبو طاهر .

الحافظ أبو العباس بن الظفر =

أبو العباس الخ .

الحجاج (هو ابن يوسف النقي) : ١٥٤ .

داود بن سليمان بن داود الآباري : ٧ ،
٧ « ت » .

الدقاق = أبو علي الدقاق .

دلف بن جحدر = أبو بكر الشبلي .

الدمياطى = فتح الدين بن علي أبو منصور
الدمياطى .

الديباجي (الإمام أبو محمد عبد الله بن

عبد الرحمن بن يحيى العثاني الديباجي) :

٦٩ ، ٦٩ « ت » .

(ذ)

الذهبي (الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن

عثمان : د . ٧٤ ، ٨٧ ، ٨٧ « ت » .

ذو بطن بن خارجة : ١٢٢ .

ذو النون المصري (ثوبان بن إبراهيم

الصوفي) : ١٢٠ ، ١٢٠ « ت » .

(ر)

الرازي = نضر الدين الرازي .

الرافعي (الفقيه) : ٣٩ ، ٤٥ ، ٦٥ ، ١٢٧ ،

١٢٣ ، ١٣٦ ، ١٤٧ .

الرسول = (محمد عليه السلام) .

رسول الله (عليه السلام) = محمد

عليه السلام .

ركن الدين بن القويح (محمد بن عبد الرحمن

التونسي المالكي) : ٩٦ ، ٩٦ « ت » .

الروذباري (أبو علي محمد بن أحمد بن

القاسم الصوفي) : ١٢٠ ، ١٢٠ « ت » .

(ز)

الزبير بن بكار : ٩٤ .

الزرقاني : ٤٣ « ت » .

الزخشري (أبو القاسم محمود بن عمر بن

محمد) : ٦٩ ، ٨٠ ، ٨١ .

الزيادي = أبو طاهر الزيادي .

زينب بنت الكمال المقدسية : ٦٩ ، ٦٩ « ت » .

(س)

سارة : ١٥٨ .

سارية بن زعيم : ١٢٢ ، ١٢٢ « ت » .

السامري = أبو بكر محمد بن جعفر

الخرائطي السامري .

سبكتكين في : ابن سبكتكين .

السبكي (الإمام تقي الدين شيخ الإسلام

والد المؤلف) : د ، هـ ، و ، ز ، ج ، ط ،

ك ، ل ، م ، ن ، س ، ف ، ٩ ، ٢٣ .

« ت » : ٢٤ ، ٣٩ ، ٥٣ ، ٥٦ ، ٥٧ ،

٦١ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٧٤ ، ٧٨ ،

٨٠ ، ٨١ ، ١١١ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١٢٢ ،

١٢٤ ، ١٢٧ ، ١٣٢ ، ١٣٩ ، ١٤٩ .

مراج الدين البلقيني : ز .

سميد بن أبي هند : ٥٢ ، ٥٣ .

مسعد العدل (أبو اسماعيل) في :

اسماعيل بن مسعد .

سفيان الثوري : ٦٣ ، ٦٨ .

السلطان الأشرف : ح .

السلطان الكامل (محمد بن أبي بكر بن

أيوب) : ٩٦ .

شمس الدين محمد المقدسي : ١٤٦ « ت » .
 الشهرزوري : ١٢٨ « ت » .
 الشيباني = أبو عمرو بن إسحاق بن مرار .
 شيخ الإسلام أبو الفتح بن دقيق العيد =
 ابن دقيق العيد .
 شيخ الإسلام ؛ سلطان العلماء عز الدين
 عبد السلام = عز الدين الخ .
 شيخ الإسلام يحيى بن شرف = النووي
 الشيخ تاج الدين = تاج الدين المراكشي
 شيخ الشيوخ (أبو البركات إسماعيل بن
 أبي سعد بن أحمد النيسابوري) : ٧٢
 الشيرازي = أبو إسحاق الشيرازي .

(ص)

الصافاني (الحسن بن محمد) : ٨١ : ٨١
 « ت » .
 الصديق = أبو بكر الصديق .
 صفي الدين الهندي (محمد بن عبد الرحيم) :
 ٩٦ ، « ت » .
 صلى الله عليه وسلم = محمد (عليه السلام) .
 الصيمري : ١٠٤ .

(ط)

الطبراني (أبو القاسم سليمان بن أحمد
 الحافظ) : ٨٢ : ٨٢ ، « ت » : ٨٣ .
 الطبري = عبد الرحمن بن حسين الطبري .
 الطحاوي = أبو بكر الطحاوي .
 طرغاي (نائب حلب) : و
 طليحة بن خويلد الأسدي : ١٦٠ .

السلطان لاجين : ٧٠ « ت » .
 السلفي = أبو طاهر السلفي .
 سليمان بن أحمد الطبراني = الطبراني .
 سليمان بن داود الآباري : في : داود
 ابن سليمان .
 سليمان (أبو عبد السميع) في : عبد السميع .
 السمسار = ابن قطر .
 السنجاري = برهان الدين السنجاري .
 سيف الدولة قطز = قطز .
 السيوطي (الحافظ جلال الدين) : ط
 سيد الأولين والآخرين = محمد (عليه
 السلام) .
 سيد المرسلين = محمد (عليه السلام) .

١

الشاشي = أبو بكر الشاشي .
 الشافعي (محمد بن إدريس الإمام) : ل ،
 س ٨٤ ، ٨٤ « ت » : ١٥٤ ، ١٥٤ « ت » ،
 ٢٠ ، ٢٢ ، ٥٥ ، ٧٤ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٩ :
 ٨٠ ، ٨٣ ، ٨٥ ، ٨٧ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ،
 ١٢٥ ، ١٤٣ .

الشبلي = أبو بكر الشبلي .
 الشعراني (الشيخ عبد الوهاب) : ز ، ح
 ١٢٠ « ت » .
 شقراء بنت يعقوب بن إسماعيل بن عمر
 قاضي اليمن : ٧٢ .
 شمس الدين الذهبي = الذهبي .

الطوسي الغزالي = أبو حامد .
الطوسي = نصير الدين الطوسي .

(ظ)

الظاهر بيبرس : ٥١ .

(ع)

عاصم : في : علي بن عاصم .
عائشة : أم المؤمنين : ٧٥ ، ١٢١ ، ١٢٢ .
العباس بن مرداس : ٩٧ .
العباس (أبو عبد الله بن عباس) في :
عبد الله .
عبد السلام (أبو العزير عبد السلام شيخ
الإسلام) في : عز الدين .
عبد السميع بن سليمان . ٧٣ .
عبد العزيز (أبو عمر بن عبد العزيز) في :
عمر .
عبد العزيز الجرجاني (أبو علي بن عبد العزيز)
في : الجرجاني .

عبد الغفار القزويني : ٨٣ ، ٨٣ « ت » .
عبد الكريم بن محمد المحاملي = المحاملي
عبد الكريم بن هوازن = أبو القاسم
القشيري .

عبد اللطيف بن شيخ الشيوخ النيسابوري : ٧٢ .
عبد الله (شاهد في شعر) ٩٧ ، ٩٨ .
عبد الله بن عباس . ١٠٤ .
عبد الله بن عبد الرحمن الديباجي = الديباجي
عبد الله بن عمر : ١٤٧ .

عبد الله بن عمر الصفار = عصام الدين .
أبو حفص الخ .

عبد الله بن المبارك : ٦٣ ، ٧٣ ، ٧٣ « ت » .
عبد الله بن مسعود : ٤٣ ، ١٥٧ .

عبد الملك ابن الشيخ أبي محمد إمام الحرمين
= أبو المعالي الجويني .

عبد الرحمن بن حسين الطبري : ٨٥ « ت » .
عبد الرحمن بن يحيى العناني الديباجي
(أبو عبد الله) في : الديباجي .
عبد شمس : ٩٧ ، ٩٨ .

عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي =
تاج الدين السبكي .

عبد الهادي (أبو محمد) في : محمد بن
عبد الهادي .

عثمان بن أبي الحديد في : أبو بكر بن محمد
ابن أحمد بن عثمان .

عثمان بن الحسن السبتي = ابن دحية .

العدوي = أبو بكر محمد بن يحيى العدوي
عدوي : ١٤٧ .

العراقي = عيسى بن محمد .

العزير بن عبد السلام = عز الدين

عز الدين بن عبد السلام (شيخ الإسلام
وسلطان العلماء) : ٥١ ، ٥١ « ت » ،

١١٤ ، ١١٥ ، ١٤٥ ، ١٥٦ .

عصام الدين أبو حفص عمر بن أحمد بن

منصور بن الصفار . ٨٥ .

عقيل بن أحمد (أبو محمد بن عقيل) في :

محمد بن عقيل .

العنسى (الأسود العنسى المتنبئ، الكاذب) :

١٦٠ .

عونة (امرأة) : ١٠٠ .

عيسى بن عمر النحوى : ٩٢ ، ٩١ .

(غ)

الغزالى (أبو حامد محمد بن محمد بن محمد

الطوسى حجة الإسلام) : ٧٨ ،

٨٦ ، ١١٤ ، ١٣١ ، ١٤٢ .

الغزالى (أحمد بن محمد بن محمد الطوسى

أخو حجة الإسلام) = أحمد الغزالى .

(ف)

الفارابى (أبو نصر) : ٧٧

فاضل باشا : ص

فاطمة بنت أبي عمر : ٦٩ ، ٦٩ « ت »

الفتح البقى : ١٥٥

الفتح الثقفى : ١٥٥ « ت »

فتح الدين بن على أبو منصور الدماطى :

٩٠ ، ٨٦

نفر الدين الرازى (الإمام القسرى) : ٧٨

فرعون (لغز) : ١٠٠

فرعون (الملك) : ١٥٩

الفضيل بن عياض : ٦٧ ، ٦٧ « ت »

(ق)

قارون : ١٠٠

القاضى أبو حامد = الإسفرائينى

على بن أبى طالب (أمير المؤمنين) : ٢٠ ،

١٢٢ ، ٤٤ .

على بن إسماعيل = أبو الحسن الأشعرى

على بن أبى محمد بن الجلال فى : الحسن بن على الخ

على بن حاصم : ٧ .

على بن عبد العزيز الجرجانى = الجرجانى .

على بن عبد الكافى : ل .

على بن محمد بن على النيسابورى =

أبو القاسم على الخ .

على بن الهيثم : ٩٢ ، ٩٢ « ت » .

على النيسابورى ، فى : أبو القاسم على بن

محمد بن على النيسابورى .

عمر بن أحمد بن منصور الصفار =

عصام الدين أبو حفص .

عمر بن الخطاب (أمير المؤمنين) : ١٩ ،

١٩ « ت » ، ٢٢ ، ٢٤ « ت » ،

٧٥ ، ٨٠ ، ١٢٢ ، ١٢٣ .

عمر بن عبد العزيز (أمير المؤمنين) : ٣٣

١٥٣ ، ١٥٤ .

عمر بن قاضى اليمين (أبو إسماعيل ؛

واسحاق) فىهما .

عمر بن محمد الزنجشرى (أبو محمود الزنجشرى)

فى : الزنجشرى .

عمر بن يوسف (أبو يوسف) فى : يوسف

ابن عمر بن يوسف .

عمر بن العاص : ١٢٣ .

العمرى = ابن فضل الله العمرى .

عنتر (عنتر بن شداد العبسى) : ١٤٣

البارك بن عبد الجبار : ٩١ .
 المبارك بن محمد الجزري = ابن الاثير .
 التتني (أبو الطيب) : ٦٩ « ت » .
 المحاملي عبد الكريم بن محمد : ٩١ .
 المحسن بن محمد الجشمي = أبو سعد
 المحسن الخ .
 محمد (رسول الله عليه السلام) : ج ، ١ ، ٣ ،
 ٤١ ، ٣٤ ، ٣٣ ، ٢٤ ، ٢٣ ، ٦٥ ،
 ٤٩ ، ٤٣ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٦٠ ، ٧٧ ، ٧٨ ،
 ٨٠ « ت » ، ٨١ ، ٨١ « ت » ، ٨٣ ،
 ٨٦ ، ٩٧ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٩ ،
 ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٥ ، ١١٦ ،
 ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٣٠ ،
 ١٣٥ ، ١٤١ ، ١٤٣ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ،
 ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ،
 ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ،
 ١٦١ .
 محمد بن أحمد بن عثمان أبي الحديد = أبو
 بكر بن محمد الخ .
 محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي = الذهبي .
 محمد بن أحمد القاسم = الروذباري .
 محمد بن أحمد بن قطر السمسار = ابن
 قطر السمسار .
 محمد بن إدريس الشافعي (الإمام) =
 الشافعي .
 محمد بن إسحاق الخوارزمي (أبو أحمد)
 في : أحمد بن محمد الخ .
 محمد بن جعفر الخرائطي = أبو بكر محمد
 ابن جعفر الخرائطي .
 محمد بن الحسن (أبو إسماعيل الحاكم)
 في : الحاكم أبو الفضل .

القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز
 الجرجاني = الجرجاني
 القاضي أبو مسعود (يعني صالح بن أحمد
 ابن القاسم بن يوسف) : ٧٢
 القزويني = عبد الغفار القزويني .
 القشيري = أبو القاسم عبد الكريم بن
 هوازن القشيري .
 القشيري = محمد بن علي القشيري .
 قطز (الملك المظفر سيف الدين) : ٥١
 القفال (العلامة الفقيه وهو القفال الصغير
 أبو بكر عبد الله بن أحمد بن
 عبد الله المزوي) : ١١١ ، ١٥٠ .
 قيس الكندي (أبو الأشعث بن قيس)
 في : الأشعث .

(ك)

الكامل محمد بن أبي بكر بن أيوب =
 السلطان الكامل .
 الكندي = الأشعث بن قيس الكندي .

(ل)

لاجين = السلطان لاجين .

(م)

المارديني = أمير علي المارديني .
 مارية (القبطية) : ٨١ « ت » .
 المأمون (أمير المؤمنين) : ٩٢ « ت » ،
 ١٠٤ ، ١٠٥ .
 مالك بن أنس (الإمام) : ط ، ٣٩ ،
 ٧٦ ، ٨٧ ، ١٠٢ ، ١٠٣ .

محمد بن الخلال في : الحسن بن علي الخ .
 محمد بن عبد الرحمن التونسي = ركن
 الدين بن القوبع .
 محمد بن عبد الهادي : ٦٩ ، ٩١
 محمد بن عقيل بن أحمد : ٧
 محمد بن علي القشيري = ابن دقيق العيد .
 محمد بن علي النيسابوري : في : أبو القاسم
 علي بن محمد الخ .
 محمد بن يحيى العدوي = أبو بكر محمد
 ابن يحيى .
 محمد الجشمي (أبو الحسن) في : أبو سعد
 الحسن بن محمد .
 محمد الزنجشري (أبو عمر بن محمد) في :
 الزنجشري .
 محمد الصادق حسين بك : د
 محمد المحاملي (أبو عبد الكريم) في :
 المحاملي .
 محمد يوسف موسى (الشيخ) : ج
 محمود بن سبكتكين = ابن سبكتكين .
 محمود بن عمر بن محمد الزنجشري = الزنجشري
 محمود الوراق : ٨ .
 المروزي = أبو إسحاق المروزي .
 المزني (هو إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل
 ابن عمرو بن إسحاق اللكني بأبي
 إبراهيم صاحب الشافعي) : ٢٢ .
 المزني (جمال الدين أبو الحجاج يوسف
 ابن عبد الرحمن بن يوسف القضاة
 ثم الكلي) : د
 مسلم (بن الحجاج القشيري) : ٤٣ ، ٨٢
 (ت) : ١١٥ ، ١٤١ ، ١٥٢ .

مسيلمة (الخفي الكذاب) : ١٦٠ .
 مشهور : ٨٩ « ت » .
 المصطفى (عليه السلام) = محمد (عليه
 السلام) .
 معاوية بن أبي سفيان (أمير المؤمنين) : ٤٣ .
 المعتصم (أمير المؤمنين العباسي) : ١١٨ .
 المعدل = إسماعيل بن سعد المعدل .
 الملك الظاهر بيبرس = الظاهر بيبرس .
 الملك المنصور قلاوون = المنصور قلاوون .
 المنصور (أمير المؤمنين للمنصور العباسي) :
 ٢٨ ، ٢٨ « ت » .
 منصور بن الصفار : ٨٥ .
 المنصور قلاوون (الملك) : ٥١ ، ٥١ « ت » .
 منصور النمرى (الشاعر) : ٢٧ « ت » .
 منيع (أبو أحمد) في : أحمد بن منيع .
 مهر من (المستشرق السويدي) : ن .
 موسى (عليه السلام) : ٧ ، ٩٧ « ت » .

(ن)

النبي صلى الله عليه وسلم = محمد (عليه
 السلام) .
 النسائي (هو أحمد بن علي بن شعيب ابن
 علي) : ٢٤ « ت » ، ٨٢ « ت » .
 نصير الدين الطوسي (محمد بن محمد ابن
 الحسن) : ٧٨ ، ٧٩ ، ٧٩ « ت » ، ٨٠ ،
 ٨٠ « ت » .
 نصير الطوسي = نصير الدين .
 النعمان بن بشير (الصاحب) : ٥
 النمرى (الشاعر) = منصور النمرى .

الوراق (أبو العباس أحمد بن إبراهيم
الوراق) : ٩١ .
الوراق (محمود) = محمود الوراق .
وستنفلد (المستشرق) : ن .
وكيع بن الجراح بن مليح : ٦ .

(ى)

ياقوت (الحموى) : ٥ « ت » .
يحيى بن أبى طالب : ٧ .
يحيى بن خالد البرمكى : ٢٧ « ت » .
يحيى بن شرف (شيخ الإسلام) = النووى
يحيى العثمانى الديباجى ؛ فى : الديباجى .
يحيى العدوى (أبو محمد) فى أبو بكر محمد
ابن يحيى .
يعقوب بن إسحاق الكندى : ٩٥ .
يعين الدولة محمود بن سبكتكين = ابن
سبكتكين .
يوسف (الصديق) عليه السلام : ٢١ « ت »
يوسف بن عمر = أبو الطاهر .
يوسف بن عمر العراقى : ٩٢ .

النواوى أو النووى (شيخ الإسلام يحيى
ابن شرف الشافعى الأنصارى) :
د ، د « ت » ٢٠ ، ٣٩ ، ٤٥ ، ٦١ ،
٨٢ ، ٨٢ « ت » ١١٤ ، ١١٥ ، ١٢٧ ،
١٣١ ، ١٣٣ ، ١٤٧ .
النيسابورى = أبو القاسم على بن محمد
ابن على .

(هـ)

هاجر : ١٥٨ .
هاشم : ٩٧ .
هامان (لغز) : ١٠٠ .
هبة الله بن الألفانى (أبو محمد بن أحمد)
٧٤٧ « ت »
الهمدانى = جعفر الهمدانى .
الهيثم (أبو على) ؛ فى : على بن الهيثم .

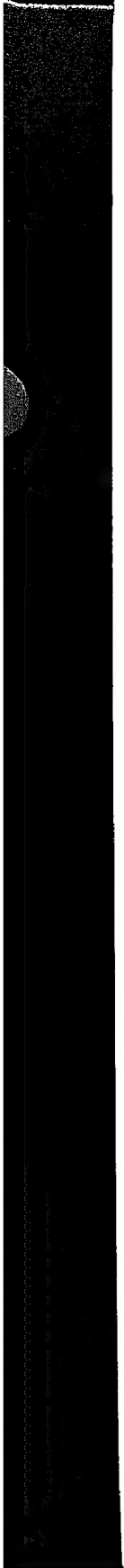
(و)

الواسطى أبو علقمة = أبو علقمة الواسطى

فهرس الموضوعات

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
١	مقدمة المؤلف	٣٩	المثال الثامن والعشرون (الطواشية)
	(الكلام على النعم وشكرها)	٤٠	» التاسع » (الحاجب)
١٢	المثال الأول		» الثلاثون (النقباء في أبواب
١٢	» الثاني	٤٢	الحجاب والولاية وغيرهم)
١٣	» الثالث	٤٣	» الحادى والثلاثون (الوالى)
١٥	» الرابع	٤٦	» الثانى » (البواب)
١٦	» الخامس	٤٦	» الثالث » (أمراء الدولة)
٢١	» السادس (نواب السلطنة)	٥٤	» الرابع » (الأجناد)
٢٥	» السابع (الدوادار)	٥٤	» الخامس » (أمراء العرب
٢٦	» الثامن (الخازندار)		في هذا الزمان)
٢٦	» التاسع (أستاذ الدار)	٥٥	» السادس » (القاضى)
٢٧	» العاشر (الوزير)	٦٠	» السابع » (كاتب القاضى)
٢٨	» الحادى عشر (مشد الدواوين)	٦١	» الثامن » (حاجب »)
٢٩	» الثانى » (الدواوين في سائر	٦٢	» التاسع » (نقيب »)
	الجهات)	٦٢	» الأربعون (أمناء »)
٣٠	» الثالث » (كاتب السر)	٦٢	» الحادى والأربعون (وكلاء دار
٣١	» الرابع » (الموقعون)		القاضى)
٣١	» الخامس » (المهمندار)	٦٣	» الثانى » (اليهود)
٣٢	» السادس » (البريدية)	٦٤	» الثالث » (ناظر الروقف
٣٣	» السابع » (ناظر الجيش)		ونحوه)
٣٤	» الثامن » (السلحدار)	٦٥	» الرابع » (وكيل بيت المال)
٣٤	» التاسع » (الجقدار)	٦٥	» الخامس » (المحتسب)
٣٥	» العشرون (الضبردار)	٦٧	» السادس » (العلماء)
٣٥	» الحادى والعشرون (الجوكاندار)	١٠١	» السابع » (المفتى)
٣٥	» الثانى » (الجمدارية)	١٠٥	» الثامن » (المدرس)
٣٦	» الثالث » (البشمقدار)	١٠٨	» التاسع » (المعيد)
٣٧	» الرابع » (أمير علم)	١٠٨	» الخمسون (المفيد)
٣٧	» الخامس » (أمير شكار)	١٠٨	» الحادى والخمسون (المنتهى من
٣٧	» السادس » (أمير آخور)		الفقهاء)
٣٧	» السابع » (السقا)	١٠٨	» الثانى » (فقهاء المدرسة)

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
١٠٩	المثال الثالث والخمسون (قارىء العشر)	١٣٤	المثال الرابع والثمانون (الزين)
١٠٩	» الرابع » (النشد)	١٣٤	» الخامس » (الكحال)
١١٠	» الخامس » (كاتب غيبة)	١٣٤	» السادس » (الحائك)
	(الفقهاء)	١٣٥	* السابع » (القيم في الحمام)
١١٠	» السادس » (القراء والألحان)	١٣٥	» الثامن » (الدهان)
١١١	» السابع » (خازن الكتب)	١٣٥	» التاسع » (الحياط)
١١١	» الثامن » (شيخ الرواية)	١٣٦	» التسعون (الصباغ) ...
١١٢	» التاسع » (كاتب غيبة)	١٣٧	» الحادى والتسعون (الناطور)
	(السامعين)	١٣٧	» الثانى » (الفراشون)
١١٢	» الستون » (الخطيب)	١٣٨	» الثالث » (البابا)
١١٣	» الحادى والستون (الواعظ)	١٣٨	» الرابع » (المریدار)
١١٣	» الثانى » (القاص)	١٣٩	» الخامس » (الطشدار)
١١٢	» الثالث » (قارىء الكرسي)	١٣٩	» السادس » (الصيرفي)
١١٤	» الرابع » (الإمام)	١٤٠	» السابع » (المكارى)
١١٥	» الخامس » (المؤذن)	١٤١	» الثامن » (المریف)
١١٥	» السادس » (المؤقت)	١٤١	» التاسع » (النقاشون)
١١٩	» السابع » (الصوفية)	١٤١	» المائة (غاسل الموتى) ...
١٢٤	» الثامن » (شيخ الخافاه)	١٤٢	» الحادى بعد المائة (السجان)
١٢٥	» التاسع » (فقراء الخوانق)	١٤٢	» الثانى » (الجزار)
١٢٦	» السبعون » (خادم الخافاه)	١٤٣	» الثالث » (المشاعلية)
١٢٦	» الحادى والسبعون (شيخ الزاوية)	١٤٣	» الرابع » (الدلايون)
١٢٦	» الثانى » (أصحاب الحرف)	١٤٤	» الخامس » (البواب)
	(والأموال)	١٤٤	» السادس » (سائس الدواب)
١٢٧	» الثالث » (صاحب الزرع والشجر)	١٤٥	» السابع » (الكلابى)
١٢٨	» الرابع » (الصيدون)	١٤٥	» الثامن » (حارس الدواب)
١٢٩	» الخامس » (شادالعمائر)	١٤٦	» التاسع » (الطوفية)
١٢٩	» السادس » (البناء)	١٤٦	» العاشر » (الكاسح)
١٢٩	» السابع » (الطيان)	١٤٦	» الحادى عشر » (الإسكاف)
١٣٠	» الثامن » (معلم الكتاب)	١٤٧	» الثانى » (رماة البندق)
١٣١	» التاسع » (الناسخ)		» الثالث » (الشعاذ)
١٣٢	» الثمانون ... (الوراق)	١٤٧	» الرابع » (فهرس الأعلام) ...
١٣٢	» الحادى والثمانون (المجلد)	١٦٣	» الخامس » (فهرس الموضوعات) ...
١٣٣	» الثانى » (المذهب)	١٧٨	» الثالث » (العليب)
١٣٣	» الثالث » (العليب)		



مكتبة الخانجي

١١ ش عبد العزيز بالقاهرة
٣٩٠٦١٤٨ ت ١٣٧٥ ص
٣٩١٥١٤٨